KÖPRÜLÜ KÜT.
129

№ 129

9uncu yk 23üncünün
arkasına 18inci
27nin arkasına
24üncü yk. da 8inci
yaprağın arkasına
yanlış ciltlenmiş

KÖPRÜLÜ KÜT.
129

ثلث الأول من الكشاف

١٢٩

هذا صار من متملكات
ابي بكر بن جامي بن سليمان
الشهروشي العصري هبة
شرعية من جانب بن شيخ
الاسلام باسلام بول الحمد
لله الواهب العطايا في الجهاز والبرايا

جلد اول كشاف للعلامة جار الله الزمخشري

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشاف
ان كنت ذا نظر فالزم قرائته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

عدد الاوراق ٣٠٧

سطر ٢٧

١٢٩

ما فيه من السور الكريمة
١٨

سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ٥	آل عمران ٦٦	سورة النسا ٩١	
مائده ١٢٠	انعام ١٣٩	اعراف ١٥٣	انفال ١٧٦	برآءة ١٧٦
يونس ١٧٦	هود ١٧٩	يوسف ٢٠٤	رعد ٢٢٢	ابراهيم ٢٢٨
حجر ٢٣٧	نحل ٢٤٣	اسرا ٢٥٨	كهف ٢٧٤	

كدپاشا قسم 1
129

بسم الله الرحمن الرحيم رب اعن على الاتمام

الحمد لله الذي انزل القران كلاما مولفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه
على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره ايات وميز بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدى مبتدع
وسمات منشى مخترع فسبحان من استاثر بالاولية والقدم ووسم كل شي سواه بالحدوث عن العدم انشاه كتابا ساطعا
تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا لما
بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان
افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه
او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء
واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم
الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان
اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بماثرة رموه بماثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا
السيف وحده على ان الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور
الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع
في بني لؤي ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الباتح الغرة الواضح التحجيل
النبي الامي المكتوب في التورية والانجيل وعلى اله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين
والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلما فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او
متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما
الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى
الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر
ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحديهم
واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز
نواصيهم واطلاقهم ثم ان املا العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت
يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما
ذكر الجاحظ في كتاب نظم القران فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوي والاحكام والمتكلم وان بز اهل
الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن
البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك
تلك الطرائق ولا يغوص على شي من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل

في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على
استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات
طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب كان مع ذلك مسترسل
الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها منتبها على الرمزة وان
خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر
قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد
رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير
آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا
من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل
فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي
انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة
رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم
في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول
والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم
العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها
وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي
وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف
الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن
مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة
غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا
الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفي الحيل وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن
وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص
عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين
سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله ان يجعل
ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى
وتسمى ام القران لاشتمالها على المعاني التي في القران من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي

ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة
لانها تكون فاضلة او مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عدّ انعمت
عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قرّاء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها
على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها
في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقرّاء مكة والكوفة
وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها
السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى فان قلت بم تعلقت الباء قلت
بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حلّ او ارتحل فقال بسم الله
والبركات كان المعنى بسم الله احلّ وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما
جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع
آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت
ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متأخرا
قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم
العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله
اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله تعالى بسم الله مجريها ومرسيها فان قلت
فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم
فان قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت
بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان الفعل لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله
عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب
بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا بسم الله اقرأ وكذلك قول
الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت
فكيف قال الله تعالى متبركا بسم الله اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره
وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم العباد كيف يتبركون
باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى
على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة
وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر

والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا به مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم
بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم عن كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية
الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال
سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء
وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز وهو
رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك
قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء
تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طوّل الباء واظهر السينات ودوّر الميم والله اصله الاله
قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا
فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل
والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك
السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق
على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت
أاسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد
صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير
جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم
الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى
التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر
الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم دليل
انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل
منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا
ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلي غضبا ومما طنّ على اذني من ملح العرب
انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل
منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال فهذا اسمه الشقنداف
فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل
كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى
لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه ام لا قلت اقيسه على

اخواته من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرطوا في امتناع صرف فعلان ان يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله تعالى يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث
على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب
الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف
والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق
لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم
ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وجواد فياض وشجاع باسل
قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف
والحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه
وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس
الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل
القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه
الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم
باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك
ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها لذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها
كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى
قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم عليه السلام حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى
ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل
كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس
ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه
كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله
بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل
الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية
التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي
من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله ارجع

الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن علي رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب
العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت
ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت هو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت
ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ ابو حنيفة رحمه الله
ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم
من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك
يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت
ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل
الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة
غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل
الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او
زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان
يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة رحمه الله
ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته
ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب
بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء
عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان
الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارأيتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه
المحققون فاما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول
لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تأمروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ
اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت
موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة
النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ
الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن
الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت
امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي
العائر الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان

الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد
وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق
العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون ادل على ان العبادة له لذلك
التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى
ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة
قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان
فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة
كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن
حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك
لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب
زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي
رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا
السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط
من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصاحهن
اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل
والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير
العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم
فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير
والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه
واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك
على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل
فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما
فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة
الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اصحاب موسى عليه السلام قبل ان يغيروا وقيل
هم الانبياء وقرا ابن مسعود رضي الله عنه صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على
معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة

الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف
الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم
والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذا الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت
وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان
قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الله الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله
الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى
والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت
لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب
مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير
الضالين وقرا ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرا عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من
التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان
رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال يا رب لا تسلبني حبها ابدا ويرحم
الله عبدا قال آمينا وقال تباعد مني فطحل اذ رأيته امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي عليه السلام لقنني جبريل آمين
عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن
لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن اصحابه رحمهم الله انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن
مغفل وانس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها وعن وائل بن حجر رضي الله عنه ان النبي
عليه السلام كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب رضي الله عنه
الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن
العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا
صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك
را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاسمائها وهي حروف وحدان
والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل
اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ

دلالة على المعنى كالتهليل والحولقة والحيعلة والسمعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز
موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما يقال واحد اثنان ثلاثة فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب كقولك هذه ألف
وكتبت ألفا ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء
من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها
كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الإعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا
فإن قلت لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت
بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من
الأسماء التي لا يقدح إشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك أن قولك ألف دلالته
على أوسط حروف قال وهو دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف
ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها
وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة وجميع ما للأسماء المتصرفة ثم إني عثرت من
جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف
التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول كه بهْ وذكر
أبو علي في كتاب الحجة في يس وإمالة يا أنهم قالوا يا زيد في التهجي فأمالوها وإن كان حرفا قال وإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال
من الحروف من أجل الياء فلأن يميلوا الاسم الذي هو يس أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها فإن
قلت من أي قبيل هي من الأسماء أمعربة أم مبنية قلت بل هي أسماء معربة وإنما سكنت سكون زيد وعمرو
وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها
لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل ص ق ن مجموعا فيها بين الساكنين فإن قلت فلم لفظ
المتهجي بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك
لا مقصورة فإذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب
في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الإعراب أن حال التهجي خليقة بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر فإن
قلت قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف فما وجه
وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه ثلاثة أوجه أحدها وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء للسور وقد
ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين
أحدهما ما لا يتأتى فيه الإعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون اسما فردا كصاد وقاف
ونون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها
أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة إلى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الأول محكي ليس إلا وأما النوع

الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي: يذكرني
حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما أعرب من أخواتها لاجتماع
سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى كقولك
دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها وقال: وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار
وقال ذو الرمة: سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال: تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي
وهي في هذا منصوبا أو مجرورا ويقول أهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب
لا من أين يا فتى فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه أن يقال
ذاك نصب وليس بفتح وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه
مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى أبو سعيد السيرافي أن بعضهم قرأ ياسين ويجوز أن يقال حركت
لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فإن قلت هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم
نعم الله لأفعلن وإي الله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم قال ذو الرمة: ألا رب من قلبي له الله ناصح
وقال الآخر: فذاك أمانة الله الثريد قلت إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت
بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما
خلق الذكر والأنثى الواوان الأخريان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك
مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى فقال إنما أقسم
بهذه الأشياء على شيء واحد ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله
لأفعلن بالله لأخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق زيد لأفعلن والواو الأخيرة واو قسم لا يجوز إلا مستكرها
قال وتقول وحياتي ثم حياتك لأفعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده إلى أن تجعل
الواو للعطف لمخالفة الثاني الأول في الإعراب فإن قلت فقدرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء
عنهم الله لأفعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف
حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
أنه قال أقسم الله بهذه الحروف فإن قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك
لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان
من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء فإن قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في
المعربة من إرادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وأن تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كأنه قيل
أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين إنا جعلناه وأما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح أن يقتضي الجر والنصب جميعا
على حذف الجار وإضماره فإن قلت فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ خاصة قلت كأن المعنى في ذلك الإشعار بأن

القرآن ليس إلا كلماً عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ كما قال عز من قائل قرآناً عربياً فإن قلت
فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها قلت لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات
الحروف واستمرت العادة متى تُهجّيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها
عُمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وأيضاً فإن شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأن
اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وأن بعضها مفرداً لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس
فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بُني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير
ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه
المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته
اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه والوجه الثاني أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ
وقرع العصا لمن تُحُدّي بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام
منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم
عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب
الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزّت بلاغة كل ناطق
وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام
البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصر الأول أن يقول إن القرآن
إنما نزل بلسان العرب مصبوباً في أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع
ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ويؤدي أيضاً إلى صيرورة
الاسم والمسمى واحداً فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده أجابك بأن له محملاً سوى
ما يذهب إليه وأنه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله
وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في أولادكم والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد
وهذه السور والآي وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام
على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة ويجيب
عن الاعتراضين على الوجه الأول بأن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن إذا
جُعلت اسماً واحداً على طريقة حضرموت فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب التسمية
بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شراً وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق أو ببيت شعر وناهيك بتسوية
سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك وأما
تسمية السور كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحداً لأنها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى

أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفاً منه ومن حرفين مضمومين إليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحداً حيث
كان الاسم مؤلفاً والمسمى مفرداً والوجه الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً
بوجه من الإغراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون
منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصاً بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان
مستغرباً مستبعداً من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك إذاً لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله حكم الأقاصيص المذكورة
في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته
وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء
وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين
والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر
وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين
والحاء ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها
الألف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء
والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة
نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة
نصفها القاف والطاء ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة
مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت أن معظم الشيء وجُلّه ينزل منزلة كله وهو
المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة
إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم ومما يدل على أنه تُعمّد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعاً في تراكيب
الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران
والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر فإن قلت
فهلا عُدّدت بأجمعها في أول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها
لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقر له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب
كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فإن قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة
ولِمَ اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف واحد وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر
وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف قلت هذا

على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك ولذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فاية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيا منها آية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز من قائل الم الله اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداة وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني

نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه

ذلك الكتاب

هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل كذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق

لا ريب فيه

هدى

للمتقين

الباقين على الضلالة نبغي ان يكون هدى لهم لا فلو جي بالعبارة المفصحة عن ذلك هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال
فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى
الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم
وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض ورقته
الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل
او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم
المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق اسم العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه
خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال
والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله
الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين
رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها
متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا
على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم
نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما
للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه
هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل
واحدة من هذه الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى
الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف
وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا
الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة
مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على
الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا
تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها الجارات
على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها
على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات
ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف
سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الكفر والاسلام ترك الصلوة وسمى الزكوة

الذين

يؤمنون

قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار
سائر العبادات واستتباعها ومن ثمه اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذريعة
اذا وجدلم تتوقف اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى
الى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا يكون بيانا للمتقين ويكون صفة براسها دالة على فعل الطاعات ويراد
بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة
بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته
غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى
ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة رضي الله عنهم اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال

بالغيب

اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب
ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد عليه السلم كان
بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية فان قلت فما المراد بالغيب ان
جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كالشيء
الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل
حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا
فخفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او
نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور
والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان
يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر
ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من اقام
العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها
قال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي
تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر
لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها وتوان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد
عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنها بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع
وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها
بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا

ويقيمون الصلوة

ومما رزقناهم ينفقون

لما كان رأسه والحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكاذتان وقيل للداعي مصلٍ تشبيها في تخشعه بالراكع
والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا
منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه
قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة
وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب
نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت فان قلت

والذين يؤمنون

والذين يؤمنون أهم غير الاولين ام هم الاولون وانما توسط العاطف كما يتوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت
يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند
الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين على حسب مجراها في الدنيا
ودفعه آخرون وزعموا ان ذلك انما يحتاج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون
عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون
المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه
فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب
دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل
هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان عنى به القرآن باسره والشريعة عن
آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان
ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا
وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك
كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به فلان فهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض
ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء
يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان
اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث
الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه

بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون

خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة
في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود

اولئك على هدى من ربهم

اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا
نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون
بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى
ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان
يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هذه عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح
ونظيره قولك احب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة
وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان
اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستئناف
يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك
احسنت الى عبد الله صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان
الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك
خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه
فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم
عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى
مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل
وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده
واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد
ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد
وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها وجهان وفي تكرير اولئك
تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة
التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران هاهنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما
متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من

العطف بخزل وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه
دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس
الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو
الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم
لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيدا هو هو فانظر كيف كرر
الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف
المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا
ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس
التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر
ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق
والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم
لإصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من
الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته
فإن قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم
وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب
وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما
على حد لا مجال فيه للعاطف فإن قلت هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت
الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي أن الكلام المبتدأ
عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن
كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس
بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي
بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء بمعنى الاستواء وصف
به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية
وارتفاعه على أنه خبر لإن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك
وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما
بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لإن فإن قلت الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار
عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع

من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر
اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا
قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى على
صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لأنه
قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق
الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين
وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح فإن قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية
ألفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون
الأول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني إخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة
المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والإنذار التخويف
من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فإن قلت ما موقع لا يؤمنون قلت إما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لإن
والجملة قبلها اعتراض الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه
ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فإن
قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من
باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ
فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء
إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما
تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل فأن تمثل حيث
لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها
بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الإله على لسان عذافر
ختما فليس على الكلام بقادر وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر فإن قلت فلم أسند الختم إلى
الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه
بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إن الله
لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما إسناد
الختم إلى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى إلى قولهم
فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية
على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله

على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل
في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من
طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام
التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى
لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن
يستعار الإسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا إلى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة وتفسير
هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى
الفاعل حقيقة وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما
يضاهي الرجل الأسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم
وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة
يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الأمير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال إذا رد عافي القدر من يستعيرها
فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند
إلى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمنون ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي
عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا
طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض
الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار
عليه إلى حد لا ينتهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي
ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم
البينة فإن قلت اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيهما يعول قلت على
دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فإن قلت
أي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجد
للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا
يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر في أصله
والمصادر لا تجمع فلمح الأصل يدل عليه جمع الأذن في قوله وفي آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس سمعهم
وقرأ ابن أبي عبلة وعلى أسماعهم فإن قلت هل منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء
وهو الصاد قلت لا لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الإمالة

وأن يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به
يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر
والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة
بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما
تقول نكل عنه ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه خلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه
ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا أي عقابا
يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم
فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره
ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين
الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر
الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا
وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين
بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر
تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين
كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم
وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة
الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف
كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي
يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا تراهم يقولون في وزن قه
افعل وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان
ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا الماضي ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء
من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك
نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من
المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فإن قلت
كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا
وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء
لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما

تأبى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فإن قلت لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم كانوا يهودا وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثا إلى خبث وكفرا إلى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام فإن قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها فإن قلت فلم جاء الإيمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الأول قلت يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما فإن قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة إن الحليم وذا الإسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم والثاني أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم والثالث أن يذكر الله ويراد الرسول لأنه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والرابع أن يكون من قولهم أعجبني

زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك إن الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لأنه كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيد لذكر فضله فإن قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه أن يقال عنى به فعلت إلا أنه أخرج في زنة فاعلت لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو أبو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فإن قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرق به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من إكرامهم والإحسان إليهم وإعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الأسرار التي كانوا حراصا على إذاعتها إلى منابذيهم فإن قلت فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء إبليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة فإن قلت ما المراد بقوله وما يخادعون إلا أنفسهم قلت يجوز أن يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة لمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار إلا نفسه أي دائرة الضرار راجعة إليه وغير متخطية إياه وأن يراد حقيقة المخادعة أي وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالأماني وأن يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لأن النفس به ألا ترى إلى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها إليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عينه أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم يؤامر نفسيه إذا تردد في الأمرين واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج كأنهم أرادوا داعيي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين لما كان صدورهما عن النفس ولما كان الداعيان كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الإنسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائضها

والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون
عليهم حسدا إن تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه
يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق
الذي أعطاكه شرق بذلك أو يراد بما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم كانت قوية إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون
به أن ريح الإسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله
النصر وإظهار دين الحق على الدين كله وإما لجرأتهم واجترائهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب
وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله
إياهم مرضا أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا إلى كفرهم فكأن الله هو الذي زادهم ما ازدادوه
إسنادا للفعل إلى المسبب له كما أسنده إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد
ونقصا من أطراف الأرض ازدادوا حسدا وغلا وبغضاء وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا
ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع
ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد
للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من
أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفرة وإنما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها
والكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله وأما ما يروى عن إبراهيم صلوات الله عليه أنه كذب ثلاث كذبات فالمراد
التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان
وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه أو من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما
بان الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص أو بمعنى الكثرة كقولك موّتت البهائم وبرّكت الإبل أو من قولهم كذب الوحشي إذا جرى
شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق
كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة وإذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول
آمنا بالله لو قلت ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والأول أوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته
وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن لأن في
ذلك فسادا ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى وإذا تولى
سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين
طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم
إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول

للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته وإنما لقصر الحكم على شيء كقولك إنما ينطلق
زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب ومعنى إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير
شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد وألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق
ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع
الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها قال أما والذي
لا يعلم الغيب غيره — أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر — رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة
المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين ألا وإن من التأكيدين وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون أنصحوهم في النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى
الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم
لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فإن قلت كيف صح أن يسند قيل إلى
لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له
إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب
وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم
أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز
بين الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار واللام في السفهاء مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد
سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوي تحته الجارون على ذكرهم واعتقادهم لأنهم عندهم
أعرق الناس في السفه فإن قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لأنهم لجهلهم وإخلالهم
بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا
في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب رضوان الله عليهم أجمعين
فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في
أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم
فإن قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين
على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة
والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم
من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم
معه أحسن طباقا له مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لأن تلك في بيان مذهبهم

والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين
وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات
يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد
عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي
رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني
فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقيي وملاقي وقرا ابو حنيفة رحمه الله
واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه
القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية
بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد
جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن
اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم
وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت
ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء
انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم
باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ
التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التورية
والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من
الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح
للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق
قوله انما نحن مستهزءون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية
وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا
به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم
حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء
السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على المكان عن بعض العرب
مشيت فلغبت فظننت لاهزان على مكاني وناقته تهزا به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء
على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله

ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه
هو طلب الخفة والزراية ممن يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام
الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك
الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم
وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف
ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز
وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال
ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم
باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ
يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل
عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان
ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم
من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض
اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا
فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون
المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له
فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي
قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم
يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه
مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره
والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع
عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه
اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في
مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد
النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان
الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان
وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم

واحتج عليه بأن الله بريء منه ردًّا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند إسناد
المد إلى ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد إليه على الطريق الذي ذكرنا أضاف الطغيان إليهم ليميط
الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده
بالإضافة في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو
التحير والتردد لا يدري أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا عمهاء لا منار
بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ
آخر ومنه أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا وعن
وهب قال الله عز وعلا فيما يعيب به بني إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فإن
قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم فإذا تركوه
إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل
خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب
في الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض إذا فضله ولهذا على هذا شف
والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبي عبلة
تجاراتهم فإن قلت كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها قلت هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند
الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فإن قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت
جاريتك على الإسناد المجازي قلت نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام إن لم تقم
حال دالة لم يصح فإن قلت هب أن شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم
مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى
بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب
في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما
الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاش
له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه
فما أم الردين وإن أدلت بعالمة بأخلاق الكرام إذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام أي إذا دخل الشيطان
في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء
من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى أتبعه ما يشاكله
ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فإن قلت فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين قلت معناه أن الذي تطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا

الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح
وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما
للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيئات المعاني ورفع الأستار عن
الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة
الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء
والحكماء قال الله تبارك وتعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل
كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا
ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن
قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت
قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن
كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة
ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه
ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن فإن قلت كيف مثلت
الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع
القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه
في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها
في أسماء الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن
سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين
وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها
وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل في الجبل إذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو
نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والإضاءة فرط الإنارة ومصداق
ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله
والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن
يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة
وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور فإن قلت أين جواب لما

فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اوكد من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستأنفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت فقد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الى الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمعه هذا الضمير وتوحيده في قوله حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاؤوا

به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان تشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الاية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صماء الجبن ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الاية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وليعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدأ فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدأوا منه ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته أذاك ام نمش بالوشي اكرعه أذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا

فإن قلت هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات هلا صرح به كما في قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح أجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان
لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول
الفحل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها
كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا
بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر
من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة
الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما
وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من
طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فإن
قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه
قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم ما يرجع إليه لكنت مستغنيا عن تقديره لأني أراعي الكيفية المنتزعة
من مجموع الكلام فلا علي أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى إلى قوله إنما مثل الحياة الدنيا الآية
كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد
وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم
وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خالية خاوية فإن قلت أي التمثيلين أبلغ قلت الثاني
لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ فإن قلت لم عطف
أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت أو في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي
في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان في استصواب أن تجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع
منهم آثما أو كفورا أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله أو كصيب معناه أن كيفية قصة المنافقين
مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب
وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا قال الشماخ وأسحم
دان صادق الرعد صيب ونكر صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الأول وقرئ كصائب
والصيب أبلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف فإن قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب

لا يكون إلا من السماء قلت الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق
لأن كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله وأوحى في كل سماء أمرها والدليل عليه قوله ومن بعد
أرض بيننا وسماء والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير
أمد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله
وينزل من السماء من جبال فيها من برد فإن قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف
والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض وترتعد إذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد
والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا إذا لمع فإن قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو أن يراد به السحاب
أو المطر فأيهما أريد فما ظلماته قلت أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل
وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة أظلال غمامه مع ظلمة الليل فإن قلت كيف يكون المطر
مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب قلت إذا كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه ألا تراك تقول فلان
في البلد وما هو منه إلا في حيز يشغله جرمه فإن قلت هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا
ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل
يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع والثاني أن يراد الحدثان كأنه قيل
وإرعاد وإبراق وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق
خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون إلى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال أو هم قائلون لأن المحذوف
باق معناه وإن سقط لفظه ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق
السلسل حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن
بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك
البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم فإن قلت رأس الإصبع هو الذي يجعل في الأذن فهلا قيل أناملهم قلت
هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذي هو إلى المرفق
والذي إلى الرسغ وأيضا ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل فإن قلت فالإصبع التي تسد بها الأذن
إصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم
قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فإن قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت
هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجل
الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح
من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى
أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة

الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخرّ موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بمقلوب للصواعق لان كلا البنائين سواء
في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر
بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بمقلوبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان تكون صفة لصعقة الرعد او للرعد والتاء
مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر
عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة واحاطة الله بالكافرين
مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة
وقرأ مجاهد يخطِف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود رضي الله عنه يختطف وعن الحسن يخَطّف بفتح
الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخِطِّف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يُخَطِّف من خطّف وعن ابيّ
يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي
خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل
بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا
خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمّهم او في ضوء
البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نوّر لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا
في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي
فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به
معقود من امكان المشي وتأتّيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير
متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أُظلم على ما لم يسم فاعله وجاء
في شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالَيّ ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد
بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون
بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول
شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في
شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى
لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق
وقرأ ابن ابي عبلة لأذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة
الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه
من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء
لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء

ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى
في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه
منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير
من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدّد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين
والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله
ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز
وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت
بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك
نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى
المواجهة هازّا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف
يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو
مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت
يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة
من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال
الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه
واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب
الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي
وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم
جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك
يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب
من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه
ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره
قلت لاستقلاله باوجه من التأكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته
وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان
عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت
لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون
عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوما

واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون يعتقدون ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفريقين جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا اباك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاءه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العزة والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله تعالى خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان تحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجوين منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر

العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي تتجدد فيها للملائكة والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس في ذلك انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلثة قروء

ويعضد الوجه الأول قراءة السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى
فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم. فإن قلت بم تعلق فلا تجعلوا. قلت فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر أي اعبدوا
ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا
انتصاب فأطلع إلى إله موسى في رواية حفص عن عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذي جعل
لكم إذا رفعته على الابتداء أي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا
له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي قال جرير أتيما تجعلون إلي ندا وما تيم لذي حسب نديد
وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه. فإن
قلت كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه
قلت لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته
فقيل لهم على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون
له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور وقرأ محمد بن
السميفع فلا تجعلوا لله ندا. فإن قلت ما معنى وأنتم تعلمون. قلت معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح
والفاسد والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال والإصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا
كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها
ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد أي أنتم العرافون المميزون ثم إن ما أنتم
عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا يماثل
أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء. لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الإشراك ويهدمه وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه
وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي أم هو من عند نفسه
كما يدعون بإرشادهم إلى أن يحزروا أنفسهم ويذوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلدته. فإن قلت لم قيل مما نزلنا على
لفظ التنزيل دون الإنزال. قلت لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك أنهم كانوا
يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات
على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا
وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع
خطبه أو رسائله ضربة فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة فقيل إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما

فردا من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها إن كانت أصلا فإما أن
تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من
العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب
وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أيضا
في أنفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة فلأنها
قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه. فإن قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه
سورا. قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولأمر ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على
هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أن الجنس
إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بيانا واحدا ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو
بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله
المسافر إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى فرسخا أو انتهى إلى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن
أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها
لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل
عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل ومنها أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر
وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها
أي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد. فإن قلت وما مثله حتى
يأتوا بسورة من ذلك المثل. قلت معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم
أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك ولكنه
نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لأحملنك على الأدهم مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب أراد من كان على صفة الأمير
من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير إلى المنزل أوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة
مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح
الأساليب والكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه ومربوط
به فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير إلى غيره ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم شيئا مما يماثله
ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله أن يقال وإن ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا
من مثله ولأنه إذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ في التحدي من

ان يقال لهم ليأت بواحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدنيّ الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها
لان جمع الاشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان أحطّ منه قليلا ودونك هذا أصله خذه من
دونك اي من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه
وقد راءاه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون
الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلم تنالك لم ينفعك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم
فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين
يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها
وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله
اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم
وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان
يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا
الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه
حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند
الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون
وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك
الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين
اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على
ان يأتي بمثله دعي كل شاهد من شهدائكم ونحوه في معناه قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون
امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم
ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان
على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم
بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب
حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني
ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه

تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول أتيت فلانا
فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل
يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه
لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله
فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن
اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني
مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف
مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه
بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين
عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله
قلت انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم
يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه
وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي
فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب
البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك
بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب
من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر
كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اي ليست حياته الا به فكأن نفس السليط
حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة
قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت
تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى
قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان
غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله
منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار
اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت
بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى

ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما أن لكفرة الإنس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
فإن قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما
وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله
إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون
الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة
في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم وإغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها
من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى
الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل أعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد بمعنى العدة من
عادته عز وعلا أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف
ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل
الطاعات وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب فإن قلت من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز أن
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك
واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به
كل من قدر على البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي
اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي
معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف
على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر
على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثمة قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم
بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا
جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام
الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله
فأعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني
والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فإن قلت أي فرق بين لام الجنس داخلة على
المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت إذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه
إلى الواحد منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن يراد بعضه لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس
وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فإن قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة
من الأعمال الصالحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف

المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا أي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها
وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما
فيها من الجنان فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى
آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فإن قلت ما
معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات
العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن
لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا اشترط ذلك قلت لما جعل
الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه
المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم
وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط
أعمالكم كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر فإن قلت كيف صورة جري الأنهار من تحتها قلت
كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها
منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان
والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها
الماء وإلا كان الأنس الأعظم فائتا والسرور الأوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر
الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على
سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية
النهَر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق
وصيد عليه يومان فإن قلت لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار قلت أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف
الأنهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس
التي في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام إلى
الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله تعالى كلما رزقوا لا يخلو من
أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه
أثمار تلك الجنان أشباه ثمار جنان الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار
جنان الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله فإن قلت ما موقع من ثمرة قلت
هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات
من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن

الرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة وتنزيله منزلة ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول
من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتديا من ضمير الجنات
ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتديا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على
هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك
اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي
رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقناه
من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان
قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير
لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه
ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا راى
ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراى فيه مزية ظاهرة
وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق
مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين
فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة
تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر
امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور
وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير سابق لجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها
دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي
تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى
وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه
ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى
بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك
والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن
بفلان ونعم ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من
الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص

بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكسبن
بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن
فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل
والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى جماعة
ازواج مطهرة وقرا زيد بن علي رضي الله عنه مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما اقربني الى
بيت الله فاطهره اي فاتطهر به فان قلت فهلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة
وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد
الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس
الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال
سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون
المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى
ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به
كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على
حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له
بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن
وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من
تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه ولبيان
ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على السوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي
لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطا حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون
ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا
وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم
كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم
مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة
واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل
بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها
مما لا تغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة
ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذ لم يجد

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون

سوى ذلك معولا على الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا
كلام الله فانزل الله هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال
نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا
فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه
به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا
رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا
من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من
يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت
فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها
اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل
شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع
تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد
مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وقرأ ابن كثير في رواية شبل
يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده
وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت
باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم
ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير
هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما
استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة
فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شأنها بما لا شيء اصغر منه
واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى او بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من
لا شيء في العدد وقد الم به في قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة ابن العجاج وهو امضغ
العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق
لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين
فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد لنعم البيت
بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك
الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضرب فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن

يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها
في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من
عرفته يشح بادنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه
وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال
دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط
فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب
المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط
فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر
بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف
الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها
وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها
ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم
يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان
يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما
زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى
الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد
بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر
اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين
وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى
الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق
الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كان تقول في جواب من قال ما رأيت خير اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا
اي رأيت خيرا وقرئ في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي
مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل
على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد على كونه
عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره امره بها

والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن
عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا
رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير
والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن
العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة
خبطا في ظلماتهم فإن قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كإبل
مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله قلت أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون
بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيرا
إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب لأنه لما ضرب
المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد
فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج
وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به إلا الفاسقون والفسق
الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل
بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن
أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في
الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلوة لا تجزي خلفه
ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز
والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب فإن قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال
العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن
التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع
إلى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا
بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا
إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش والعهد الموثق وعهد إليه في كذا إذا وصاه به ووثقه
عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتين أو منافقوهم
أو الكفار جميعا فإن قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به
ووثقه عليهم وهو معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه
الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله في الإنجيل

لعيسى صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريتهم إياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من
ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي إليهم وحسن صنعي للذين قاموا بميثاق الله وأوفوا بعهده ونصري إياهم وكيف أنزل
بأسي ونقمتي بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لكن اليهود فعلوا باسم عيسى عليه السلام ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم
من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا
أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلثة عهود العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام الإقرار بربوبيته وهو قوله
وإذ أخذ ربك الآية وعهد خص به النبيين عليهم السلام أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله وإذ أخذنا من
النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير
في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد
والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله أي من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله ومعنى
قطعهم ما أمر الله به أن يوصل قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على
الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض فإن قلت ما الأمر قلت هو طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الأمر
الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور
به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده هم الخاسرون لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع
بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو
إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح فإن قلت قولك أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنه
مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء قلت قد أخرج في صورة المستحيل لما قوي من
الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان فإن قلت فقد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه
أو لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها الكفر قلت حال الشيء تابعة لذاته فإذا امتنع
ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر لأنها تبيع ذات الكفر ورديفها إنكارا لذات الكفر وثباتها على طريق
الكناية وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك من حال
وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم أمواتا
للحال فإن قلت فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الأمير ولكن وقد قام إلا أن يضمر قد قلت
لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا إلى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم
كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فإن قلت بعض القصة
ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي
وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون بالله وأنتم عالمون بهذه القصة وبأولها وآخرها فإن قلت قد

آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها ألا انها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد بها الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقوله ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثمة خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت

كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف وخلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته غنيا عن المشاورة أتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك من اسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس

الذي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية
والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء
على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن
يستخلفه من الفوائد العلمية ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم
في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء على
وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرا عبد الله عرضهن وقرا ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن
او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل
العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرا
ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله
الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم
استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم
فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه اسكن من السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن
في اسكن ليصح العطف عليه رغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها حيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما
اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات
من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة
او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما وقال
يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي
الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته
عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني
ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرا عبد الله
فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل
الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة
كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى
وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس
وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل
عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من

التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين
يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمهما وقرئ بنصب آدم ورفع
الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله
الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب
الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت
واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن
والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قلنا
اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط
الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم
بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى
كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب انه ان لم يبعث
رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر
والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى
عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي ونسيان العهد
وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل
الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب
الخطايا واتقاء الماثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة لخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدى على لغة
هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بوزن ابرهيم واسمعيل
غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائيل واسرال ذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها
ويطيعوا مانحها واراد ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل
والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل والعهد يضاف الى
المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك
عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من
عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون في
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء
بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة

والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم أول كافر به أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أي كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحي إليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة إلى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم إذ تنصرا وإني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني لا تستبدلوا بآياتي ثمنا وإلا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل وكل كبير إليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون إليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال ليكتموا أو يحرفوا الباء التي في الباطل إن كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن فإن قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وأنتم تعلمون في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه وأقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لأن اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم من الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا بأن تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كأنه قيل وأقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين أتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني أن ناسا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وأنتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون توبيخ عظيم

ولا تلبسوا الحق بالباطل

وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون

بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقل لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم إلى الله بالصبر والصلوة أي بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات والأرض ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلوة الدعاء وأن يستعان على البلاء بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه وإنها الضمير للصلوة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي إلى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الأمر كبر على المشركين ما تدعوهم إليه فإن قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله يظنون أنهم ملاقوا ربهم أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الإخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها إذا لينته وأني فضلتكم نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم القيامة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من أجزأ عنه إذا أغنى عنه فلا يكون في قراءته إلا بمعنى شيئا من الإجزاء وقرأ أبو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فإن قلت فأين العائد منها إلى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما أنشده أبو علي تروحي أجدر أن تقيلي أي مكانا أجدر بأن تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فأجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئا وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي فدية لأنها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون

لهم فادي نصروا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا
اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا تقبل
منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة
ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها
شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد
والاناسي كما تقول ثلثة انفس اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشأن
كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس
ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في افق تفرعنه وفرط عرامه
وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر
الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال
اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة
الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون
بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود
يكون على يده هلاكه كما انذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع
فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا
يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه
اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه
بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن
راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى
نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن
لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى عليه السلام ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين
ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه
الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم
تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق
والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى
وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر

والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر فان قلت ما قوله فاقتلوا انفسكم قلت على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر
من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة
وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل اصبروا فلعن الله
من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو
اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق
بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من
قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم
والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى عليه السلام لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما
ان يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص
هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من
بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال
المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا
انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها
بعبادة من لا يقدر على شيء منها قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك
جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من
الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر
كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز ان يكون في جهة محال
وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا
في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة
والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا
بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله تعالى فلما افاق والظاهر
انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او
نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه
سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى
وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم
السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا

فاختصر لدلالة ما قبله عليه القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل
هو القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلم امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا
وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها
ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل
النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر
صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل
يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب
محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا
في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول
معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ
الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك
ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة
حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح
امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب
وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة واحدة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا عطشوا في التيه
فدعا لهم موسى عليه السلم بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر
طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول
الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى
وقع الى شعيب عليه السلم فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به
فقال جبرائيل عليه السلم يقول الله ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي
يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو
افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس
فقالوا ان فقد موسى عليه السلم عصاه متنا عطشا فاوحى الله لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام
وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى عليه السلم وله شعبتان
تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت
كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان
كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن

واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها

والسلوى وماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا
في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء
على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت
ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان
الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبديل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف
ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى
يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس
والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اختبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود
وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار
فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ
زهير الفرقبي ادنا بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل
به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد
العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف
وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير
تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصراييم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون
في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء
اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من
قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب
الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم
فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا
ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها
يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع
المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار
بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا
على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم
المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود
والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة

الدهر بالناس دواري

كالتي في أحمر حمي سُمّوا لأنهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في ملة الإسلام دخولا أصيلا وعمل صالحا فلهم أجرهم الذي
يستوجبونه بإيمانهم وعملهم فإن قلت ما محل من آمن قلت الرفع إن جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم والنصب
إن جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه فخبر إن في الوجه الأول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط وإذ
أخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا
ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم
وقال لهم موسى عليه السلام إن قبلتم وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه
واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا واذكروا إرادة
أن تتقوا ثم توليتم ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا
السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وإن ناسا منهم اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه
واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت كما قال
تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول
فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران أي كونوا جامعين
بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل القيد
لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم
من الآخرين أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لما تقدمها من ذنوبهم
وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها كان في بني إسرائيل شيخ موسر
فقتله بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى
فيخبرهم بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا أتجعلنا مكان هزو أو أهل هزو أو مهزوا بنا أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء من
الجاهلين لأن الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا وقرأ حفص هزوا
بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها
وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر
والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا تساق إليه ما تقوم على رجل
وكأنها سميت فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين أبكار
وعون وقد عونت فإن قلت بين تقتضي شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على ذلك قلت لأنه في معنى شيئين
حيث وقع مشارا به إلى ما ذكر من الفارض والبكر فإن قلت كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة إلى واحد
مذكر قلت جاز على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل

نعم ما فعلت وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا قال
أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت
السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك والذي حسن منه أن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست
على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير أو أمركم
بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع وورس
كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانئ وذريحي وأخضر ناضر ومدهام وأورق خطباني وأرمك
رداني فإن قلت فاقع هاهنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون إنما وقع توكيدا
لصفراء إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع
لونها فإن قلت فهلا قيل صفراء فاقعة وأي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة
وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب إذا نظرت إليها خيل إليك
أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا
صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من
صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الأعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر
أولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي عليه السلام
لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى
عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب إليه بأيهما أبدأ فقال إن قلت لك بقطع الشجر سألتني بأي
نوع منها أبدأ وعن عمر بن عبد العزيز إذا أمرتك أن تعطي فلانا شاة سألتني أضائن أم ماعز فإن بينت لك قلت أذكر أم أنثى
فإن أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم
لأجل مسألته إن البقر تشابه أي إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح وقرئ تشابه بمعنى
تتشابه بطرح التاء وإدغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشبهة وقرأ محمد ذو الشامة إن الباقر يشابه بالياء
والتشديد وجاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد أي لو لم يقولوا إن شاء الله والمعنى إنا لمهتدون إلى البقرة
المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب وإثارة
الأرض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير
وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول
هناك أي حيث هي وهو نفي لذلها ولأن يوصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان أي فيهم أو
حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من أسقى مسلمة سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله
أو معبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا أو مخلصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له لم يشب

صفر هاشي من الالوان لاشية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل
مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما
بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال
لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم
وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه
فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة
دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة
المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لعمومه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح
عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل
فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها
بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة والله مخرج ما كنتم
تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكي
ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم
فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم
تكتمون ببعضها بعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي
يلي الغرضوف وهو اصل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله
الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا
ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى
يوم القيمة ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس
واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد
وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في
التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من
غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل
الهازئ بانه لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به

وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من نظر اليه وان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله
انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه
لادائه الى البداء وليعلم بما امر من ضرب الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين
الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم
ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها
قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من
الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء
وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة
الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة
بعد ما استونفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله
اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تأخيرها وانها قصة
واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم
تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل
او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة واشد معطوف على الكاف اما على معنى
او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي
في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة
او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه
ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة
الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة
بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي
تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق
وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول
او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد
فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد أفتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف
منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء

فاعلوا وان شئتم ان لا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته
وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا التورية فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا
منافقوهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الرسول الحق المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين
نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد عليه السلام او قال المنافقون لاعقابهم
يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم
به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب
الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون
لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو
عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا الاكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام
تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤن من قوله تمنى كتاب الله اول ليله والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر
في نفسه ويحرز ما يتمناه وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني
بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء
لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد
وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه ومما يكسبون من الرشى اياما معدودة اربعين يوما عدد
ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف
متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل
التقرير للعلم الواقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم
ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما
يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل
الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة المحيطة انظر في المصحف فكل آية نهى فيها الله تعالى عنها
واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له
كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي
رضي الله عنهما لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون
بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم
لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا ويدل عليه قراءة
عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل

اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه
وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد بهم
الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل
ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون
اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان
بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين
تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل
هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون
عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى وهو اسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون
ببعض الكتاب اي الفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج
فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا
والخزي كقتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد
وقرئ يردون ويعملون بالتاء والياء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذا عذاب
الآخرة الكتاب التورية آتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني
وارسلنا على اثره الكثير من الرسل لقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا
وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم اجمعين وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية
ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله
مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات
والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله
الذي آجدني بعد ضعفي واوجدني بعد فقري بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها
بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث
وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى
ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط الهمزة بين الفاء وما
تعلقت به توبيخا على تعقيبهم ذاك بهذا والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك
ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية

لان الامر قطعي فلا بد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب او نريد ان تقتلوهم بعد لانكم حولتم قتل محمد صلى الله عليه وسلم
لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري
غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الاغلف
الذي لم يختن لقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول
الحق ان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزايغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف
التي تكون للتوفيق ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون
القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا
غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القران مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز
نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو
كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث
في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم
معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون
انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا
وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد
ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص
بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه
على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف
لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه
اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما
يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء وانتم
ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع
الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة
فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم
بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية
عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم

مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم خالصة نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد
سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان
من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة
ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن رضي الله عنه ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على
الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة رضي الله عنه انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني
على التمني وقال عمار رضي الله عنه بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن
النبي عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات
النار من الكفر بمحمد عليه السلام وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار
بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر
الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني
من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان
بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا
لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم
حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل
له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في
قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى
الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه
هم احرص فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة
بها اوقع من قراءة ابي رضي الله عنه على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان احرص الناس احرص من الناس فان قلت
الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين
اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا
فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت
لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك
وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو
قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا
الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحد وان يعمر فاعل
بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون

هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم
على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان
القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن روي ان عبد الله بن صوريا من احبار
فدك حاج رسول الله وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل عليه السلام فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا
واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في
غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد
احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر
محمد عليه السلام وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا عليه السلام على اسرارنا وهو صاحب كل خسف
وعذاب وان ميكائيل عليه السلام يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا
لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر رضي الله عنه فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي عليه السلام
لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل
بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن
جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله والضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره
فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه
اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله
كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله
جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب
بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه فالسبب في عداوته انه نزل
عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له
كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في
الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل
وميكئل كميكعل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان
الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم
عاداه الله وعاقبه اشد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي
وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه

وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب أوكلما الواو للعطف
على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه
قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض
العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون
بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق
لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم
شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء
الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي رحمه الله هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه
في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني
اتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون
السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك
في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه يسخر الانس والجن
والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن
الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين
عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل ببابل هاروت وماروت عطف بيان
للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل
به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس
مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان الملكان احدا
حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير
لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين
من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه
بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هؤلاء اليهود لمن اشتراه
اي استبدل ما تتلوا الشياطين عن كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرأ الحسن
الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع
وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان

من العلم وقرئ من المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرّخ واجرا الوصل مجرى الوقف وقرأ
الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف تضاف الى احد وهو مجرور
بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي
ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم
آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ
لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهّلهم لترك العمل بالعلم فان قلت
كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كالعدول
عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب
خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا
ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا
يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتانّ بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا
فلما سمعوا بقول المومنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المومنون عنها وامروا بما هو في معناها
وهو انظرنا وهو من نظره اذا انتظره وقرأ ابي رضي الله عنه انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه
راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا
الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف راعنا بالرعن واسمعوا واحسنوا
سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب
المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم
به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود
الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي
وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم
شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة
من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننسها
وقرئ ننسّها وننسّيها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة
ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل عليه السلام بان

يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل
آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات بخير منها للعباد اي باية
العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض
فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين انه مالك امورهم ومدبرها
على حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل
عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى عليه السلام من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل
لنا الها كما لهم آلهة ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها
فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة
احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف
نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد عليه السلام ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة
واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد عليه السلام نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق
بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا
ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم
فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة
واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة او صلوة او صدقة
او غيرها تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنه عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من
اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف
بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما
لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان
هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله
فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ ابي بن كعب رضي الله عنه الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم
لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وامنيتهم
ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا
برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه

نهوا بالطل عن ثابت وهات صوت بمنزلة هات في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له
لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان
يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم
على شيء على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد
بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم
انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل وغيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد
من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على
ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ
عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار
اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى عليه السلام والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه
وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا
ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها
من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان
الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس
ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل
همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما
اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم
ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها
ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب
في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة
وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله الا لا يحجن بعد هذا العام
مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة
ولم يجوزه مالك رحمه الله وفرق الشافعي رحمه الله بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه
كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية
ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية

يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي
امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم
من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا تختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع
الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما
توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء
والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا
المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه
ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة
لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من
جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير
اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا بديع السموات يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر وكن
فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق
والمعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر
فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة
لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات والارض مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على
المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا
يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى عليه السلام استكبارا منهم وعتوا او تأتينا آية جحودا لان يكون ما آتيهم من آيات الله آيات واستهانة
تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي لقوم ينصفون فيوقنون انها
آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية
لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان
بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسال على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل
ابواي فنهي عن السوال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف
فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته
فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى
قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا

منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة
اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه
هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي
جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه
ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة
بالهدى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه
العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رحمه الله وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ابرهيم ربه رفع
ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة
المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم
ربه او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني
فابرهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن
في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي وفى
وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب
اجعل هذا البلد آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى
او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كانه قيل فماذا
قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله
ابتلى فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل
هن خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء
وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلاثين سهما من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من
يؤتم به على زنة الاله كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي
كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي
اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز
حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن
علي رضي الله عنهما وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امرأة
اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه

لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة
والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم واذ جعلنا البيت اسم غالب للكعبة
كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم
وامنا وموضع امن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه
مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة
تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي عليه السلام انه اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابرهيم عليه السلام
فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم عليه السلام فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ
عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر
قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل المطلب
بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار
لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ
الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا امرنا الى ابرهيم واسمعيل ان اي بان
طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه
غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يراد بالعاكفين الواقفين يعني
القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود
هيئات المصلي رب اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم ومن
آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في
جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم عليه السلام المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق
بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا
للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه
جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لكن المضطر الذي لا يملك الامتناع
مما اضطر اليه وقرأ ابي رضي الله عنه فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم عليه السلام دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على
هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم
اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها
ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شغر وبئس المصير واذ يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما

فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة تقعدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبني عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطا يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم عليه السلم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابرهيم عليه السلم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سبحانه سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل عليه السلم بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قرائته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذل لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا

زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واخلص روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ووصى واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلم اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة

على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل
كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد
وهي لغة ما تعبدون أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون
لم يعم إلا أولي العلم وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات وإبراهيم
وإسمعيل وإسحق عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة
لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي
وقال ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبي رضي الله عنه وإله إبراهيم بطرح آبائك وقرئ
أبيك وفيه وجهان أن يكون واحدا وإبراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو والنون قال وفدّيننا بالأبينا إلها واحدا بدل
من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد بإله آبائك إلها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو من مفعوله
لرجوع الهاء إليه ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد
أو مذعنون تلك إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى أن أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا
فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك أنهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم
لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم بل ملة إبراهيم أي أهل ملته
كقول عدي بن حاتم إني من دين يعني من أهل دين وقيل بل نتبع ملة إبراهيم وقرئ ملة إبراهيم بالرفع أي ملته ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته
بمعنى أهل ملته حنيفا حال من المضاف إليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق والحنف الميل
في القدمين وتحنف إذا مال وأنشد ولكنا خلقنا إذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن
كلا منهم يدعي اتباع إبراهيم عليه السلام وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطابا للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم
على الباطل وكذلك قوله بل ملة إبراهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا أنتم ملة إبراهيم أو كونوا أهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما
سبطي رسول الله والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر لا نفرق بين أحد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت
اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين
الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد إذا دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقا حتى إن آمنوا بذلك الدين
المماثل له كانوا مهتدين فقيل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال
ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك
ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك
كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم بما
آمنتم به وقرأ أبي بالذي آمنتم به وإن تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم إلا في شقاق أي في مناوأة ومعاندة لا غير وليسوا

من طلب الحق في شيء أو وإن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار رسول الله عليهم وقد أنجز
وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين وهو السميع العليم وعيد لهم أي
يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه أو وعد لرسول الله يعني يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك
وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب
وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل
فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال
الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا
لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول
لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن أحسن من الله صبغة يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان
ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم
أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه
وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل أتحاجوننا وقرأ زيد بن ثابت بإدغام النون والمعنى أتجادلوننا
في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم
نشترك جميعا في أنا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي إذا
كان أهلا للكرامة لنا أعمالنا ولكم أعمالكم يعني أن العمل هو أساس الأمر وبه العبرة وكما أن لكم أعمالا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة
ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة أي نحن له موحدون نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن
يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لأنا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان أم تقولون
يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية
على الأنبياء والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معا وأن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للإنكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون
إلا منقطعة قل أأنتم أعلم أم الله يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين أحدهما
أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا
فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك
هذه شهادة مني لفلان إذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء الخفاف الأحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه
إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله
ليرجعن إلى دينهم ما ولاهم [illegible] في الإخبار بقولهم قبل وقوعه [illegible] فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم
به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد

لسفههم وقيل الرئيس [illegible] ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم هي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدى
من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم
ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة
لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط
المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او
عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ
الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما
كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس
في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة
اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها
ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي
تجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان
يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا
لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن
لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت
كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى
عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع
التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين
في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا
بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم

وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم
ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله
وختنه على بنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من
متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا
اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان يكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد
لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله
تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها
قبلة ابيه ابرهيم عليه السلام وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام
والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقباله من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون
سمت بيت المقدس ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه
قال واظعن بالقوم شطر الملوك وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي عليه السلام المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد
صلى باصحابه رضي الله عنهم ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان
الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال
عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق
ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا
جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك
ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم
لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ
بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو
فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن
اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى
ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن الظالمين المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين
وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال
وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم

الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما
يعرفون أبناءهم لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال أنا
أعلم به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وإن لم يسبق
له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوم بغير إعلام
وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فإن قلت
لم اختص الأبناء قلت لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وقال فريقا منهم استثناء لمن آمن
منهم أو لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق أو مبتدأ خبره
من ربك وفيه وجهان أن يكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله أو إلى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق أي هذا الذي يكتمونه هو
الحق من ربك وأن يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذي
عليه أهل الكتاب فهو الباطل فإن قلت إذا جعلت الحق خبر مبتدأ محذوف فما محل من ربك قلت يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن
يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الإبدال من الأول أي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم
الحق مع علمهم أو في أنه من ربك ولكل من أهل الأديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة أبي رضي الله عنه ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين
وقيل هو لله تعالى أي الله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة على الإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت
ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه إليها منكم ومن غيركم فاستبقوا أنتم الخيرات
واستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي جهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية
أو غربية فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من مخالف وموافق لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات
من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى
جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن أي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام إذا صليت
وإنه وإن هذا المأمور به وقرئ تعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة
وتسويل الشيطان والحاجة إلى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولأنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر
فاختلفت فوائدها إلا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا
إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء فإن قلت أي حجة كانت تكون للمنصفين
منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام كما هو
مذكور في نعته في التوراة فإن قلت كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لأنهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز
أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب إلا الذين
ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما ألا الذين
ظلموا منهم على أن ألا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم واخشوني

فلا تخالفوا أمري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك أو يعطف
على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني لأوفقكم ولأتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة
وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا إما أن يتعلق بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم
عليكم في الدنيا بإرسال الرسول وإما بما بعده أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني أذكركم بالثواب واشكروا لي ما أنعمت به عليكم
ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي أموات بل أحياء هم أموات بل هم أحياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن
أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة
وعشيا فيصل إليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد
جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم
بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا بشيء
بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لأن الاسترجاع تسليم وإذعان
وعن النبي عليه السلام من استرجع عند مصيبته جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي أنه طفئ سراج
رسول الله فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وإنما قلل في قوله بشيء ليؤذن
أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل إليه وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وإنما وعدهم
ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء أو على الخوف بمعنى وشيء من نقص الأموال والخطاب في وبشر لرسول الله
أو لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال
الزكوات والصدقات والأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن النبي عليه السلام إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة
أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع
فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع معناه أن
الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤوف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أي رحمة وأولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث
استرجعوا وسلموا لأمر الله الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة أي من أعلام
مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت
في الأعيان وأصل يطوف يتطوف فأدغم وقرئ أن يطوف من طاف فإن قلت كيف قيل إنهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح
عليه أن يطوف بهما قلت كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة
فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام
وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف
في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك
ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح

عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رحمه الله انه واجب وليس بركن فعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي رحمهما الله
هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان
الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات من الايات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى والهداية بوصفه
الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم
فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة
والمومنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما
احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا يعني الذين
ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم
الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان
قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المومنون وقيل
يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار
اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح
ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه
بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه قيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية
تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما
لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس فان
قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به
الارض عطف على انزل داخل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه
على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها
قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب
المسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على
عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح
على الافراد اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله
على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا
يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم
يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون لها وجعلوها وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا

عند الله ويعبد من الصنم زمانا ثم يرفضه الى غيره او يأكله كما اكلت باهلة الاها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى
متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب دون اندادهم
ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم
بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى بالتاء على
خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل
كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء
للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب
وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع
والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم
كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات
عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم
فيما اسند اليهم لا على الاختصاص حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين
وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة
وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته
ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه
وظهور عداوته اي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم بالسوء القبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما
لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على
الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال
ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان
يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل
من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله
الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من
الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كمثل
البهائم الذي ينعق بها وهو الراعي ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير
القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع

الا دعاء ونداء الناعق بهذه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن يراد بما لا يسمع
الأصم الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم
اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم لا يفقهون
أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع إلا أن قوله إلا دعاء ونداء لا يساعد عليه لأن
الأصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الأخطل فانعق بضأنك يا جرير فإنما
منتك نفسك في الخلاء ضلالا وأما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته
لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالا واشكروا الله الذي رزقكموها إن كنتم إياه تعبدون إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون
أنه مولى النعم وعن النبي عليه السلام يقول الله إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري فمن حرم على
البناء للفاعل حرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم أهل به لغير الله أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم
اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فإن قلت — في الميتات ما حل وهو السمك
والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لي ميتتان ودمان قلت — قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى
أن القائل إذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق الوهم إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة و
التعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وإن أكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن سماه الله دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فإن قلت — فما له ذكر لحم
الخنزير دون شحمه قلت — لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم في بطونهم
ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه
قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه قال أكلت دما إن لم أرعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة إكافا فإنه أراد ثمن
الإكاف فسماه إكافا لتلبسه به لكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم
وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم الله بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا
فيها ولا تكلمون فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان
ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبرهم يقال أصبره على كذا
وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما
على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله ذلك بأن الله نزل أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل
من الكتب بالحق وإن الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل هم أهل الكتاب لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد
عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم
سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يتشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا البر اسم للخير
ولكل فعل مرضي أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس

والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين
أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما بينته وقيل كثر خوض المسلمين
وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب
الاهتمام به وصرف الهمة إليه بر من آمن وقام بهذه الأعمال وقرئ ليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقرأ عبد الله بأن تولوا
على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأويل البر بمعنى
ذي البر أو كما قالت فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار
وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله أو القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود أن تؤتيه
وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على
حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه وقدم ذوي القربى لأنهم أحق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك
اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس
والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته
له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل
حق وإن جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل في فك
الأسارى فإن قلت — قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكاة
قلت — يحتمل ذلك وعن الشعبي أن في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون بيان مصارف الزكاة أو يكون حثا على نوافل
الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة والموفون عطف على من آمن وأخرج الصابرين
منصوبا على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين
والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين وعن عمر بن عبد العزيز والحسن
البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمهم الله أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية ويقولون
هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها
وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس
والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والأنثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس
بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم
أن يتباوؤوا فمن عفي له من أخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير
ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه
من قبل أنه وليه والطالب به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليتعطف أحدهما على

صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت
يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب
قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن
ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس
بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن
محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال
الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل
من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت
للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا
الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان
لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور
من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل
العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف
فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله
فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام
لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل
مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة تعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص
حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير
قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة
بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو
من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص
وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي ارتكم ما في
القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو
خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد
الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك
قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله
سبعمائة فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي

ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى
كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا
الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها
كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين
والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز
الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما
سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما
بريئان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف من موص فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون
التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بين الموصى لهم وهم الوالدان
والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق
ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان
الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او
تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون
في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان
فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم
فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا
العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله
كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك
نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل
مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون
مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو يأكل
فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من
الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رحمه الله لا يفطر حتى
يجهده الجهد غير المحتمل واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو
يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا
وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات

قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة مكانها علم أنه لا يؤثر عدد على عددها فأغنى ذلك عن التعريف
بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان أفطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره
عند أهل العراق وعند أهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار و
الفدية وقرأ ابن عباس رضي الله عنه يطوقونه تفعيل من الطوق إما بمعنى الطاقة أو القلادة أي يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا عنه
يتطوقونه بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطّوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطّيّقونه بمعنى يتطيقونه وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه
على أنهما من فيعل وتفيعل من الطوق فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطيقونه
والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ
ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع
أخير له أو الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وأن تصوموا أيها المطيقون أو المطوقون وجهلتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم خير
لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز أن ينتظم في الخطاب المريض والمسافر أيضا وفي قراءة أبي رضي الله عنه والصيام خير لكم الرمضان
مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والألف والنون كما قيل ابن داية للغراب
باضافة الابن إلى داية البعير لكثرة وقوعه عليها إذا دبرت فإن قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة
قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم إضجارا بشدته عليهم وقيل
لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فإن قلت فإذا
كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعا فما وجه ما جاء في الأحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان إيمانا واحتسابا
من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لأمن الالباس كما قال بما أعيا النطاسيّ حذيما أراد ابن حذيم
وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره الذي أنزل فيه القرآن أو على أنه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف
وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الإبدال من أياما معدودات أو على أنه مفعول وأن تصوموا ومعنى أنزل فيه القرآن
ابتدئ فيه إنزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل أنزل جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوما وقيل أنزل في شأنه القرآن وهو
قوله كتب عليكم الصيام كما تقول أنزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم عليه السلام أول ليلة من رمضان
وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال أي أنزل وهو
هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل فإن قلت ما معنى قوله
وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق
والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا أي حاضرا
مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت
الجمعة لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وأمركم بالحنيفية
السمحة التي لا إصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من إباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر

حتى زعم أن من صام منهما فعليه الإعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين ولتكملوا فعل معلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة
ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله ولتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن
عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقاب المحدث
من علماء البيان وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم
تشكرون وإرادة أن تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فإن قلت هل يصح أن يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كأنه
قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت
لا يبعد ذلك والأول أوجه فإن قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير
عند الإهلال فإني قريب تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعي أسرعت تلبيته
ونحوه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين أعناق رواحلكم وروي أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب
ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشَدون
ويرشِدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فإذا
صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلوة العشاء
الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره
بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ أحل لكم ليلة الصيام
الرفث أي أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه أنشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير ننك لميسا فقيل له أرفثت فقال إنما الرفث ما كان عند النساء
وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فإن قلت لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال
على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن
فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم فإن قلت لم
عدي الرفث بإلى قلت لتضمينه معنى الإفضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه
شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فإن قلت ما موقع قوله هن لباس
لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن
وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون أنفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من
الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم
الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل
هو نهي عن العزل لأنه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا

ما كتب الله لكم من الولد بالجماع بعد الحظر وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما واتَّبِعوا وقرأ الاعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض أول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد لما تبدت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان تدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرّض رسول الله قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز تأخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل يخرج فيباشر امرأته ثم يرجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك قالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة

من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ وروي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وكان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي باشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون الذين يقاتلونكم في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين فعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم

وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم
مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم ومن قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم
وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل ببعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا
عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا
عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين
او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد
الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته
عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا
بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا
الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم
وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق
في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو
الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه
نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا
فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في
الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على
ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة
كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين
بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال من تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف
عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وروي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل
ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة
ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل
في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ
واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال
لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد
والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له

اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال له هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل
الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر
ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل
بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرناه اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيهما فهو بمنزلة قولك صم
شهر رمضان وستة من شوال فانك تأمر بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي رضي الله عنهم والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا
بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في
سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي
او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك
قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار
وعند مالك والشافعي رحمهما الله منع العدو وحده وعن النبي عليه السلام من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي
فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من
الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر
من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رحمه الله
يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي
فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه
الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فان
النبي عليه السلام نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به
اذى من رأسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر
او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق واسك وصم ثلثة ايام او اطعم
ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب رضي الله عنه يقول في نزلت هذه الآية وروي انه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامر ان
يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في
حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه
بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رحمه الله
ويأكل منه وعند الشافعي رحمه الله يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر وعند الشافعي يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي
فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان
يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي رحمه الله لا يصام الا بعد الاحرام بالحج

بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله هو الرجوع الى
اهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو
جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما
علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها
وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كانه قيل للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل الله لا تقصر وقيل كاملة
في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي رضي الله عنه فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله
لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق
فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعي رحمه الله اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضرو المسجد الحرام اهل
المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده
وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج اي وقت الحج
اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله
تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك رحمه الله ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته
ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي رحمه الله في غيرها وعند ابي حنيفة رحمه الله ينعقد الا انه مكروه
فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما فلا سؤال فيه اذا وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة
كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك رحمه الله وهو مروي عن
عروة بن الزبير رضي الله عنه قلت الوجه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر رضي الله عنهما فكانها مخلصة للحج لا مجال
فيها للعمرة وعن عمر رضي الله عنه انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان قال لرجل ان اطعتني
انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا العل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر
معلومات معروفات عند الناس لا تشكل عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزم
نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم
والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد
بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث بالرفع وبالنصب وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر
بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قال ولا شك
ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه

سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق
دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على
الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة
او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة
اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون
كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي
عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع
والربح بالتجارة وكان الناس من العرب يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون
من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها
في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي الله عنهما
ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه
حتى نزل قوله ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت
معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا اي ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة
الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران
وهو يخش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وخاضوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف
وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا اثر للتانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها او بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها
ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من
تقديرها كما لا يقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك
لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل عليه السلام حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل
التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يكون العرفة لا تعرف من اسماء
الاجناس الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي عليه السلام الحج عرفة
من ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء المشعر
الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر
وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه ان النبي عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام
قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعتبار المزدلفة لكونها في حكم المشعر
ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال

لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة
لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هديكم ما مصدرية او كافة والمعنى
اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين
الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض
الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل
الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك
احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين
امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احدهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث
افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناسي بكسر السين اي الناسي وهو آدم عليه السلام
من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو
ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما
تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن
ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع
نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس
من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا
في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا
والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا
من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه
ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم
ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد
فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه
روي انه يحاسب الخلائق على قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات ايام التشريق وذكر
الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق
وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل
ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد
يكون من المستعجل الزلل لتأخر الثاني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا

فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهذا مذهب الشافعي رحمه الله ويروى عن قتادة رضي الله عنه وعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله
ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي
لا يجوز فلا اثم عليه فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا
او تأخروا فان قلت اليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين
الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد
القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب
ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال
واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك
خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن
شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني
صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا
قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لانه لا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذا
في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك في الدنيا ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من
الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما
في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي رضي الله عنه ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال
والعداوة للمسلمين قيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد
بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعاب وصعب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة
واذا تولى عنك وذهب بعد الالانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا
فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث
والنسل ويهلك الحرث والنسل عطف على ليفسد وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى
يابى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه وان لا يخلى عنه حرصا
ولجاجا او على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في
صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم
لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب
الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه
كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين
لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به

والحرب تكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب
الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت
وان يقرأ من التورية في صلوته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من
بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم
لا ينتقم الا بحق وروي ان قاريا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم
لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت اتيان الله اتيان امره
وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز
في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الملائكة
وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب
كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر
من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله
قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء
الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما سل امر للرسول
او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم عليهم السلام وهي معجزاتهم او من
آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها
ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام
فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فان قلت ما معنى من بعد
ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها
فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز
ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار
وصهيب وغيرهم رضي الله عنهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في
عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما
تطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراج
بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك
انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله

النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه كان الناس
امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا
فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة
وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام
الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا
في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم
على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله
والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم لهم قال لهم على طريقة الالتفات
التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي
هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا
شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ
بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة
وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة
التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول الرسول
بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا
انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان
المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان
النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها قال ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي
منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا اما ان يكون بمعنى الكراهة
على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول
كالخبز بمعنى المخبوز اي هو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على طريق
المجاز كأنهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا جميع ما كلفوا فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي

وقتله معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا فرد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والاكثر على انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به فان قلت كيف جاز العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك قلت وكفر به في معنى الصد عن سبيل الله باتحادهما وهو الذي سوغ ذلك كانه لا فصل وكانه قال وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام هذا وجه والوجه الآخر ان يرتفع وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية كما في قوله ولم يكن له كفوا احد كان من حق الكلام ولم يكن احد كفوا له الا انه قيل لم يكن له لفرط العناية كذلك ههنا ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي رحمه الله على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة رحمه الله انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة رضي الله عنه هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جفت ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه

ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة رحمه الله وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر العلماء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اي يفعلون ما يفعل الياسرون بالميسور فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي عليه السلام اياكم وهاتين اللعبتين المشؤومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله قل فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي رضي الله عنه واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وعن النبي عليه السلام ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة

على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير
الاصلاح ولو شاء الله لأعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال
الاصلاح اليهم وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا إثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم
ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن او ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة
وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها
ثابتة لم تنسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة
ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا
فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فأستأمره فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة ولامرأة مؤمنة حرة
كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير
منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة
والقتال والله يدعو الى الجنة يعني واولياءه وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليها فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم
وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا
كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن
يعني فاجتنبوا مجامعتهن وروي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها
في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد
شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتكم ان
تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم بين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله
يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي الله عنها ان عبد الله بن عمر
سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا
سأل النبي عليه السلام ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة رحمه الله
وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد
اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله رضي الله عنه حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر
انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم
وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة كامل وذهب الشافعي رحمه الله الى انه لا يقربها
حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي امركم الله به

وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله
يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهارة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان
ما ليس بمباح وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور
وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى
جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله قل هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا
حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا
بها ويتكلفوا امثالها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وهو خلاف ما نهيتم
عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر
المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت
موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة
للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان
قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة
فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل
يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم
ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا
المعرض للامر فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الاول ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين
او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي عليه السلام لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه اذا حلفت على يمين
فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم
اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل
اي لا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض يعني لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترض لكذا
ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى
ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف
مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق
به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به من اولاد
الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رحمه الله
هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لأنكر
ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان أحدهما لا يؤاخذكم الله أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم
بما كسبت قلوبكم أي اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني
لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم أي بما نوت قلوبكم وقصدت من
الأيمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم قرأ عبد الله رضي الله عنه آلوا من نسائهم وقرأ
ابن عباس رضي الله عنهما يقسمون من نسائهم فإن قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص
معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر كقولك لي منك كذا والإيلاء من المرأة
أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر أو لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر إلا ما يحكى عن إبراهيم
النخعي وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها في المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على
العاجز وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولي فإما
أن يفيء وإما أن يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فإن فاءوا فإن فاءوا في الأشهر بدليل قراءة عبد الله رضي الله عنه فإن فاءوا فيهن فإن
الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب وإن كان يجوز أن يكون على رضى منهن إشفاقا
منهن على الولد من الغيل أو لبعض الأسباب لأجل الفيئة التي هي مثل التوبة وإن عزموا الطلاق فتربصوا إلى مضي المدة فإن الله سميع عليم
وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فإن فاءوا وإن عزموا بعد مضي المدة فإن قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة
قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لأن قوله فإن فاءوا وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل
كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول فإن قلت ما تقول في قوله فإن الله سميع عليم
وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من
أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات أريد بهن المدخول بهن من ذوات الأقراء
فإن قلت كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد
ما يصلح له كالاسم المشترك فإن قلت فما معنى الإخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات
وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه
موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده
أيضا فضل تأكيد ولو قيل وتتربص المطلقات لم تكن بتلك الوكادة فإن قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل أربعة أشهر وما
معنى ذكر الأنفس قلت في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك
أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء أو قرء وهو
الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي

يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض الأصلي في العدة
استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة
مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فإن قلت فما تقول في قوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي إنما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا
لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فإن قلت فما تقول في قول الأعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت أراد لما ضاع فيها
من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام
لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ
جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فإن قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص
الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه ظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء فإن قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي
الأقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس
ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ
الزهري ثلاثة قرو بغير همز ما خلق الله في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر
بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز أن
يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه
إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعول جمع بعل والتاء لاحقة
لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن أحق بردهن
برجعتهن وفي قراءة أبي رضي الله عنه بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فإن قلت كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها قلت
المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة إن أرادوا بالرجعة
إصلاحا لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ويجب لهن من الحق على الرجال مثل
الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف
أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت
له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة
بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين
ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك فإمساك بمعروف أو تسريح
بإحسان تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح
الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثالث فإمساك بمعروف أي برجعة أو تسريح بإحسان أي بأن لا يراجعها

حتى تبين بالعدة او ان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان
سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة
والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل
الطهر استقبالا فتطلقها لكل طهر تطليقة وعند الشافعي رحمه الله لا بأس بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه وروي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام
ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة
فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله
فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا مؤتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب
للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند
الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان
ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما
اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امرأة
نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ليلتها ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده
اقر لعيني منها فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة رضي الله عنه يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان يأخذ منها
شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه
واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله رضي الله عنه الا ان تخافوا وفي قراءة ابي رضي الله عنه الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن
يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى
نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند
الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اي لها زوج فيهم وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي
عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة جاءت الى النبي عليه السلام فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي
وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه كان قد مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر
فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت أارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها
فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم رحمهم الله الى انه
غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة رحمه الله مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي عليه السلام انه لعن المحلل

والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج
الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان
لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن
علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها
وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية
وقال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصل ولم يصل
وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها
فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير
ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها
فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي
جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ
ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة واذكروها
مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم
بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم
ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء
في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين
عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل
الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة وان قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح
وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف
بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة رحمه الله انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء
ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد ونحوه ذلكم خير
لكم والطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى وافضل واطهر وافضل من الطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله
يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة
لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس رضي الله عنه ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة
وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله
قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة

حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان عن الحد ليس فى ذلك يوقت لا ينقص منه
بعد ان لا يكون فى الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اى يرضعن حولين لمن اراد ان يتم
الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك
ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابى حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة له او معتدة من نكاح وعند الشافعى رحمه الله يجوز فاذا انقضت عدتها
جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على
وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبى الا ثدى امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب
النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم فى غير المغضوب
عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون
اليهم لا الى الامهات وانشد للمامون بن الرشيد فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللآباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن
ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزى والد
عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسير ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارا وقرئ
لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون ومن لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء
او تضارر بفتحها وقرأ لا تضارر بالفتح اكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهى وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر
ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار
بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوى سكونا وعن كاتب عمر بن
الخطاب رضى الله عنه لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة
وان تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وان تقول بعد ما ألفها الصبى اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته
بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهى تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك
اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون
تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اى لا تضر والدة بولدها فلا تسىء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغى له ولا تدفعه
الى الاب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد فان قلت كيف قيل
بولدها وبولده قلت لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبى منها فمن حقها
ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين
المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى ان مات المولود له لزم من
يرثه ان يقوم مقامه فى ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التى ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبى الذى لو مات
الصبى ورثه واختلفوا فعند ابن ابى ليلى رحمه الله كل من ورثه وعند ابى حنيفة رحمه الله من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعى رحمه الله
لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبى

نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه فى ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث مثل
الباقى من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما فى ذلك زاد على الحولين
او نقص وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما فى الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما
الام فلانها احق بالتربية وهى اعلم بحال الصبى وقرئ فان ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبى واسترضعتها
الصبى تعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء
عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما
اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما أتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اى مفعولا
وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط
للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشىء الذى تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس
راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبى واحتياطا فى امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن
بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن
حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل
معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وهى قراءة على رضى الله عنه والذى يحكى
ان ابا الاسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلى رضى الله عنه على
ان امره بان يضع كتابا فى النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهى اربعة اشهر وعشرة ايام
وقيل عشرا ذهابا الى الليالى والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت
من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
وجماعة المسلمين فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر
كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان تقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج
وعسى الله ان ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح
فلا يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على ابو جعفر محمد
بن على رضى الله عنه وانا فى عدتى فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على رضى الله عنه وقدمى فى الاسلام
فقلت غفر الله لك اتخطبنى فى عدتى وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله وموضعى قد دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابى سلمة فتوفى عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده
حتى اثر الحصير فى يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اى فرق بين الكناية والتعريض قلت
الكناية ان تذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطويل القامة وكثير الرماد للمضياف والتعريض ان تذكر
شيئا تدل به على شىء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك

بالتسليم حتى تنازضيا وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما تريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن ولا تنفكون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله سبحانه علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن سرا قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لاداته الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله عنه الا ان تقولوا لا معروفا وهو ان يقول انك لنافعة وانك لموافقة وانك لجميلة وان اجتمعنا كان كيت وكيت على ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة رحمه الله الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال قدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي عليه السلام انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي

يعني الا ان يعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي رحمه الله وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل والفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تتمروا ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرأ ابو نهيك وان يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا بكسر الواو والصلاة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي عليه السلام انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فاملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين احديهما الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما هي صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة اشد على اصحابه رضي الله عنهم منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من الثلاث وقرأ عبد الله رضي الله عنه وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة رضي الله عنها والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين لله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي رحمه الله يصلون في كل حال والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن تقديره فمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم ومن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين

يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول وقرأ أبي رضي الله عنه متاع لأزواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لأزواجهم
ومتاعا نصب بالوصية إلا إذا أضمرت يوصون فإنه نصب بالفعل وعلى قراءة أبي رضي الله عنه متاعا نصب بمتاع لأنه في معنى التمتيع كقولك
الحمد لله حمد الشاكرين وأعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير إخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعا
أو حال من الأزواج أي غير مخرجات والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم
حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وقيل
نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع أو الثمن واختلف في السكنى فعند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله لا سكنى
لهن فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فإن قلت كيف نسخت الآية المتقدمة
المتأخرة قلت قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء
وللمطلقات متاع عم المطلقات بإيجاب المتعة لهن بعد ما أوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين
كما قال ثم حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري رضي الله عنهم أنها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناول التمتيع الواجب
والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن
يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت
عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياما
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله
ثمانية أيام ثم أحياهم وهم ألوف فيه دليل على الألوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع
التفاسير ألوف متألفون جمع آلف كقاعد وقعود فإن قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فأماتهم
وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم
أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين
على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله إن الله لذو فضل على الناس
حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك
ليعتبروا ويفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في
سبيل الله واعلموا أن الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء إقراض الله مثل لتقديم
العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن إما المجاهدة في نفسها وإما النفقة في سبيل الله أضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي
كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة وإليه
ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع أو شمعون أو شمويل عليهم السلام ابعث لنا ملكا أنهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير
الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن

أمرهم بطاعته وامتثال أوامره وروي أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميرا نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على
أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال أو استئناف كأنه قيل لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالجزم والياء على الجواب وبالرفع
على أنه صفة لملكا وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون
أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير
وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه كقوله تعالى هل أتى على الإنسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا أن
لا نقاتل وأي داع لنا إلى ترك القتال وأي غرض لنا فيه وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم
بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين إلا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم أعجمي كجالوت وداود وإنما امتنع من الصرف لتعريفه
وعجمته وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون
منه إلا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان
عربيا وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا أنى يكون من أين يكون أو كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له فإن قلت ما الفرق بين الواوين
في ونحن أحق ولم يؤت قلت الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا
والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط
لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولأنه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروي أن نبيهم دعا الله
حين طلبوا منه ملكا فأتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت قال إن الله اصطفاه عليكم يريد أن الله هو الذي
اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة
والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد أوحي إليه ونبئ
وذلك لأن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما يملأ العين جهارة لأنه أعظم في النفوس
وأهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه والله يؤتي ملكه من يشاء أي الملك له غير
منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر
عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون
والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن
فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان
وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الألواح وعصا موسى عليه السلام وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى عليه السلام فنزلت به
الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى عليه السلام ومع أنبياء بني إسرائيل بعده يستفتحون به
فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في أرض جالوت فلما أراد الله أن يملك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا
هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة إلى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا

من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ أبي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قيل ما وزن التابوت قلت لا يخلو
من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت
من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء
فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو السمال
سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قيل من آل موسى وآل هرون قلت الانبياء من بني
يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون عليهما السلام
والآل مقحم لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي
كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال
لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب
النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله
مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان
مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه
طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من
الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان
كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بفتح بالسكون فان قيل مم استثني قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن
شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد
دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي
والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى
فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قال لم يبق من المال
الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا الذين آمنوا يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين
نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع
البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا اليوم للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر
بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا
منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت
اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو
داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى شمويل عليه السلام ان داود بن ايشى
هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت

فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الملك مشارق الارض
المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام
الدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت
الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على
الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض
تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت
من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها
من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من
غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم
درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا عليه السلام لانه
هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا
على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى
لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي
تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال
ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من
الرسل صلوات الله عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى
بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو
خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها
فان قيل فلم خص موسى وعيسى عليهما السلام من بين سائر الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام
الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم
هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم
الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل
ما يريد من الخذلان والعصمة انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون
فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط

عليكم بشيء دونكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون
اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال الكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة
من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل
عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام
والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي   وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم   اي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه
حديث موسى عليه السلام انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم
قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني
امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا
لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم
وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته
الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق
عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمه ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصوير قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل
لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي
العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات
والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات
والارض وهو العلي الشان العظيم القدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت
ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء
شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار
الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت
آية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة رضي الله عنهم افضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم من آية الكرسي ثم
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان

وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن
البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته
العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند
الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه   فان العرانين تلقاها محسدة   لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان
على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر
بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان والاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره
السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ
بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان
لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما
الله ولي الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على
الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها
الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة
الم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الملك على معنى ان ايتاء
الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الملك
فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه
قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الملك فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر
قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده
واذ قال نصب بحاج او بدل من آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن
ابرهيم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا
دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم عليه السلام الكافر وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن
قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه
فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي معناه او ارأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل
على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارأيت كالذي حاج ابرهيم عليه السلام او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر
لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد

بصيرة كما طلبه ابرهيم عليه السلم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين
خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناه على الظن روي انه
مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي
ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء
سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت
نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم تلبث مائة سنة وفي
قراءة عبد الله رضي الله عنه فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابي رضي الله عنه لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف
تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام
من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه
راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن
الله ولم يقرأ التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة
سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى
بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال
اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء
الموتى وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله رضي الله عنه قيل اعلم فان
قلت فان كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا ارني بصرني فان قلت
كيف قال له او لم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما
بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب
وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك
فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا
وديكا وحمامة وغرابا فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها
وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد
الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد
ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن
وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى
نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتأملها ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك
قال يأتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها

ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد
في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله
ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع
شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به
غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو
لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات
خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك
المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان
يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم
وان امرأ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء
احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن
والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي
فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى
ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل
اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير
من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته
بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله رئاء الناس اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال
المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان
بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي
كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب
على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق
الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق
الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب
عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد
وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من
اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء

الغاية كقوله تعالى حسداً من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتاً عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد
وتبييناً من أنفسهم فإن قلت فما معنى التبعيض قلت معناه أن من بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه معاً فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها
عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً أصابها وابل مطر عظيم
القطر فآتت أكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فإن لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم
منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع
زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث وأكلها بضمتين أيود
للإنكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والإعصار الريح التي تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن
يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان
وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عنها
الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنهما في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال قل
يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلاً للعمل قال لأي عمل قال لرجل وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ
كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا فإن قلت
كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع
خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليباً لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد
بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل فإن قلت علام عطف
قوله وأصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر وقيل يقال وددت أن يكون كذا ووددت
لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم
ومما أخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فإن قلت فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفاً على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب
على المكسوب والمخرج من الأرض قلت معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث
ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله رضي الله عنه ولا تأمموا وقرأ ابن عباس
ولا تيمموا بضم التاء ويمم وتيمم وتأمم سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا أن تغمضوا فيه
إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر
وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالإغماض وقرأ الزهري تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا
بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه وقيل إلا أن
توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفُقر بالضم والفَقَر

ونستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر
للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلاً وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو
وثواباً عليه في الآخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته
الله الحكمة وهكذا قرأ الأعمش وخيراً كثيراً تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير وما يذكر إلا أولو الألباب يريد الحكماء
العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله أو في سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر
في طاعة الله أو في معصيته فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو لا يوفون بالنذور
من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه فنعما هي نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئاً إبداؤها وقرئ
بكسر النون وبفتحها وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم
والمراد الصدقات المتطوع بها فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع
تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً وإنما كانت المجاهرة بالفرائض
أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل
ونكفر قرئ بالنون مرفوعاً عطفاً على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ومجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده لأنه جواب
الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعاً والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء مرفوعاً ومجزوماً والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب
بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيراً لكم وأن نكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا
عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن
يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس
ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي
لا يوجه مثله إلى الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافاً مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن
الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن
سعيد بن جبير رضي الله عنه كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن ناساً من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود
ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب
نفقتك واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره للفقراء متعلق بمحذوف والمعنى
اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء والذين
أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضرباً في الأرض للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو
من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن
بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا
أمسى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على أصحاب الصفة رضي الله عنهم فرأى فقرهم وجهدهم وطيب

نلويهم تعالى ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء
من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو اللزوم وان
لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي عليه السلام ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف
ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة
لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل
وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت
الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا المصروع
وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير اتساق كخبط العشواء
فورد على ما كانوا يعتقدونه والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن
الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كان انكار المشاهدات من المس
متعلق بقوله لا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع
من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث
يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون
على الايفاض ذلك العقاب بقولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع
فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك
اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا
في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل
الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي
وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيء
فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان
تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن
ابن مسعود رضي الله عنه الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه
الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من
فعل المسلمين اتقوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقي لهم بقايا فامروا بان يتركوها ولا يطالبوا بها وروي انها نزلت في ثقيف

وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء
ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة
الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فأذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من
الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم فايقنوا دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت
كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا
حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون
وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ
ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي
منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل اي ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة
وباسره بها الى ميسرة الى يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤوس اموالهم على
من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف
الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابي
تصيرون الى الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات اذا تداينتم اذا داين
بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى
فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي
حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال
فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم
ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية فاكتبوه انما
امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما
حرم الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق
بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما
بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب
ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى

واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء لغتان قد نطق بهما القران فهي تملى عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيئا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها مجنونا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا يجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة رحمه الله فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرا حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا للشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تساموا ولا تملوا كني بالسام عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب ان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يساموا

ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا ... اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
اي اذا كان اليوم وأشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان والنهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابي رضي الله عنهم كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف فرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك رحمه الله يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به وقرا ابي رضي الله عنه فان اومن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان ينطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذيتمن او الذتمن وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال

القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن أبي عبلة أثّم قلبه أي جعله آثما وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه أو أضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالإصرار ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان الوساوس وحديث النفس لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لأبي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فإن قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو وقرأ الأعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لأن التفصيل أوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه وأحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان والمؤمنون إن عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن ويجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وكتابه يريد القرآن أو الجنس وعنه الكتاب أكثر من الكتب فإن قلت كيف يكون الواحد أكثر من الجمع قلت لأنه إذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء ~~وأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية الجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء~~ وأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن أبي عمرو يفرق بالياء على أن الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون وأحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا أجبنا غفرانك منصوب بإضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك أي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة وقرأ ابن أبي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فإن قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن نسينا فإن قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال ألا ترى إلى قوله وما أنسانيه إلا الشيطان

لا يقدر على فعل النسيان وإنما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما منهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ أو النسيان ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الإصر العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة أبي رضي الله عنه ولا تحمّل علينا بالتشديد فإن قلت أي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحمّلنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا إصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا فانصرنا فمن حق المولى أن ينصر عبيده أو فإن ذلك عادتك أو فإن ذلك من أمورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل فإن قلت هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي عليه السلام من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه رمى الجمرة ثم قال من هاهنا والذي لا إله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة وإذا قيل قرأت البقرة لم يشكل أن المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن النبي عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف فإن قلت كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لأن ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لأن ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وإنما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بإلقاء حركة الهمزة على الدال فإن قلت هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين قلت لأن التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا إبراهيم وداود وإسحاق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فإن قلت إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا قلت الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فإن قلت فما وجه

قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى عليهما السلام ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه هذا حجاج على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب ان يؤولوه التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تأويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله ان تأويله الا عند الله وقرأ ابي رضي الله عنه ويقول الراسخون لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا

لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب جامع الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم قريظة والنضير الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى عليه السلام وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون فهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترءوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين

ولا لكونه صفة ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف
يُرَونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئةٌ تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص
او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد
اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زُين للناس المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد
زَيَّن للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان التي
ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة
مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زُين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا
في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك
عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء
الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج
الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول
هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع
جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جناتٍ بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق
او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو
المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل
فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر
اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما
اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة
واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وما يامر به
عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان
قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم
الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز
لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر
الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة
قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل
لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته

حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي
ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه
من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي
العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة
واولو العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله رضي الله عنه القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف
وقرأ ابو حنيفة رحمه الله قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز
الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة
والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه
او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت
فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان
الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي
اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين
على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان
دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا
ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله رضي الله عنه ان لا اله
الا هو وقرأ ابي رضي الله عنه ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاول وكسر الثانية وقرئ شهداءَ لله بالنصب
على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت ما وجه عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم
قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا
للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل
للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى
الوحدانية والعدل الذين اوتوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من
بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا
من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجويز لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهرهم بالمذاهب هؤلاء الا
حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو
اختلافهم في نبوة محمد عليه السلام حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن
بعيسى عليه السلام وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء

عليها واستخلاف يوشع فلما مضى قرون بعد قرون اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا
والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى عليه السلم بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين
فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني
دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن
معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل
ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب
لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد
على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك
ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة
وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه
وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص
الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور
وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرأ الحسن ويقتلون النبيين
ويقتلون الذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول
قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة
قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا
من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن
المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت
لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان
لا تغير معنى الابتداء اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض
واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية
ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم
وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وفي المحكم عاليا للعقول
والوجدان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي

لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم
يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم
امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء
يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم
وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها
تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد
ثم يأمر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي اللهم في
اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام
التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من
تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك
الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ووعد امته
ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب قطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فخرج من بطن
الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق
لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما
وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل
افعال الله من نافع وضار صادرة عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل
والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على
تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم
ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم وهو معنى قوله عليه السلم كما تكونون يولى عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير
ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى

اولياء لا يجتمعان تؤمنون بالله والمحبة في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين
مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء
يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال
تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه
وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة
ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا لقول عيسى صلوات الله عليه كن
وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى
تحذروا وتخافوا فيتعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من
ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى
عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته
المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص
بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب
فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد
ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به
فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد
منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم
وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره والذي
عملته من سوء تود هي لو ان بينها وبينه ولا يصح ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على
قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت
لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين
اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله
رؤوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرافة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة
وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا
لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه
بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة
فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه
واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك انه لا يعرف ما الله ولا يدري
ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله
ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه
قد ملؤوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم ويحببكم من حبه يحبه قال اخب ابا ثروان من حب تمره
واعلم ان الرفق بالجار ارفق ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق فان تولوا يحتمل ان يكون
ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم آل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل
عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمان مائة سنة
ذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض
موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق
وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم
يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل
باضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ
قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه السلام والقول الآخر يرجحه ان موسى
يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام ولعمران
بن ماثان مريم البتول فما ادريك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت
كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا
بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة وروي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة
بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه
ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين
ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي رحمه الله محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير
او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تأويل
الجبلة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى
انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك
لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تأويل الجبلة والنسمة فهو ظاهر كأنه قيل اني وضعت الجبلة

أو النسمة أنثى. فإن قلت فلم قالت إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت
من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها
بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله أعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله
أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة
ابن عباس رضي الله عنه والله أعلم بما وضعتِ على خطاب الله لها أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه
وعلو قدره وقرئ وضعتُ بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها فإن قلت فما معنى
قوله وليس الذكر كالأنثى قلت هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت
كالأنثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فإن قلت علام عطف قوله وإني سميتها مريم قلت هو عطف على إني وضعتها
أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فإن قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت
لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق
فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد إلا
والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود
يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم
المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل
قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا
ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر
بقبول حسن فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها
بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روي
أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل
وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي أختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين
إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها والثاني أن يكون مصدرا على تقدير حذف
المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها
كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه قال القطامي
وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الأمر بقوابله أي تأخذها في أول أمرها حين ولدت
بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها وكفلها زكريا
بوزن علمها وكفلها زكرياء بتشديد الفاء ونصب زكرياء والفعل لله تعالى بمعنى وضمها إليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها

وقرئ وكفلها وفي قراءة أبي رضي الله عنه وأكفلها وعن مجاهد فتقبلها وأنبتها وكفلها على لفظ الأمر في الأفعال
الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكرياء كافلا لها قيل بنى لها زكرياء عليه السلام محرابا في المسجد
أي غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم
تسمى المحاريب وروي أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب وجد عندها رزقا كان رزقها
ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أنى لك هذا
من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك قالت هو
من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد وعن النبي عليه السلام أنه جاع في زمن قحط فأهدت
له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا
ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته
عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها والله يرزق من جملة كلام مريم أو من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب
بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب
أو في ذلك الوقت وقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في أن يكون له من إيشاع
ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه
على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه وقرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل
وإنما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل أن الله يبشرك بالفتح على بأن الله وبالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع من القول
وقرئ يُبشِّرك ويُبْشِرك من بشره وأبشره ويَبشُرك بفتح الياء من بشره ويحيى إن كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف
والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به وقيل هو
أول من آمن به وسمي عيسى كلمة لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من
الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف
وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء
حصرا لنفسه أي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الأخطل وشارب مربح بالكأس نادمني
لا بالحصور ولا فيها بسآر وما سمعي لمن لا يدخل مع اللعب اللهو وقد روي أنه مر وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب
فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء عليهم السلام أو كائنا من جملة الصالحين كقوله
وإنه في الآخرة لمن الصالحين أنى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة وقد بلغني الكبر كقولهم أدركته السن العالية
والمعنى أثر في الكبر وأضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك الله يفعل ما يشاء من
الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي على نحو هذه الصفة

الله يفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت
بالشكر قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم
خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس
وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل
لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كأنه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل
له آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا
اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين
جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني
فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين
زوال الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال
اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم
منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة
عيسى عليه السلام اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفتك به
اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب لم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلاة بذكر القنوت
والسجود لكونهما من هيئات الصلاة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة
او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم
ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ
زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها
معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس
من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم
بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا
اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة
تبركا بها اذ يختصمون في شأنها تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم تعلق قلت بمحذوف دل عليه
يلقون اقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق
والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع
ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة
ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت

لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه تولد من غير اب
فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها
مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى والابن لقب وصفة قلت الاسم
للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين
ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة
والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد
ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه
يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ
فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل عليه السلام بمعنى يا سيدي ونعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على
يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله
اني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضائق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول
تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى
النطق فكأنه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق لما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم
اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي
اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير
فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا وقرأ عبد الله رضي الله عنه فانفخها قال كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما وقيل لم يخلق
غير الخفاش الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي
صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما كانت مداواته
الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر
فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولأحل رد على قوله بآية من ربكم
اي جئتكم مصدقا ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم
عيسى عليه السلام بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على
تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله عز وجل او موسى عليه السلام لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم
وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على
هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا
القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة
العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير

والابرص والاحياء والانباء بالمغيبات وبغيره من ولادته بغير اب ومن كلامه في المهد وسائر ذلك وقرئ وجئتكم بآيات
من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى من فتح ولكن الله
ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض
فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كأنه قيل
من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن
انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن
ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح وفي ذنوبه الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما
طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين
يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني اسرائيل
الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى
قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر
الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا
بايديهم ورافعك الي اي الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك
من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك
بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان
اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرئ
فنوفيهم بالنون ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى عليه السلام وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ
محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن
وصف بصفة من هو سببه او كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شان عيسى عليه السلام وحاله الغريبة كشان آدم عليه السلام
وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم عليهما السلام اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمه اب ولا ام وكذلك حال عيسى
فان قلت كيف شبه به وقد وجد بغير اب ووجد آدم بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه
دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة
وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم
واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية
الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا

من طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو
الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس نهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات
والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا والمراد
المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة
ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من
قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما
دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن
فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين
آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم وهو يقول لهم اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر
النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض
نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك ان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا
ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من
حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله
ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن
خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه
بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه
حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمه كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم
من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن
بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي عليه السلام
لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق قرئ بتحريك الهاء
على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ
والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر

كان دخولها على الفصل الجوز لأنه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله مزيدة للبناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم مان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب يعني استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابرهيم وقيل الاصل هانتم هوا انتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كانه اراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا رضي الله عنهم الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين انما يضلون امثالهم من اشياعهم بآيات الله بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وانتم تشهدون تعترفون بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق لم تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا تدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قل ان الهدى هدى الله معنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك لم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لم يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون

ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا
حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه ساله رجل فقال انا نصيب في الغزو من
اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا
في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم
وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده راجع الى
من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى
اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ
عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير
الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال
السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب نظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان
بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك
وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل
جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت
ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا
قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت فيّ كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله
يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه
اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر
الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز
عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم
يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لوّوا رؤوسهم وعن مجاهد
وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام
يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف اي لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء
بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب

ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما يفصحون بان في التوراة هكذا وقد انزله الله على موسى عليه السلام كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة
قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة
رسول الله ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل ان ابا رافع القرظي
والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك وان نتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما
بذلك بعثني ولا بذلك امرني وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد
من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب
الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات
ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل
المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن
العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة
حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلّمون من التعليم وتعلَمون من التعلم وتدرّسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى
درّس كاكرم وكرّم وانزل ونزّل ويجوز ان يكون من التدريس بمعنى تدرسون بالتخفيف ومعنى تدرسونه على الناس كقوله لتقراه
على الناس فيكون معناها تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع
حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد
معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس
بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان تجعل
لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك
ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر
وتنصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في لا يامركم وايامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على
ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين
بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي
وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على
زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم
وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى الذي آتيتكموه
لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم

لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان يكون
ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول
للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيناكم فكانه قيل للذي آتيناكموه وجاءكم رسول مصدق
له وقرأ سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته
وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لمّا
ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ أُصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر
اي يشد ويعقد ومنه الاِصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اِصر كعِبر وعُبر وان يكون جمع اِصار فاشهدوا فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة
الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون
من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول
الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب
اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا من دين ابراهيم عليه السلم وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال عليه السلم
كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم عليه السلم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة
ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه
وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما
رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك
اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت
لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله
قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء وياتيهم على وجه الانتهاء فقد
تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون
مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل
منه من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله
قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا
بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي عليه السلم بعد
ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا
بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت

فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر
... ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي
لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا
او دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه
اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى
والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على
ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان
قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة
عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون
على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت لم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت
قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل
فيه على التسبب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى
لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب
وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان
قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي
التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان
الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهبٌ بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا
رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى
بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته
ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ، ولا هيثم الليلة للمطي ، وقضية ولا ابا حسن لها ، تريد ولا مثل هيثم
ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت فذكر المثل لان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد
وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء
الارض على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزة لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر
ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها
كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال
يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال

وانجح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها
فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله اما
ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى
فلما جاءت اعجبته فقال ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي
فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي
وفي قراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء للتبيين فما تنفقوا
اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام
والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك
استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم
الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني
اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه
ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الى قوله جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القران من تحريم الطيبات عليهم
لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم
جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل
الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا
بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم
قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي عليه السلام وعلى
جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة
القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك
جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام
التي عليها محمد ومن امن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية
اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابيكم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة
من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس
الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون

سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة
والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء
على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم عليه السلام قالت له الملائكة طف حول هذا البيت
فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من
الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مخيطة ومغيطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام
الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة
قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله
مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن
في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام
ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل
وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم
كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية
وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة
آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان
ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر
قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة
عيني في الصلوة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام
ابرهيم واحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان
آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن
داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى
ولك فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان
الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل
انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى
شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى

الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل
بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا
من النار وعن النبي عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله
من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع
بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن
ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من
لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال
ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى
الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد ومنها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله
في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان
من التوكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين
مختلفتين ومنها ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان
ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء
لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم
قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج
فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن
النبي عليه السلام حجوا قبل ان لا تحجوا وحجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت
في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر
والله شهيد والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال
توجب ان لا تجترءوا على الكفر بآياته قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر
بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود
الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها
اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان
احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن

وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء
انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم
وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تآلفوا واجتمعوا بعد الذي كان
بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض
ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي عليه السلام فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله
بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا
وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه
الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية
وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه
في دفع شرور الكفار ومكائدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر
عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه
وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع
منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم
ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد
ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وانت
على جواد فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان ولم يعتصم بحبله يجوز ان يكون
تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده
والاعتصام لوثوقه بالعهد ترشيحا للاستعارة بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تتفرقوا عنه
او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق
بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا
ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك
بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة
فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله
وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك

بالاسلام وألّف بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر
فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما أنّث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال
كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة
وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت
لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع
فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم أمة من للتبعيض لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته
وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن
غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث
كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة اخرجت
للناس تأمرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي عليه السلام انه سئل وهو على المنبر من خير الناس
قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في
ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور
به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان
قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم
السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر
الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على
ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت
ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد الآلة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة
عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر
قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد
اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه
اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر
غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان
قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه

فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد
الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر
فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من
الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى
كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل
هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب الظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ
تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم
ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم
بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من
ظلمات الباطل واهله أكفرتم فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان
تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل
هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال
كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب أشيء تقوله برأيك ام شيء سمعته
من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه
الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارض منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على
انفسهم ألست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله
ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات
الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ
احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكّر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه
فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل
على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل
كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تأمرون كلام مستأنف
بيّن به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا
بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير
مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن
اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع
العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان

من اهل الكتاب منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عني صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول الله صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفات لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون

بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين فلن يكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قالت ليلى الاخيلية ولم يغلب الخصم الالد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تشبيه قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها انتم ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره

ال

ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث تبذلون محبتكم لاهل البغضاء وقيل اولاء
موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما
بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحارث بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة
يعضون من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم
من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء
وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت
اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم
وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون
فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم
امرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل
حدث نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم
حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة
قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه
من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم
من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم
من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك
ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه
واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله
اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال
بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها
خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا
بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل
فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت

فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت
للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في
عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من
ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد
وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك
وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان
من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل تسعمائة وخمسين
والمشركون في ثلثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم
الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث
نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة
اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب
يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد
والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية
والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف
بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل
الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم
الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قليل والذلان جمع الكثير وجاء
بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على
النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم
في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا
الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم
احد فان قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى
عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت
وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد
بثلثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين

من النصر وبلى إيجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين
للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه
قول أبي حنيفة رحمه الله الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث
فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة
في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر
الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم
وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة
بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة
قد تسومت وما جعله الله الهاء لأن يمدكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة
لبني إسرائيل بشارة وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن
ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي
النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين
من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب لأكبت حاسدا وأري عدوا هو من الكبد والرئة
واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر أو بقوله وما النصر إلا من عند الله أو يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الأمر شيء اعتراض
والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد
مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وقيل إن يتوب منصوب بإضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء أي ليس لك من
أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن
يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن
وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت
وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يؤمن وعن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين
ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالما وإتباعه
قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون ولكن أهل الأهواء والبدع
يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنهما من قولهم يهب
الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه
من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي أعدت للكافرين
كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب

محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها
لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وإن قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف
الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير
واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما يستحقان به عرضها
السموات والأرض أي عرضها عرض السموات والأرض من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله
بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء
واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما حكي عن بعض السلف أنه ربما تصدق
ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور
ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو حبس فإنه لا يدع الإحسان وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء
على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم
القربة إذا ملأها وشد فاها وكظم البعير إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا
وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت
لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين
كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي عليه السلام إن هؤلاء في أمتي
قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل
تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين وللتائبين وقوله أولئك
إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم أو أذنبوا أي ذنب كان
مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوها وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا
الله تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين
عازمين ومن يغفر الذنوب إلا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع
للمذنبين إلا فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو
والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه
أعظم والمعنى أنه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير
مستغفرين وعن النبي عليه السلام ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وهم
يعلمون حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها
والوعيد عليها لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون
ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ونعم أجر العاملين بعد قوله

جزائهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول
المبطلون وروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلم ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل
بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة
ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة
البصرية انها كانت تنشد ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم
اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد سنة الله في الامم المكذبين من وقايعه كقوله وقتلوا تقتيلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا تجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم
عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين
يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة
معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين
والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا
عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم
واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان
ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم
الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه
او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا
منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم تضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان تخالفوا امر رسول الله
فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل
يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم
من بعد ما اريكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول
هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء
كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي
سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر
هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء
قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة يقال

يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس الا مثلا سماحا وقال داود اشبههم البني فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان
احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل يعني فعلنا ذلك
فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق
به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون
كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه
ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة
يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى
لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء
الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم
يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم
ومحو آثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم
منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيها ضربا من التوقع
فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما
يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل
السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل
ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان
رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون
اي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم
الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة
وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان
من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسانا الى عدو الله
وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا لما رمى
عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية
يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ
الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا وجعل رسول الله يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم

فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروى انه لما صرخ الصارخ
قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا
الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ
اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت
ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو
كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة
الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه أفائن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها
على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع
علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه فان
قلت لم ذكر القتل وقد علم الله انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه
من ناحية قوله تعالى والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا
بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله يقوم
به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على
وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله واسلامه فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر الا انفسه لان
الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين
لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا والمعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد
ان يقدم عليه الا ان يأذن له الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله
وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ
اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه
له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم
لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي
الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد نؤته وسيجزي بالياء فيهما قرئ قاتل وقتل وقتل
بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد
تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح
على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا
عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله

ويضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان
من ابي سفيان وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا
والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة
وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتيهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على
فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت
في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا
منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو
رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم
وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم الى
موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون
والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة
وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما
عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم
ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت
لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من
فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا
الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا
خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما
اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي
يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم الفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا وقال
بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم
من يريد الاخرة ونفر اعقابهم ينتهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على
المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم
على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله
ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء
رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره

ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد
الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تَصعدون
يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة أبي رضي الله عنه اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تَصَعَّدون بفتح التاء وتشديد
العين من تصعّد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم
كان يقول اليّ عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر
الناس وأخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فأثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غمًّا حين
صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غمًّا مضاعفًا غمًّا بعد غم وغمًّا متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف
به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا
باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فأثابكم للرسول اي فآساكم
في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غمًّا اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله
ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم
من غلبة العدو انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس
ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن ابن الزبير لقد
رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير
والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والأمنة الامن وقرئ أمْنة بسكون الميم كأنها المرة من
الامن ونعاسا بدل من أمنة ويجوز ان يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى
نعستم أمنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة او على انه جمع آمن كبارّ وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء
ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا همّ
انفسهم لا همّ الدين ولا همّ رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حلّ بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي
والتباث غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز
ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن
الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن
مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسألونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر
المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر
والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما
يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم
لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون

لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه
المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم
وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه
ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب
في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك
شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى أحد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبي وغيره ولو ملكنا
من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وعلا قد دبّر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا
من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم ومن كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرّز بالتشديد وضم
الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك
لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة للطائفة
ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل
من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسألة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت مسألتهم
صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون
بدل من يخفون والاجود ان يكون استئنافا استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين
انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب
حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان
الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم
المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم الى الهزيمة وقيل ذكّرهم خطاياهم فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد
حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو
عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم
كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في
الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزًّى جمع غاز كعافٍ وعفًّى في قوله عفى الحياض أجون
وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال
الماضية كقولك حين يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون
حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده
ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه
ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده

نظلم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور نقل الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ويجوز ان
يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون
ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء
وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله
بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وترى بالياء يعني الذين كفروا المغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون
كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن
الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت
في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وترى بالياء
اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقدمه
وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة ما مزيدة للتوكيد والدلالة
على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف
بهم حتى اغتم لهم بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم
وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع
من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي عليه السلام ما تشاور
قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله ما رأيت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله وقيل كان سادات
العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي
دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك
على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت
لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان
يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك
من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما
يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون
ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل غلولا
واغل اغلالا اذا اخذ في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه
قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعينه ليس على المستعير

ومنه

غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال وقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل
وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح
له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول
متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول
رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي عليه السلام الم اعهد اليكم ان لا تتركوا
المركز حتى يأتيكم امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة
في النهي لرسول الله على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي
قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل
من اغل يعني غل الجاز ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه
وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله
شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل
ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت فان قلت هلا قيل ثم توفى ما كسب ليتصل به قلت جيء
بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره اي كل كاسب خيرا او شرا مجزي فموفى جزاءه علم ان الغال متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب
وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله
انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل
المعاقبين او التفاوت من الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من
الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا
مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت ما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم
كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى التصديق
والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها
من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة
مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج
خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس
ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل
وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه

اذ بعث فيهم محذوف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه أصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين و لما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا قل هو من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم تارة اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسّم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل بحلفائه فقيل له تعالوا قاتلوا او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم

احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي عليه السلام لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف
٤ عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على اعمالهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه

لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين أحسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا بكر والزبير الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد وقيل مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الأولون المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه فإن قلت كيف قيل الناس إن كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له إلا فرس واحد وبرد فرد ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فإن قلت إلام يرجع المستكن في فزادهم قلت إلى المقول الذي هو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانا أو إلى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده فإن قلت كيف زادهم نعيم أو مقوله إيمانا قلت لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد إيمانا وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به حسبنا الله محسبنا أي كافينا يقال أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي

ذلك تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزو فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم إنما ذلكم الشيطان خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس لعنه الله يخوف أولياءه يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله فإن قلت فإلام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت إلى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا تخشون أحدا إلا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام فإن قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه فإن قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة قلت فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى إن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على العكس وشيئا نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب أنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل منه أي ولا تحسبن أنما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف فإن قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث إن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على لا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم إنما نملي لهم ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما لهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما فإن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم قلت هو علة للإملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وإنما هي علل وأسباب

فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتأكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمن المخلص والمنافق حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي عليه السلام في مانع الزكاة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو

اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على بما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجترائهم السيئات في استحقاق العذاب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الآيات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقولهم نعوذ بما قالوا اي بمعنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة

من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب
وعن النبي عليه السلام من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي
إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه
إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على
احتمال ما سيلقون من الأذى ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الأنفس القتل
والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وفي الأموال الإنفاق في سبل الخير وما يقع فيها من
الآفات وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن
الأشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص من بني قريظة والنضير فإن ذلك من الصبر والتقوى
من عزم الأمور من معزومات الأمور أي مما يجب العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون يعني أن ذلك عزمة من
عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا وإذ أخذ الله واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب واحتسابه كأنه كالمؤكد على
الرجل إذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا
إليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه وكفى به دليلا على أنه مأخوذ
على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب
إليه غيرهم وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب إني أرى الله سوف يعذبك بهذه
الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على
علمه ولا يحل لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على
أهل العلم أن يعلموا وقرئ ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء لأنهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا إلى بني
إسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله وأحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم
تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح
الباء فيهما على أن الفعل للرسول وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن الفعل للذين يفرحون والمفعول
الأول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى
بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى إنه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة
أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علي رضي الله عنه بما أوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه وروي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه
وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من

تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل يفرحون
بما أوتوا بما أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت الرسول ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من
اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا إليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون
بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم
الكفر ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما
ليس فيه ولله ملك السموات والأرض فهو يملك أمرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لآيات لأدلة واضحة على الصانع وعظيم
قدرته وباهر حكمته لأولي الألباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين
عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة
مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني بأعجب
ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم
قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى
قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد
الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي
فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا أبكي وقد أنزل
الله علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها
وعن علي رضي الله عنه أن النبي عليه السلام كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات والأرض
وحكي أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له أمه لعل
فرطة فرطت منك في مدتك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت إلا من ذاك يذكرون
الله ذكرا دائبا على أي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في أغلب أحوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة
أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله
على أقدامهم وعن النبي عليه السلام من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الأحوال على حسب
استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب تومئ إيماء وهذه
حجة للشافعي رحمه الله في إضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند أبي حنيفة رحمه الله أنه يستلقي حتى إذا وجد خفة قعد ومحل على
جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كأنه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والأرض وما يدل
عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع
وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان

يبول اللهم من طول حزنه وفكره وعن النبي عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء
فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب
الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة
وروي عن النبي عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر
في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على
ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي
حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله
فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد
به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها
في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث ان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه
وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة
الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم
فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال
لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت
ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي
للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض
النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي
للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه
له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول الداعي
الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا
مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك
على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر
المنادي للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة
على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق
فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجأ الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع

علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجأ الذي هو سيما العبودية يقال استجاب له
واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع
بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي
من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء
مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر
النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة
وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما
سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين
واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول
للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا
من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده حسن الثواب اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر
عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل
اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الانابة من احتمال المشاق في دين الله
والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل
والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد
وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما
يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم
عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم
في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين
كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد
فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومتقدمهم
يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان
عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير
قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب
وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون
الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة
او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لأنفسهم النزل
والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء
من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزلا
بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكنّ الذين اتقوا بالتشديد وإن من أهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام
وغيره من مسلمة أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلم
فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلم إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلم اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير
النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت
ودخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما كقوله وإن منكم لمن ليبطئن وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم
وكبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتيكم كفلين من
رحمته إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد أن ما توعدون
لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب
لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته
ورابطوا وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو
الله وعدوكم وعن النبي عليه السلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته إلا
لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلم من قرأ السورة
التي تذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة ثم علم
من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم فإن قلت علام عطف وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف
على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها ~~وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم~~
~~من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها~~ وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة
هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي جنس الإنس وهما الذكور
والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها
الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها
أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام

وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل
الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا
على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة
عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما
يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من
أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها
زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فأدغمت التاء في
السين وقرئ تساءلون به بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل
الاستعطاف وأنا شدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال
وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا أو غير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلث فالنصب على وجهين إما
على واتقوا الله والأرحام أو أن يعطف على محل الجار كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود رضي الله تساءلون به وبالأرحام
والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت
به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير
العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو
الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والأيام من عجب
والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا
يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام
فلا تقطعوها واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرحم وقد آذن عز وعلا إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان
كما قال ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة
عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع
احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلم تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن تضع ولدك في الحلال ألم تسمع قوله واتقوا
الله الذي تساءلون به والأرحام وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة
ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم
الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات فإن قلت
كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتم من وادي الآفات
والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس ثم يقال يتائم ثم
يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن

بلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كفالة كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم
هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها
حين كان صغيرا ناشيا في حجر عمه توضيعا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا
احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى
الصغار وبايتائهم الاموال ان لا تطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة
حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا
بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا
ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن
اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي عليه السلام فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى
ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي عليه السلام ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر
وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال
اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث
وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال
والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم
ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا
ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية
بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل اموال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم
اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا
يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه
قيل ان اكلها كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال
والطرد والطرد ولما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك
الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج والثمان
والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك
العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما
وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية

اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان
الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن
وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن
ما طاب لكم وقيل للاناث اليتامى كما قيل للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم وقرأ النخعي تقسطوا
بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي
في آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهن
نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات
لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين اثنتين او ثلاث
او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من
العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له
معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول
اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة
وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع
القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤوا
مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع
فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان
الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم
واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن
اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن
ام لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من
ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال
له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله
انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من عال الرجل عياله لانه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على
حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة
والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا
وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى

كعباد الهوى ابا عاني علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسيره هذه الكلمة طريقة الكنايات
فان قلت كيف تقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهاير قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج
التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى
التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة
تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس
لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون
الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك ظلمة ظلمة
نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك
جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة
اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء
او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة
ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان تكون
حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون
هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كأنه قيل
عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في
قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق فقال اردت كأن ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو
الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كأنه قيل اصدق وتفسا
نفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن
طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت
منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امرأته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع
فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها
فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امرأته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث
شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي
بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما
امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال
اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا
كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة
فكلوه

سائغا هنيئا وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم
ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن
لكم عنها بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او
تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول
ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا
لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم
الى فم المعدة المريء لمرء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو
هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه
عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم
باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال
ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على ان الخطاب للاولياء قوله وارزقوهم فيها واكسوهم
جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى
قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك
به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان
وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا قال لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني
عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا
له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب
المال فلا يأكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امرأة يعلم انه
يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت
اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك
وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر
وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية
دفعتم اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو
التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ان يدفع
اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رحمهما الله الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء
ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد

الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة
فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد
او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا
من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت
كيف نظم الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله
فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط
وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول
الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرا
ابن مسعود رضي الله عنه فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين
اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل
ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع
ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا
على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي عليه السلام ان رجلا
قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه
ولدك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها
وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة
فما فوقها وعن ابرهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه
منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي رحمه الله ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد
يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت
ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان
استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا
عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه
اذا لم يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا يصدق الا بالبينة فكان
في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة
عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم
مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا
لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة

روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امراته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة
ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز
الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت
فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة
الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه
الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم
هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له
حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهم قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها
حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية وعن سعيد بن
جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا
بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم
يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى
الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش ما في حيزه صلة للذين والمراد
بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا
وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى
وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا
فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد
انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم
واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم
الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين
صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب
كافلهم وكاسبهم كما قال القائل لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي
وان يشربن رنقا بعد صافي وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء
ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين
الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله لسعد انك
ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية
الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين

ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال
كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم
يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ
سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويأمركم
في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا
قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان
قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا
الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب
لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل
ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد
اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان
الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات
نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء
اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ
واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت رضي الله عنه النُّصف بالضم والضمير
في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق
لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت
وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كأنه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان
يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضمير في كن وكانت مبهما ويكون نساء وواحدة تفسيرا له على
ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة قلت لان
الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن
واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال
اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر
قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس رضي الله عنهما ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق
اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة رضي الله عنهم فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي
يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحد

فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان
كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين
بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن
حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها
ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل
واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه
السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس
واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا
كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن
ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا
اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد
ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له
ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال ولابويه لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رضي الله عنهما والمعنى
ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون
ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه
والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين
الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج
النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين
فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب
خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام
فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية
المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة
عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق
بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها بالتخفيف
والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه
ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على
الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض

كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم
مطمئنة بادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما
في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم اي لا تدرون من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى
منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن
ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان
كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب
الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من
ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل
ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن
اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان
هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد
اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من
غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن
وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه
كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على
البناء للفاعل وكلالة حالا او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت ينطلق على ثلثة على من لم يخلف
ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث
المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من
الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة
الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول
فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما
للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان
قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث
فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول
اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل
تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على
التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان

كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك
ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي
وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة
للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس
وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر
الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان
يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار
في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله
مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من
الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد والا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر هذا
الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا
وعيد فان قلت في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في
قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرا يوصى بها على
ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له
بالغدو والآصال على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا
عما يدل عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان
الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء
والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال
فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من
الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ياتين الفاحشة والفاحشة الزنى لزيادتها في القبح على كثير من القبائح
فامسكوهن في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى
الزانية والزاني الآية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن
في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل
الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك
الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت قلت
يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ويستوفي ارواحهن واللذان
ياتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان

تابا وأصلحا وغيّرا الحال فأعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن
يكون خطابا للشهود العاثرين على سرّهما ويراد بالإيذاء ذمّهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحدّ فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام
فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذانّ بتشديد النون واللذانِّ
بالهمز وتشديد النون التوبة من تاب إذا قبل توبته وغفر له يعني إنما القبول والغفران كالمحتوم على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع
الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه الحكمة
والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة
الموت ألا ترى إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت فبيّن أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك
في حكم القريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن
النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي عليه السلام إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن
الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا أغلق
عليه باب التوبة ما لم يغرغر فإن قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض أي يتوبون بعض
زمان قريب كأنه سمّى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء من أجزاء هذا الزمان تاب فهو تائب
من قريب وإلا فهو تائب من بعيد فإن قلت ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم
قلت قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة
بأنه يفي بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف على الذين
يعملون السيئات سوّى بين الذين سوّفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت
أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوّف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما
أوان التكليف والاختيار أولئك أعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان
لا محالة فإن قلت من المراد بالذين يعملون أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار قلت فيه وجهان أحدهما
أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا
ويكون قوله وهم كفار على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقوله فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا
من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لأن من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لأنه
لا يجترئ على ذلك إلا قلب مصمت كانوا يبتلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان
الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل لا يحل لكم أن
ترثوا النساء كرها أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان
يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بإمساككم وكان الرجل إذا تزوج امرأة
ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض

ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضّلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه
إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة وهي النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي إلا أن يكون سوء
العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبيّ رضي الله عنه إلا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة
الزنى فإن فعلت حلّ لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها وعن
أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه
يعني وإن زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل وعاشروهن بالمعروف وهو النَّصَفة في المبيت
والنفقة والإجمال في القول فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين
وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وكان الرجل إذا طمحت عينه إلى استطراف
امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج غيرها فقيل وإن أردتم
استبدال زوج الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء إذا رفعته ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد قال
كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا
بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأة من
نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم
إحداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه عليّ حتى تردّ عليّ
امرأة ليست من أعلم النساء والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لأنه يبهت عند ذلك أي
يتحير وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين أو على أنه مفعول له وإن لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا
والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظا أي بإفضاء بعضكم إلى بعض ووصفه بالغلظ
لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي
عند العقد أنكحتك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبي عليه السلام استوصوا بالنساء
خيرا فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابّهم وناس
منهم يمقتونه من ذوي مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كأنه قيل هو
فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على أن
ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والإكراه وقرئ بفاحشة مبيَّنة من أبانت بمعنى تبينت أو بيّنت
كما قرئ مبيِّنة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على أنه في موضع الحال وآتيتم إحداهن بوصل همزة إحداهن كما قرئ
فلا إثم عليه فإن قلت تعضلوهن ما وجه إعرابه قلت النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد
النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن فإن قلت أي فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها
بالهمزة قلت إذا عدي بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الإذهاب

نكالا زالة فان قلت الا ان يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا ان يأتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخ بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الارضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا ترى انك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة وليس يصح ان يعنى بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعرض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي عليه السلام في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا

ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنه ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرؤوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما انزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة رحمه الله وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الآية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا والمحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له

معنى بين لكم ما يحل مما يحرم اراده ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين
لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان
العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح وان ابن مفعول تبتغوا
ويجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود الا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان
تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من
المذي فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن
عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن
للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن واجورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة
حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة فيما يحط عنه من المهر او يهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق
وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله تعالى مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة
او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن
عمر رضي الله عنه لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي عليه السلام انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس
اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس
هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب
اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو
طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء
يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع
زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس رضي الله عنهما من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج
وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله واما ابو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء
في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية
عن ابن عباس انه قال مما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من
فتياتكم المؤمنات الظاهر الا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة
المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس
بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما
فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله
نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم

المتحالفين في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل
ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل
في الايمان من الرجل وحق المؤمنين الا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح
الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا
برجحان فيه فانكحوهن باذن اهلهن اشترط اذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة رحمه الله ان لهن ان يباشرن العقد
بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى
الاقتضاء واللز فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم فلم قيل وآتوهن قلت
لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات
عفائف ولا متخذات اخدان اخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن
نصف ما على المحصنات اي الحرائر من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرؤا عنها العذاب ولا رجم عليهن لان
الرجم لا ينتصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت
انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى
ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا اي وصبركم في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة
التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل
اعمالكم وان يهديكم مناهج من قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم
الى الطاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفرها لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون
به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم
منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات
الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ
والاخت فنزلت يقول تريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق
الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم
قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف
على فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل
ونصب الانسان وعنه ثمان آيات في سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين
لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله
لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة

والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارةً على الا ان تكون التجارة تجارةً عن تراض
منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض
صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين
بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد
متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله
بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ علي رضي الله عنه
ولا تقتّلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتل انفسهم
ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ذلك اشارة الى القتل
اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا نصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونَصليه
بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا اي نارا مخصوصة
شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير
ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت
على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة
والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى الطاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق
من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن
علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والربا ومال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة
وزاد ابن عمر رضي الله عنهما السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي
الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وندخلكم وقرئ يكفر ويدخلكم بالياء ومدخلا بضم
الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه
والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق
او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو
كان خلافه لكان مفسدة ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء
على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من
الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل لما قال الرجال ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن
سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله
كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل تبيين لكل اي ولكل مما ترك
الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي عصبة وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك

الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من
خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من
صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كأنه قيل من هم فقيل
الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم
ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد
بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي
سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ
وعن النبي عليه السلام انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا
في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة
خلافا للشافعي رحمه الله وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد
والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك
والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على
بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل
الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء
وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة رحمه الله
والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح و
الطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا بسبب ما اخرجوا في
نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته
حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي
فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف
في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل
واما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة
اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من
الفروج والبيوت والاموال وعن النبي عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك
واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى
بهن الازواج في كتابه وامر رسوله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن
ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد

على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظَ اللهَ بالنصب على أنّ ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ
حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح
قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن نشوزهن ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه
واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف وهي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها
ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك
لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن
الوعظ والهجران قيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير
الثقلاء وقالوا الواجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي عليه السلام علق
سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا
غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها
فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان
لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته
عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود ~~رضي الله عنه~~ الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له
فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او
ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو
عمن يجني عليكم اذا رجع شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل
مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم
نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا
مقنعا رضيا يصلح للحكومة والعدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة
والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل
يليان الجمع بينهما والتفريق ان رأيا قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك
اليهما وما جعلا حكمين الا ليمضيا الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد
جاءته امراة وزوجها مع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي رضي الله عنه للحكمين اتدريان
ما عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذبت
والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان
ولا يفرقان وعن الشعبي رحمه الله ما قضى الحكمان جاز والالف في ان يريدا اصلاحا للحكمين وفي يوفق الله بينهما

للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب
نفسيهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا
اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض
ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما
الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى
وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار
القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعاء بن قيس لا يجتوينا مجاور ابدا ذو رحم او مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى
نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب
بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى
جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة
الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي
يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون
بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين
يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في
ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره
وان امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا
جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على
وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر
ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضله من الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي عليه السلام اذا انعم الله على
عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين
ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود الذين
كتموا صفة رسول الله رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة
المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان
الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ
والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة
ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل لمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة

عبد الله رضي الله عنه مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هولاء ذرة
ذرة وفيه دليل انه لو نقص من الاجر ادنى شي واصغره او زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة
لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مونث وقرى بالرفع على كان التامة
يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان
النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده
المومن بالحسنة الف الف حسنة فقال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الاية والمراد
الكثرة لا التحديد ويوت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع
للاجر لا يثبت الا بثباته وقرى نضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون
فكيف يصنع هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هولاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا سورة النساء على رسول الله
حتى بلغ قوله وجئنا بك على هولاء شهيدا فبكى رسول الله وقال حسبنا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض
كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون
الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك
وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون لو تسوى بهم الارض وقرى تسوى
بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه
اسوى كازكى روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله حين كانت الخمر
مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم
عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم
السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله
ولا تقربوا الزنى ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الزيون وقرى سكارى بفتح
السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك
امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم
ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا
والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل
استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها

قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل
عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير
معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة بعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه
قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا
المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت
ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياذن
لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط
اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت
الظاهر انه تعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر
اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان
او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت
فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا
ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت
براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا
غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم اثر ان يكون ميسرا غير معسر فان
قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من
اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب
عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق
بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء
لخوف عدو او سبع او عدم الة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرى
من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر من روية القلب وعدي بالى بمعنى الم ينته علمك
اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها
بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله وانه هو النبي العربي المبشر به
في التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المومنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون
ان يضل معهم غيرهم وقرى ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هولاء
واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى
بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان

للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله جمل توسطت بين البيان
والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا كقوله
ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اى فمنهما تارة اموت فيها
يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التى
وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه فى التورية بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم
بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن
مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التى اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه
واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد
مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون
غير مسمع حال من المخاطب اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت
لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع
غير مجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب
ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اى اسمع
غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا
ويحتمل شبه كلمة عبرانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا وكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله يكلمونه بكلام
محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بالسنتهم
الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه
من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا
وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء
السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز الا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابى رضى الله عنه
وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير فى قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا
لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اى
خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اى ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم
مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكى للمهم يصيبه اى عديم التشكى او الا قليلا منهم قد آمنوا
أن نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة
ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب

الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر
وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير
احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهى اذرعات
الشام يريد اجلاء بنى النضير فان قلت لمن الراجع فى قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء
او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم
او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان
وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين
بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره
فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا
فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة
فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفى والمثبت
جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول
من لم يتب وبالثانى من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله فقد افترى اثما اى
ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا
قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل
فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض قلت انما قال ذلك حين قال المنافقون اعدل فى القسمة
اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل
الله يزكى من يشاء اعلام بان تزكية الله هى التى يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل التزكية ومعنى يزكى من يشاء يزكى
المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون اى الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق
جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب
فى زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله
والطاغوت الشيطان وذلك ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى
نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان اهدى

سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا تقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت
نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر
خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان تكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة
لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة
كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية
الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة لانكار انهم قد اوتوا نصيبا
من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ
ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن
ام يحسدون بل ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتيهم الله من
النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابرهيم
الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الملك
في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود
مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه
وانكر مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر
كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف يعذب مكان الجلود العاصية
جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم
ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما
لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وهو ما كان فينانا
لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه
التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه سيدخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الى اهلها الخطاب عام لكل
احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل
مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى
علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس
رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان
لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو

خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة موصوفة
بيعظكم واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف
اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما امر الولاة باداء
الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء
الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله
والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان
وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم
امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول وقيل امراء السرايا وعن النبي عليه السلام من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد
اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم
عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا
فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم
اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون
بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولو الامر عند
الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تأويلا
واحسن عاقبة وقيل احسن تأويلا من تأويلكم انتم روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عليه السلام ودعاه
المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب
فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج
فدخل عمر رضي الله عنه فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء
الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق والطاغوت كعب
بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه
او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ومن بما انزل وما انزل على البناء للفاعل فيهما قرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به
بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع
بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني
تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند

واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاءوك
حين يصابون فيعتذرون اليك يحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا الا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد
مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني
عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا
ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم
لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار
فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم
يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه
واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان
واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة
وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا
قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في
انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرك مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر
فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان
يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد
بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوه
فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا
لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك
كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فان
قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه
وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر
لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا
وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم الامر لله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له
واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة
فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما
اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء

الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى
الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله
صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه السلام فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا
فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو
امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله والذي نفسي بيده
ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا
لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة
العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل
الاستثناء او على الا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق
المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا
جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا
اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر
لا يثبت الا بثباته ولهديناهم ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات الصديقين افاضل صحابة الانبياء الذين
تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث
وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن
اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن
الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا
بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل
الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله
ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا
اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك
حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه
واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدا والفضل صفته ومن الله الخبر
ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم
ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاع او اراد ان

فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم
خذوا حذركم الحِذر والحَذَر بمعنى كالإثر والأثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي
يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو
اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة
وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان
منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر
رسول الله والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ
بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وابطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك
فتعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقّل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن
المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة ولئن اصابكم فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن
وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة
اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين
كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا
اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقوله فافوز بالرفع عطفا
على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز
في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ: وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فالذين
يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا
في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان
صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا
او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل
الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين من
المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين
اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم
الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن
التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن
عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان
قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم

ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم
يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت انا وامي من المستضعفين من النساء
والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال
لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان
قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف القرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي
اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل
الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف لكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه
القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا
النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم
واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين
اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ماداموا بمكة
وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن
نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل
كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل
خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف
على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية
الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت
يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان
اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية
الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون
الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على
خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال
الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على
مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل
فيدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها
ويجوز ان يحمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا
بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحويي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله
ولا تظلمون فتيلا

شعر: مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها

ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا فى ملاحم حرب او غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت
ولو كنتم فى بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة
من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها
مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة
قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان
تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هى من عندك وما
كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن
معك وروى عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله
هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اى من نعمة
واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اى من بلية ومصيبة فمن عندك
لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضى الله عنها
ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر
وارسلناك للناس رسولا اى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما
ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغى لاحد ان يخرج
عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يأمر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته
فى امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله تعالى وروى انه قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله
فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا
ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا
عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشىء طاعة بالرفع اى
امرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه
وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال امرى وشأنى حمد الله ولو نصب
حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت
غير الذى تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول
والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت ان البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره
بالليل يقال هذا امر بيت بليل وانما لتبيان الشعر لان الشاعر يدبرها ويسوى بها والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحائف
اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغنى

عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله فى شأنهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا
قوى امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير حقيقى ولانها فى
معنى الفريق والفوج تدبر الامر تأمله والنظر فى ادباره وما يؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل فمعنى
تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت
نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بالغيب
قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على
معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس
الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هى ثعبان
مبين فاذا هى تهتز كأنها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس
باختلاف عند المتدبرين فهم ناس من ضعفة المسلمين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن
سرايا رسول الله من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الى رسول الله
والى اولى الامر وهم كبار الصحابة رضى الله عنهم البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا
به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يقفون
من رسول الله واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ
الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين
يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر
عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وقالوا
نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع
هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يتلقونه ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر
واذاع به قال اذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو
ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله فان اهجه يضجر كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه
والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل
بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول
وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر فى الآى
قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل فى سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك
لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك
كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله

اللهم ارنيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلوِ على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده
وقرئ لا تكلَّف بالجزم على النهي ولا نكلِّف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرّض المؤمنين وما عليك
في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا
لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد
باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه
خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة
ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما
في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى
الله وعن النبي عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على
المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت
واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها الاحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم
وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة
الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها
اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب
والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي
السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون
عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القران جهرا ورواية الحديث
وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد
لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على
الطهارة وعن النبي عليه السلام انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على
القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا
وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا
وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك
وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني
سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة

بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة رحمه الله لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن
ابي يوسف رحمه الله لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه
على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها لا اله الا هو اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم
ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور
او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وجل صادق لا يجوز
عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء
بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه
الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما
كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما
فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه
الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي
ان قوما من المنافقين استاذنوا في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا
من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا
وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا وقتلوا يسارا
وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم
فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم
ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم
اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى
ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم
وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة
صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان
المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة
كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم
ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت
اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله من معه وهم من انسابهم
والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه هلال بن عويمر الاسلمي

على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد
مناة كانوا في الصلح أو جاؤكم لا يخلو من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين
أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم
والوجه العطف على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم فإن
قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق إزالة التعرض الاتصال بالمعاهدين
والاتصال بالمكافين لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله
فإن اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الأول
أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفي قراءة أبي رضي الله عنه بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير أو
ووجهه أن يكون جاؤكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال
بإضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد
صفة لموصوف محذوف على أو جاؤكم قوما حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله غير مقاتلين
والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم فإن قلت كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على
المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه
لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا
إليكم السلم أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم
في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين
فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها
قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة
واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم
في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود أن
يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص إلا خطأ إلا على وجه الخطأ فإن قلت بم انتصب خطأ قلت
بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من
الأحوال إلا في حال الخطأ وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل
المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على أنه كافر فإذا
هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل
لأمه أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها

سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة
والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا
عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن
أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا تحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش
بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه
فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في
العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل
أي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة
مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ إلا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة
وقاس الشافعي رحمه الله كفارة الظهار فاشترط الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن
يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار
مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها
الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال
لا أعلم لك شيئا إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب إلي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن
مسعود رضي الله عنه يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن
ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فإن قلت على من تجب الرقبة والدية قلت
على القاتل إلا أن الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فإن لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فإن لم يكن ففي
ماله إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله إلا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا خير لكم وعن
النبي عليه السلام كل معروف صدقة وقرأ أبي رضي الله عنه إلا أن يتصدقوا فإن قلت بم تعلق أن يصدقوا وما محله
قلت تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية أو يسلمها إلا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف
بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين فإن كان من قوم عدو
لكم من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة إذا قتله
خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء لأنهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم
جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونه كافرا مثلهم وإن كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين
عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل

بها

به الهاً فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولاً من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة
منه او تفضلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب
غليظ ومن ثمة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما روي من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا
سُئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك
بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب
لأشرك في دمه وفيه إن هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة
مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة
وقول ابن عباس رضي الله عنهما بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم أن
يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ
لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حسم لمن تنادى فان
قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل وهو تناول قوله
ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت
بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير
روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا
وقرئ مؤمَنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه
غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ
غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله
اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ
الآية على اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض
الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند
الله مغانم كثيرة تغنمكموها يغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول
ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة
قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان
تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق
النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم ان الله كان
بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون
والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى
خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم
وكان اعمى وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع
في الكتف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان
قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الإذكار بما
بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي
ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى
التعلم ولينهض بنفسه عن صعة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين
كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا
الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين
على القاعدين درجة وعن النبي عليه السلام لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين
صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت
قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على
القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض
كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل
فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة
بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب
اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعليهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة
ورحمة توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيه
معنى ان الله يتوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا
قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة
فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم قلت التوبيخ بانهم لم يكونوا
في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف
وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم
كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون
الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق

عن اقامة الدين لا ينحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي عليه السلام من فر
بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم
ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل
جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين
لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه
الاية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي
الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت
كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا
حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان
فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو
كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان
الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان يراد العبيد
والاماء البالغون فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين
او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشي بعينه
كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة
على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف
بغيره مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق
الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي
كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزي سبني
لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب
ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم
الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم
هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة
لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق
طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله الضرب في الارض السفر وادنى

مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على
القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم
في ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رحمه الله ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان
تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي رحمه الله وروي
عن النبي عليه السلام انه اتم في السفر وعن عايشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى
اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة
وما عاب علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة
لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عايشة رضي الله عنها
اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس
عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر
فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة
بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان
خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها
ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلوة متعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بالا يقوم به فكان
الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما امهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل
بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن
الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم
وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة رحمه الله ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف
صلوته ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة
بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك رحمه الله بمعنى لان الامام يصلي عنده بطائفة
ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم وبعضده
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وامتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة
وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ
وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان جعل الايمان مستقر لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك
جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم مستدين عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم

جعلها سببا لما يبلّهم من مطر او يضعفهم من مرض امرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان
قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعدّ للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو
يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا
ان الامر بالحذر ليس لذلك انما هو تعبّد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم
في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلّوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين
وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم
في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها
على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة
والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها
الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فادعوا واذكروا الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد
في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ اليه فاذا
اطمأننتم فاذا امنتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر
مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر
لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا تألمون
بفتح الهمزة فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم ييلمون كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح
فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم وروي ان طعمة بن ابيرق احد بني
ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد
بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر
الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا
بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهمّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل همّ ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة
وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرّفك واوحى به اليك وعن
عمر رضي الله عنه لا يقولنّ احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين
خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت
به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة

خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون
انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه
فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط
ولا تجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط
في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم
ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف
عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم
ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية
ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة
ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى
من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرّق دونه ويحلف ببراءته فان قلت كيف
سمى التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدّث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول
الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيّته وتوريكه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء
وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على
نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في
الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس
الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص
به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على
الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فانما
يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة
ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع
بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل
الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك
عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة
وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان
الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع
ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم

من يناجي الناس الا امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان
يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل
هو عامّ في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي عليه السلام كلام ابن
آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال
الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه
وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان
الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الآمر بالخير ليدل
به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن
به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه
بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز
مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وجل جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول
في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه
الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول
الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي
جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا
الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب
الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم
الملائكة بنات الله وقرئ انثى جمع انيث او اناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد
واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام
الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى
شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضه لنفسه من قولهم فرض له
في العطاء وفرض للجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار ولامنينهم الاماني الباطلة من طول
الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك فليبتكن
آذان الانعام بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم
الانتفاع بها فليغيرن خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في
البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة رحمه الله يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو

الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله
وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق
الله وقيل التخنث وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد
ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه
الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون
في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم
ولا باماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم
لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن
ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن
الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل
ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا
ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده
تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات
بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحوه من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل
وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال
على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقي اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى
والثانية قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف
الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الاحوال
والثانية لتبيين الابهام في من يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان
يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم
ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما
المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان
نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل واسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها
ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم

كقوله بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابرهيم خليلا
مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في
خلالك او يسايرك في طريق من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك
فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر
من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد وجوب ~~اتباعها والحوادث جمة بان امرى القيس من علس~~ اتباع ملته
لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن
لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب
الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما
اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه
ابرهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل
فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض
فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو
اصلح لها ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو
من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون وما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب
اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله
التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا
لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا بمعنى التعظيم
وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى
النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن
واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى من
كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله
لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت
دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن
لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك
والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف
على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون
خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء

وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا
لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخائله وأماراته
والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب
والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في
خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا بأس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى
يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا
على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة رضي الله عنها بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها
رسول الله وعرفت مكان عائشة رضي الله عنها من قلبه فوهبت لها نوبتها وكما روي ان امرأة اراد ان يطلقها زوجها
لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا
يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان
او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء
او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح
ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان
المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب
غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة
وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو
يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت
الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت
ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا
العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل
وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل
في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي عليه السلام انه كان يقسم بين نسائه فيعدل
ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه
وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة
والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو
كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل
فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في

حق البشر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي
ليست بذات بعل ولا مطلقة قال الحسن هي لا ايم ولا ذات بعل وفي قراءة ابي
رضي الله عنه فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضي الله عنها
االى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت
ارفع رأسك فان رسول الله كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا
وكان لمعاذ رضي الله عنه امرأتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر
واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما تستقبل غفر الله لكم ثم وان يتفرقا فالمعنى
وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا من سعته يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى
والمقدرة والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا والكتاب اسم للجنس
يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا
فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق
كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه
ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة
مازال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة
وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع
ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في
السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير
كله ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت بآخرين ويوجد اناسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين
غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف
وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس
آخرين يوالونه وروي انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا
يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب
احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه
كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين
في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو
كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول

اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى
الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم او اقاربكم وذلك
ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه
او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما
مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان
يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان
يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني
والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله رضي الله عنه ان يكن غني
او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة
ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة
بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا وتعرضوا المعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما
تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه
والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه
على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا
ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة
ابن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب
كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان
قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل قلت
كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فأمروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض
الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم
بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي
اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين
سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الاية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى
كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على
سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين

ان الذين

نكث منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون
اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة
وكان الايمان اهون شي عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار
الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد
له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على
شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتورية وبموسى عليه السلام ثم كفروا بالانجيل وبعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا
بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين
او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد
لاوليائه الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة من
الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها
في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم
فيستهزئون به فنهى عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان
يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقعدون مع الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم
اذا مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله
فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين
بها فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين
والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت
لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما
صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين
فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم
عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ
ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمى
ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المسلمين ان ظفرهم امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على
اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار
الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال
في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس من نقمة ورعب دائم والخادع

اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم
ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى
في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤن الناس يقصدون
بصلاتهم الريا والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس
الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون
الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع
منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان
قلت ما معنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه
استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه
وفانقه وعيش مفانق وروى ابو زيد رأت المراة المراة الرجل اذا امسكتها له ليرى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق
يرؤنهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن
واو يراؤن اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين
بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر
في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه
وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل
وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى
اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك
اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء
فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء
سلطانا مبينا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن
وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل
الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون
الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله
في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق
واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان
قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به

به المنافق وللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدًا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى
وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف
الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر رضي الله عنهما ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده
من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله
بعذابكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضرا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني
الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم
استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان
قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر
الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره الا من ظلم الا جهر من
ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدا بالشتيمة فيرد
على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم
على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الله على الانقطاع
الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا
الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب
الى الله والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا
به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين آمنوا بالله وكفروا
برسله وآمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا
دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو
ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر
وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم
الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت
ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات
فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء سوف يؤتيهم اجورهم معناه ان
ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء
وغيرهما قالوا لرسول الله ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا
الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سالوه لكي

يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سالوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى
اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم في ايام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين
بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى ارنا نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا
ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سال ابرهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة
ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى يتاب عليهم
فاطاعوا واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا
لهم والطور مطل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت واخذنا منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم
على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بادغام التاء في الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان
قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان تتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما
ان تتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان
العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت
ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع
الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا
به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن
المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت
كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت
الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد
ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت فما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب
او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم
فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء
وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم
وكذا وكذا والبهتان العظيم التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن
الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء
كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا
لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا
روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي
فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال

لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل
وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى عليه السلام والقى شبهه
على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد
قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه
به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك
خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه
لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت
قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين
قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما
قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او تجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا اي حق انتفاء
قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف
الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره
وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى
احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع
وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير
من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه
وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله
او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني
محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له
ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال
وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه
الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت
ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند
المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم
القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضمير ان لعيسى عليه السلام يعني

وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما

وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان
فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى
ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان
ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد عليه السلام فبظلم من الذين
هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات
التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا
حرم عليهم بعض الطيبات في المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا
ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني
المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان
فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما
التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين
الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة
ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء
وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب
لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء
الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما
اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراءة ابي رضي الله عنه ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب
انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن ورسلا
مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل
الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا
بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى
علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم
ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه
له قرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت
لما سأل اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون
لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته

باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم
نعلم أن الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه نعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن
الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة
التي قبله قلت معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب
بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل
انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه انزله وهو عالم به
رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الآية الى قوله وأحاط بما
لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل أي شيء أكبر شهادة قل
الله كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما
الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا الا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة الطريق الا طريقها يسيرا أي
لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم
أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا او ائتوا أمرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم
غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها
ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى عليه السلام
كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد
من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى ألقاها الى مريم
أوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم
الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الاب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة
فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح
ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور
المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى بن مريم فأثبت أنه
ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وأن اتصاله بالله عز وعلا من حيث أنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من
غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه أن يكون له ولد حكاية الله او نفي من حكاية غيره ومعنى سبحانه
ان يكون له ولد أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون أي سبحانه ما يكون له ولد
على أن الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف
يكون بعض ملكه جزءا منه على أن الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا
يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من

نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا وهم الملائكة
الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون
على أن المعنى ولا من فوقه قلت من حيث أن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى
وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع درجة كأنه قيل
لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع
الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل
وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره
لا شبهة في أنه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي أن وفد نجران قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه
ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف
لكان هو أولى بأن يستنكف لأن العار ألصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما أن
يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل
عبد أبوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من
فوقه موصوفين بالعبودية او أن يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا
العطف فما وجهه قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا
لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال فسيحشرهم بضم الشين
وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت
هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف
ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا
فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو أن الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين
القرآن او أراد بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل
في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم وروي أنه
آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال ان لي أختا
فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت
ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال أي ان هلك امرؤ غير
ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها

البنت الآتي مذهب ابن عباس رضي الله عنهما والاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوّى بينها وبين اخيها وهو يرثها اي والمرء يرث اختها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بيّن حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بيّن احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل الحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم شعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت يتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به

الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمّوا المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في شهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع عن بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا ان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي رحمهما الله لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله رضي الله عنه ولا آمي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله رضي الله عنه ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح ويتشحط وقرأ عبد الله رضي الله عنه والمنطوحة وفي رواية

عن أبي عمرو السبْع بسكون الباء وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وأكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد قال الأعشى وذا النُّصُب المنصوب لا تعبدنّه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصْب بسكون الصاد وأن تستقسموا بالأزلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من معاظم الأمور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها أمرني ربي وبعضها غُفْل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أجالها عودا فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة ذلكم فسق الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرم عليهم لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فإن قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام ليعرف الحال فسقا ٤
قلت لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقا وإلى استنباطه وقوله أمرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه أنه أمره أو نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وإن كان أراد بالرب الصنم فقد روي أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فأمره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيضّ مسربتي وعضضت من نابي على جِذْمي وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله عز وجل وفى بوعده من إظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون وأخلصوا لي الخشية أكملت لكم دينكم كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام ورضيت لكم الإسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الإسلام دينا إن هذه أمتكم أمة واحدة فإن قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لإثم غير منحرف إليه كقوله غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم كأنه قيل يقولون ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لأن يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم

كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقيل أحل لكم الطيبات أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والباز والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لأن السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد أو من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا إذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فإن قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة وهي أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل فكم من آخذ من غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله مما علمكم الله من علم التكليب لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وأفعل وفعّل يشتركان كثيرا والإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه إذا أكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب بالضرب ولم يشترطوا في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلا ولم يفرق بين إمساك الكلب والبازي وعن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة رضي الله عنهم إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند إرساله طعام الذين أوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية لم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي رحمه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة رحمه الله وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم المحصنات الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء الكتابيات فعند أبي حنيفة رحمه الله هن كالمسلمات وخالفه الشافعي رحمه الله وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله

المسلمات وانا رخص لهم يومئذ محصنين أعفاء ولا متخذي أخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع
الاسلام وما احل الله وحرم اذا قمتم الى الصلوة كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه
في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل
عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى
لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة
كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز
الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو
مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى شيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام
اليه فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب
فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة
وعن النبي عليه السلام من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه
فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز
فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان
تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى
الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار
علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتي الحالتين معسرا او موسرا وكذلك ثم اتموا الصيام
الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن
كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق
والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود رحمهما الله بالمتيقن
فلم يدخلاها وعن النبي عليه السلام انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه
بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فقد اخذ مالك رحمه الله بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي رحمه الله
باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة رحمه الله ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على
ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس قرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر
ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف
المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين
فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على
فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا

وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار
وفي رواية جابر رضي الله عنه ويل للعراقيب وعن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد
الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء
والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن
الحسن رحمه الله انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي رحمه الله نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم
بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة
عبد الله فأموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم
واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على
المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره فقبلوا
وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل
يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على
ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان
تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او
قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على
ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو
اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان
وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه
واحباؤه لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل
لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول
او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم
من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة
فيسرون به ويستريحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب روي ان المشركين رأوا رسول الله
واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا
ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل
بصلوة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم
دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك

فاجلسه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل عليه السلام
فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي
فسل سيف رسول الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله تعالى قالها ثلثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله
باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه فقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم
عنكم منعها ان تمد اليكم لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان
يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر
موسى عليه السلام بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ
الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما
عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن
يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال
القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني معكم اي ناصركم وعزرتموهم نصرتموهم وقويتموهم من ايدي العدو
ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير
والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا
منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن
جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فان
قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما
عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم
وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او امليناهم ولم نعاجلهم
بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله رضي الله عنه قسية اي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب
والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة
وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا
حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال حظ عظيم او قست
قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد عليه السلام وبيان نعته ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم
وعادة اسلافهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك
ويهمون بالفتك بك وان تستمر على خائنة على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل

خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على
خيانة منهم فاعف عنهم بعث على مخالقتهم وقيل منسوخ باية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم
اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى عليه السلام اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل
وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم
انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية
وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشي اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي
يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة الا افتضاحكم
وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشف ظلمات الشرك والشك وابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه
الظاهر الاعجاز من اتبع رضوانه من امن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله قولهم ان الله
هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل لم يصرحوا به
ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من
قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوا الهه المسيح وامه دليل على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد
بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر
وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى عليه السلام ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم عليه السلام او يخلق ما يشاء كخلق
الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى
البشر المجرى على يده ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير
الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن
آل فرعون لكم الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم
فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح
ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر يغفر لمن
يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه
لظهوره او ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان
ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم على فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من
الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا ما جاءنا متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا ما جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما

خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى عليهما السلام الف وسبعمائة سنة
والف نبي وبين عيسى ومحمد عليهما السلام اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان
عليهم وان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من
الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث
في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم
تكاثر الانبياء وقيل لانهم كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار
وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر
واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم الارض المقدسة
ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم عليه السلام
ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم
قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا
قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا
الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين من ثواب الدنيا والآخرة
الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين
يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام
لا قلوب فيها فلا تخافوهم وارجعوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرا يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم
الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب
فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فرفع وان جعل كلاما
معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى عليه السلام بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من
جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى عليه السلام في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة
والباب باب قريتهم لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول
وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل انهما لم يقصدوا حقيقة الذهاب لكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد
معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما
واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل
عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما
ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا

لما عصوه وتمردوا عليه وخالفه قومه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون عليه السلام قال رب اني
لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة
وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة
الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون
منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في اني بمعنى ولا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها فانه
قيل انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي
وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران قلت كانه
لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر الا
النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يؤاخيني
على ديني فافرق فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل
به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين فانها
فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة
عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى عليه السلام بعث يوشع عليه السلام نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره
بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض
المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشات نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في
الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها
روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام
يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود
كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت لم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل
بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ليتادب ويتثقف
ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل
لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى عليه السلام الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما
لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد
موته بثلثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تاس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم
احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم هما ابنا آدم عليه السلام لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم عليه السلام ان يزوج كل

واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم عليه السلام قرّبا قربانًا فمن
أيكما قُبل تزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدًا وسخطًا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان
من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو
تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق
صادق اذ قربا قربانا ظرف لنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت او بدل على حذف المضاف اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك
الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرّب
صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان
قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله
على توعده بالقتل قال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها
على تقوى الله التي هي السبب للقبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يتقبل طاعة الا من مؤمن متق
فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع
الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه
واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحمل اثم قتلي
لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف يحمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع
في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان
ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا الا ان الاثم محطوط
عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافاة واعتدى
لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا الي سبقه من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه
مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي
وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار
قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان
يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط
بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا
الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع
وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام
عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا روي انه اول قتيل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري

ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فقال يا ويلتى أعجزت وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله
آدم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم عليه السلام مكث بعده مائة سنة
لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه كيف
الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان
ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا القبح للسوأة السوآى اي الفضيحة العظيمة فكني بها عنها فاواري
بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما
تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم ينفعه ندم التائب من
اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله واهل خباء صالح ذات بينهم قد
احتربوا في رهط انا آجله كأنك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من
جراك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل الكتب كتبنا على بني
اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار
وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ
ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسر الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على
وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها من
استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع
وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين
ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك
قلت تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها
لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن
مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم
ارأيت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان ٤
فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته
يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين
او لان سعيهم في الارض لما كان فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من
جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله للاخافة

السبيل من اهل الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب
ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى
يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن
والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله
النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة
وناصع وهو من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما
حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاءوا عفوا وان شاءوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر
جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة
او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون
ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل
لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي عليه السلام يقال للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول
نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو
قوله فاني وقيار بها لغريب او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان تكون الواو في ومثله
بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينتصب المفعول معه قلت بما تستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت
ان لهم ما في الارض قرأ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة ان
نافع بن الازرق قال لابن عباس رضي الله عنهما يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم
بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من
مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو
حبر الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية
ما فيها مرية والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة
اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي
سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول تضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على
قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية
المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله رضي الله عنه والسارقون والسارقات
فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي
يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك والشافعي رحمهما الله ربع دينار وعن الحسن رحمه الله درهم وفي
مواعظه اخذته من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره

بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله
وعند الشافعي رحمه الله في احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط
حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح
للمؤمن والحيوة ولكم في القصاص حيوة فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة
على التوبة قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهار ما
يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع
فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها
وآمنا مفعول قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود
قوم سماعون ويجوز ان تعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار
ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم ياتوك
يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة
اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل
قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر
يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا
المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو
الباطل والضلال وروي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما
فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم
ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه
الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق
آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه
سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من
اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله
بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له
من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه
انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم السحت

كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا والربوا باب منه وقرئ السحت
بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على
الأحكام وتحليل الحرام وعن الحسن رحمه الله كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم
بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم إليهم
العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن
النبي عليه السلام كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين
أن لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي رحمهم الله أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاؤوا حكموا وإن شاؤوا أعرضوا وقيل هو منسوخ
بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند أبي حنيفة رحمه الله إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق
من مسلم شيئا أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز لا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون
إن النبي عليه السلام رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد
مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فأمنه الله منهم
بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي
يدعون الإيمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما أولئك بالمؤمنين
بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم فإن قلت فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب قلت
إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له
محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فإن قلت لم
أنثت التوراة قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب فإن قلت علام عطف ثم يتولون قلت على
يحكمونك فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الأحكام الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات
الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء
كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والأحبار والزهاد
والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم حفظه من
التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل
والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم
أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك
حكم الربانيون والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز
أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه
شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية

سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله وأحكامه ثمنا
قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضى الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة
فهلكوا ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا
آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكافرين والظالمين والفاسقين لأهل الكتاب وعنه
نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق
وعن الشعبي رحمه الله هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو عام في
اليهود وغيرهم وعن حذيفة رضي الله عنه أنتم أشبه الأمم سمتا ببني إسرائيل لتركبن طريقتهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة
غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا وفي مصحف أبي رضي الله عنه وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وأن الجروح قصاص والمعطوفات
كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا
وإما أن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك
قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها
إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة
بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من أصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق
يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة
للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي رضي الله عنه فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي
يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله وقفينا على آثارهم قفيته مثل عقبته إذا أتبعته ثم يقال قفيته
بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء فإن قلت فأين المفعول الأول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو
على آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفي به على أثره فقد قفي به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا
وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف
على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما
لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وليحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام فإن قلت فإن نظمت هدى
وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة أبي رضي الله عنه وأن
ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل
الإنجيل وقيل إن عيسى صلوات الله عليه كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن يقول معناه

وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة فإن قلت أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وفي قوله
لما بين يديه من الكتاب قلت الأول تعريف العهد لأنه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عنى جنس الكتب المنزلة ويجوز
أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن
ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم أي هو من عليه بأن حوفظ من التغيير
والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف
منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدى
بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح
الشين ومنهاجا طريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة
على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن أراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين
معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة أم
تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها إلى الله مرجعكم استئناف في معنى التعليل
لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فإن
قلت وأن احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك أن احكم على
أن أن وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم أن يفتنوك عن بعض
ما أنزل الله إليك أن يضلوك عنه ويستزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشأس بن قيس من أحبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم
ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فإن تولوا عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذلك
وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام لتعظيم التولي واستسرافهم في
ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها أراد نفسه وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام
كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أي نفس فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض لفاسقون
لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر أفحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان
أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني أن يكون تعييرا لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم
يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله وعن الحسن رحمه الله هو عام في كل
من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض
ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ يبغون بالتاء والياء وقرأ السلمي أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وإيقاع

يبغون خبرا وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في أهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل أهنت
ورجل أكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة أبحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى
نجران أو نظيره من حكام الجاهلية فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون
للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن
حكما منه لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله
بعضهم أولياء بعض أي إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم
فإنه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى
ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ
أقصاهم وروي أنه قال له أبو موسى رضي الله عنه لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب أنه قد مات فما كنت
تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر يمنعهم
الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة
من دوائر الزمان أي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال
عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله على
أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا
به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحري أن تكون
الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي عليه السلام بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل
أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم
بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك
الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول
المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا فإن قلت لمن يقولون هذا القول قلت إما أن يقوله بعضهم
لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم
ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم
حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط
أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيبا من سوء حالهم وقرئ من يرتد ومن يرتدد
وهو في الإمام بدالين وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى
ذو الخمار

على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدى فيروز الديلمى
بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد واتى خبره فى آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة
قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى
ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه
ابو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس
فى الاسلام اراد فى جاهليتى واسلامى وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا رضى الله عنه
فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع فى عهد ابى بكر رضى الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن
وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم
سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعرى فى كتاب استغفر واستغفرى
امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة فى بنى الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم
الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدى ابى بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة
وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف يأتى الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه
فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل
هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا
بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه
وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس
واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة
المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها الله وفى مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل
المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التى ابن عنها صعقة موسى عليه السلام عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن
كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات
المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه
فسوف يأتى الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذى
هو نقيض الصعوبة فقد غبى عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت
فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثانى انهم مع
شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ
اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف
حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه

يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم
المجاهدة فى سبيل الله وانهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة
لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدلهم فى انكارهم وصلابتهم فى امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها
وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة
والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه لا يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها
عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم
بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعل الولاية لله على
طريق الاصالة ثم نظم فى سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين
آمنوا لم يكن فى الكلام اصل وتبع وفى قراءة عبد الله رضى الله عنه انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت
الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطأت
قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون فى العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اى يعملون ذلك فى حال الركوع وهو الخشوع والاخبات
والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلوة وانها نزلت فى على رضى الله عنه
حين سأله سائل وهو راكع فى صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان
قلت كيف صح ان يكون لعلى رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جىء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا
ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر و
الاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التأخير وهم فى الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان حزب الله من اقامة الظاهر
مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل
ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روى ان رفاعة بن زيد
وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعنى ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح
ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان
اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله رضى الله عنه ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار
بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابى رضى الله عنه ومن الكفار واتقوا الله فى موالاة الكفار وغيرهم ان كنتم مؤمنين حقا
لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة فى البيت فاحترق
البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من
افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون
الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه

بلغ قراءة وسماعا

وجوه منها أن تعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا
إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها
أن تعطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع
أي وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا إلا
الإيمان لقلة إنصافكم ولفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم علينا وروي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر
عيسى عليه السلام قالوا ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وإن أكثركم بالكسر
ويحتمل أن ينتصب وأن أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر
محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم
فتنصفوا ذلك إشارة إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله ومن لعنه الله في
محل الرفع على قولك هو من لعنه كقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار أو في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالها
مشورة ومشورة فإن قلت المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت بالإساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب أليم فإن قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم
شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر
عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت
وفي قراءة أبي رضي الله عنه وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت ومعناه
الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد وعبدوا
جمع عابد وعبد بمعنى جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء للإضافة أو هو كخدم في جمع خادم
وعبد وعباد وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت بمعنى
صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك أمر إذا صار أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فإن قلت كيف جاز
أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به
كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقيل الطاغوت العجل لأنه معبود من دون الله ولأن عبادتهم للعجل مما زينه
لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما الطاغوت الكهنة وكل من أطاع أحدا
في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام
وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون
اليهود ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم أولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي
لأهله وفيه مبالغة ليست في قولك أولئك شر وأضل لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا

يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره الله بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا كافرين
وخرجوا كافرين وهم بعد ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى
آخر وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله متوقعا لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله
قالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه حالهم الإثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الإثم والعدوان الظلم وقيل الإثم كلمة الشرك قولهم عزير
ابن الله وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون
كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب
إليه وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها وأما الذي ينهاه فلا شهوة
معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع ولعمري إن هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها غل اليد وبسطها مجاز عن
البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل
ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة حتى إنه يستعمله في ملك
لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزلا لقالوا
ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان متعاقبتان للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله
جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعل لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفين ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن
تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به فإن قلت قد صح أن قوله
يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت أيديهم ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا تنافر الكلام وزل عن سننه
قلت يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم ونحوه بيت الأشتر
بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يغللون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين
بأغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره أي قطعه لأن السب أصله القطع
فإن قلت كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي
تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا إلى نكدهم أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحدوثة
التي تخزيهم وتمزق أعراضهم فإن قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت
ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه
أن يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه بل يداه بسطان يقال
يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق إلا على
مقتضى الحكمة والمصلحة روي أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم

وكذبوا كفّ الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه
وليزيدن أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله وألقينا بينهم العداوة فكلمهم أبدا مختلف
وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما أوقدوا نارا كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد
قط وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس
الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود
ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم ولو أن أهل الكتاب مع ما عددنا
من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان لكفرنا عنهم تلك السيئات
ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة
الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعا
بالتقوى كما قال الحسن رحمه الله هذا العمود فأين الأطناب ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما
من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليهم من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وقيل هو القرآن
لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه أن
يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل
منها من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله وقيل
هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ
عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم بلغ ما أنزل إليك جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحدا
ولا خائف أن ينالك مكروه وإن لم تفعل وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ إذن ما كلفت من
أداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا
كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد
لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فإن قلت وقوع
قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان أحدهما أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات
وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كلمة واحدة فأنت كمن
ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا والثاني أن يراد فإن لم تفعل فلك ما يوجبه
كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلام فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك
والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم فإن قلت
أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته قلت المراد أنه يعصمه من القتل وفيه أن عليه أن يحتمل

كل بادرة من النفس في ذات الله فما أشد تكليف الأنبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله إن الله لا يهدي القوم الكافرين
ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك وعن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج
رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس لستم على شيء أي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده و
بطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وفي أمثالهم أقل من لا شيء فلا تأس فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم
وكفرهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز
إن من اسمها وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له
وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك فإن قلت هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف
على محل إن واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان فإن قلت لم لا يصح والنية
به التأخير فكأنك قلت إن زيدا منطلق وعمرو قلت لأني إذا رفعته رفعته عطفا على محل إن واسمها والعامل في محلهما
هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما ينتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي
به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن لأعملت فيهما رافعين مختلفين فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف
عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها
فإن قلت ما التقديم والتأخير إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب
عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا
صابئين إلا لأنهم صبؤوا عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة
من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا تدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما فإن قلت
لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ويجري هذه الجملة مجرى
الاعتراض في الكلام فإن قلت كيف قيل إن الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم
وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فإن قلت ما محل من آمن قلت إما
الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن
وما عطف عليه أو من المعطوف عليه فإن قلت فأين الراجع إلى اسم إن قلت هو محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في
موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لأنهم صبوا إلى
اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي رضي الله عنه والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا إليهم رسلا
ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أي رسول منهم
بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فإن قلت أين جواب الشرط
فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت

أي أخالك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه
وقوله فريقاً كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضياً وبالآخر
مضارعاً قلت جيء بيقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها
وقرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف
ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم
منزلة العلم فإن قلت فأين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد
المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا
العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا
وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته
بركبتك كثير منهم بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم
في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه
الجنة التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من أنصار كلام الله تعالى على أنهم ظلموا
وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين
من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر
في الآخرة من عذاب الله من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى
وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان
كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر مقام المضمر
فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا أنهم
بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين
من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن يكون للتبعيض على معنى ليمسن
الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيراً منهم تابوا من النصرانية أفلا يتوبون ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا
الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة
لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيا الموتى
على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى عليه السلام وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم عليه السلام
من غير ذكر ولا أنثى وأمه صديقة أي وما أمه أيضاً إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة
بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز
ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج إلى الاغتذاء

وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسماً مركباً من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما
يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام كيف نبين لهم الآيات أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم
أنى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين
يعني أنه بين لهم الآيات بياناً عجباً وأن إعراضهم عنها أعجب منه ما لا يملك هو عيسى أي شيئاً لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم
به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه
البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئاً وهذا دليل قاطع على أن أمره منافٍ للربوبية حيث جعله
لا يستطيع ضراً ولا نفعاً وصفة الرب أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق
بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع
العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر أي لا تغلوا
في دينكم غلواً غير الحق أي غلواً باطلاً لأن الغلو في الدين غلوان حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في
تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض
عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي عليه السلام
وأضلوا كثيراً ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه نزل الله
لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم
واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذاباً لم تعذبه
أحداً من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك
بما عصوا أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ إلا لأجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية و
الاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضاً عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكداً
لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون
من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فإن قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيراً للمعصية والاعتداء
قلت من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء لأن في التناهي حسماً للفساد فكان
تركه على عكسه فإن قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن
معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى
وتهيأ فتنكر ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال
تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه ترى كثيراً منهم هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم
أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس الزاد إلى الآخرة سخط الله والمعنى موجب سخط الله ولو
كانوا يؤمنون إيماناً خالصاً غير نفاق ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين كفى بها دليلاً على نفاقهم

وأن أمانهم ليس بإيمان ولكن كثيراً منهم فاسقون متمردون في كفرهم ودينائهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما
يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق
ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبّه
على تقدّم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا ولعمري إنهم
لكذلك وأشد وعن النبي عليه السلام ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله وعلّل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن
منهم قسيسين ورهباناً أي علماء وعبّاداً وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بيّن
على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب
والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما حكي عن النجاشي أنه
قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل
في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إليها فقرأها إلى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله وهل أتاك حديث
موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التي اختصت
المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجوداً وأسهلها حصولاً
ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالأشد والأقرب فإن قلت ما معنى
قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض
الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من إقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض
بأنفسها أي تسيل من الدمع لأجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعاً فإن قلت أي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق
قلت الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو
ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ
ترى أعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به إنشاء الإيمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين من أمة محمد الذين هم شهداء
على سائر الأمم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك وما لنا لا نؤمن إنكار واستبعاد
لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك
وأراد وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس بإيمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال يعني غير مؤمنين
كقولك ما لك قائماً والواو في ونطمع واو الحال فإن قلت ما العامل في الحال الأولى والثانية قلت العامل في الأولى
ما في اللام من معنى الفعل كأنه قيل أي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيداً بالحال الأولى لأنك
لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاماً ويجوز أن يكون ونطمع حالاً من لا نؤمن على أنهم أنكروا على أنفسهم أنهم لا يوحدون
الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن يكون معطوفاً على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة

الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين فأثابهم
الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص من قولك هذا قول فلان أي اعتقاده وما يذهب إليه طيبات ما أحل الله لكم ما طاب
ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهداً
وتقشفاً وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لأصحابه يوماً فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقّوا واجتمعوا في
بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء
والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبّوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله فقال لهم إني لم أومر بذلك إن
لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن
رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل
وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً قال له إني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على
فراشك وكفّر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج
المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه
وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره
قال أيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكبر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه إن الله تعالى
أدب عباده فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوماً وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوماً زواها
عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات
اعتداء وظلماً فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولاً أولياً لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما
٤ رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقاً حلالاً حال مما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيداً بقوله
الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم
واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رحمه الله وعن مجاهد
هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة رحمه الله بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو
توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال
ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوماً عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة
الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام أهله
ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من شعير لكل مسكين أو تغديهم وتعشيهم وعند الشافعي رحمه الله
مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم
أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معدي كرب تشبيهاً للياء

بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر رضي الله عنهما ازار او قميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع
وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا لا تنقصونهم
عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى
كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي رحمه الله الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله
فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات
الثلث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احداها فصيام ثلثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة
ابي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين
ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتأنيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم
فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله
ويجوز عند الشافعي رحمه الله بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان
الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا
بها كذلك مثل ذلك البيان يبين لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه اكد تحريم الخمر
والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها
انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه الا الشر البحت ومنها
انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما
ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات
الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف
منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى
المضاف المحذوف كانه قيل انما شأن الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت
لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا
يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية
واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر ثم
افردهما بالذكر ليري ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة
خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا
ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف
الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتم رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات

المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على
التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا العمل او احسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات
وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني
ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك
كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول
وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ
بما فعل نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا
بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه
فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء
من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل
الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو اشد منه وقرأ
ابن وثاب يناله بالياء حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم
عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم
عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية
قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه
فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال
امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا
باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو
عند ابي حنيفة قيمة المصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري
بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل
ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير
من النعم عدل الى قول ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل
وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى
في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد
جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة
ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير
فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين

أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الأشياء الثلثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم وقرأ عبد الله رضي الله عنه فجزاؤه مثل ما قتل
وقرئ فجزاءُ مثلِ ما قتل على الإضافة وأصله فجزاءٌ مثلَ ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزي مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول
عجبت من ضربٍ زيدا ثم من ضربِ زيدٍ وقرأ السلمي على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاءً مثلَ ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء
مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعْم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم
حكمان عادلان من المسلمين قالوا فيه دليل على أن المثل هو القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء
المشاهدة وعن قبيصة أنه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة
لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره فأقبل ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى
يحكم به ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل أراد
الإمام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لأن الصفة خصصته فقربته من المعرفة أو بدل عن مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن
جره ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لأن إضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح
بالحرم فأما التصدق به فحيث شئت عند أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله في الحرم فإن قلت بم يرتفع كفارة من نصب
جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل أو الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة فيعطفها
على أن يجزي وقرئ أو كفارة طعام مساكين على الإضافة وهذه الإضافة مبينة كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين
كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الأعرج أو كفارة طعام مسكين وإنما وحد لأنه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد
الدال على الجنس وقرئ أو عِدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما أن عَدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به
في المقدار ومنه عدلا الجمل لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه
ونحوهما الحَمل والحِمل وذلك إشارة إلى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك إلى القاتل عند أبي حنيفة
وأبي يوسف رحمهما الله وعند محمد رحمه الله إلى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازي أو يكفر ليذوق سوء عاقبة
هتكه لحرمة الإحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا
ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول
الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد
إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه فهو ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء
ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير
والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وأنه لم يذكر الكفارة أحل لكم صيد البحر
مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل
المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة رحمه الله وعند ابن أبي ليلى رحمه الله جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم
صيد حيوان البحر وأن تطعموه متاعا لكم مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله نافلة حالا في ووهبنا له اسحق

ويعقوب نافلة في باب الحال لأن قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعا
لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر عليه السلام وقرئ وطعمه
وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء عند أبي حنيفة رحمه الله واختلف فيه
فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن
جبير رضي الله عنهم أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو
مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله لا يباح له ما صيد لأجله فإن قلت ما يصنع
أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه
مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس
وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل وقرئ ما دِمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام البيت الحرام عطف بيان على جهة
المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم
في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا
لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم
الحج فيه شأنا قد عرفه الله وقيل عني به جنس الأشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لأن
الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر ذلك إشارة إلى جعل الكعبة قياما للناس أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد
وغيره لتعلموا أن الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما أمركم به وكلفكم شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور
رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من
التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وإن كان قريبا عندكم
فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات
الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا
الله وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة إذا افتخروا بالكثرة
كأنه بسعد إن سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا لا يدهمنك من دهمائهم عدد فإن جلهم بل كلهم بقر
وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين الجملة الشرطية
والمعطوفة عليها أعني قوله إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة لأشياء والمعنى لا تكثروا
مسألة رسول الله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على
السؤال عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت

لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه
تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من
مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما تفرط منكم بعفو به فان قلت كيف قال لا تسألوا عن
اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما
هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها
كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن
آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة
وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل
كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو
لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا
قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب
وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون
في تحريمها كبارهم اولو في قوله اولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون
تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها
والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد
ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية
بينهم وبينه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك
ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره
وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل
عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى
اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من
ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا
اسلم قالوا سفهت آباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم

جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان
يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان
يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة
بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة
بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية
بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل
عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض
يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم
اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي
على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي
عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا
نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما ان يدفعا
متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل
بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة
من بعد صلوة العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي
وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان
فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي
اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين
لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها
وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي
عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادا لولى فان عثر ما موجبهما
قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت
كيف قيدت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى
ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون اللام للجنس

وإن تقيد بالتحليف على إثر الصلوة أن تكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر فإن عثر فإن اطلع على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران
يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة
بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما والأوليان الأحقان
بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان
أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال
وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق
بها وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الأولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله
لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما
فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على
البناء للفاعل وهو علي وأبي وابن عباس رضي الله عنهم قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة
ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم أدنى أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها أو
يخافوا أن ترد أيمان أن تكر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع إجابة
وقبول يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي
أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم أو ينتصب بإضمار اذكر أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب بأجبتم
انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم فإن قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم
كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد فإن قلت فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا قلت يعلمون أن الغرض
بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارا للتشكي واللجأ إلى ربهم
في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه
عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على
الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم
بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه واتكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون
ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور
به لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم فكأنه لا علم لنا إلى جنب
علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون
موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم
وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم إن إذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى أنه

يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة وجاوزوا
حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم
وأمه إلهين أيدتك قويتك وقرئ آيدتك على أفعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين وأضافه إلى القدس لأنه
سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا وكهلا إلا أن
في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل بروح القدس جبريل صلوات الله عليه أيد به لتثبيت الحجة فإن قلت
ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة
وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء والتوراة والإنجيل خصا
بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام الصواب كهيئة الطير
هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة
المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج
سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى عليه السلام
اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد
فيموت أوحيت إلى الحواريين أمرتهم على ألسنة الرسل مسلمون مخلصون من أسلم وجهه لله عيسى في محل النصب على إتباع
حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه
قوله أحار بن عمرو كأني خمر لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم فإن قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد
إيمانهم وإخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله إذ قالوا فآذن
أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول
عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا
عصيتموه بعدها إن كنتم مؤمنين إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك أي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل
تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام وهي من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد
من تقدم إليه ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل أو نكون من الشاهدين لله
بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لإرادة ما ذكروا كدعواهم للإيمان
وإنما سأل عيسى عليه السلام وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء
للمفعول وتعلم بالتاء والضمير للقلوب اللهم أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان
تكون لنا عيدا أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك
يقال يوم عيد فكأن معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله رضي الله عنه تكن على جواب الأمر ونظيرهما يرثني ويرثني
لأولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر

الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدّمين بمعنى الأتباع وفي قراءة زيد لأولانا وأخرانا بالتأنيث بمعنى الأمة والجماعة عذابا بمعنى
تعذيبا والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي أن عيسى عليه السلم لما أراد الدعاء
لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى
سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم
ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى وتوضأ
وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح
وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث
سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما
ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو
أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة
ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي أنهم لما سمعوا بالشريطة وهو قوله فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه قالوا لا نريد
فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت سبحانك من أن
يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك
ولكنه سلك في الكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبقيته فصل لقوله في نفسي إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين
معا لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد أن في قوله أن اعبدوا الله إن جعلتها مفسرة
لم يكن لها بد من مفسر والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يوسط
بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم إلا اعبدوا الله وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله عز وجل
فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم وإن جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن يكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء في به وكلاهما غير
مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم إلا عبادته لأن العبادة
لا تقال وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء
الموصول بغير راجع اليه من صلته فإن قلت فكيف تصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لأن معنى ما قلت لهم إلا
ما أمرتني به ما أمرتهم إلا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان
للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت
الرقيب عليهم المانع لهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت اليهم من الرسل إن تعذبهم
فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوي القادر
على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف
قال وإن تغفر لهم قلت ما قال إنك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على إن فقال إن عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وإن

غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم أعظم جرما كان
العفو عنه أحسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والإضافة والنصب إما على أنه ظرف لقال وإما على أن هذا مبتدأ والظرف
خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لأنه مضاف إلى متمكن وقرأ
الأعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فإن قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم إن أريد صدقهم
في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلم بالصدق
فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم
القيمة أما إبليس فقال إن الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه السلم فكان
صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فإن قلت في السموات والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن
قلت ما يتناول الأجناس كلها تناولا عاما ألا تراك تقول إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل أن تعرف أعاقل هو أم غير عاقل فكان أولى
بإرادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل
يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله وجعل الظلمات والنور وإلى
مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير
وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل
الظلمات والنور لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم أزواجا أجعل الآلهة إلها واحدا فإن قلت
لم أفرد النور قلت للقصد إلى الجنس كقوله والملك على أرجائها أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله
ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار فإن قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت
إما على قوله الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته وإما على قوله
خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فإن قلت فما معنى ثم قلت
استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم
ثم قضى أجلا أجل الموت وأجل مسمى عنده أجل القيمة وقيل الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ
وقيل الأول النوم والثاني الموت فإن قلت المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى
عنده قلت لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فإن قلت الكلام السائر أن يقال عندي
ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم قلت أوجبه أن المعنى وأي أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة
فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء
إله وفي الأرض إله أو وهو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيهما أو هو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز
أن يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السموات والأرض بمعنى أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما

فإن قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته مكن له في الارض جعل له مكانا ونحوه أرض له ومنه قوله إنا مكنا له في الارض أولم نمكن لهم وأما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار فإن قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الامر لقضي امر اهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا عليه السلام فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به فإن قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع

وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم فإن قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان أغير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمروني أعبد آلله أذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقوله وهو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره قراءة أبي رضي الله عنه من يصرف الله عنه يومئذ وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا كاشف فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل

مكة اى لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه
من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم أئنكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب
يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين
خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله ما لا حجة
عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها
وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات
وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي
هو ادخل في التخويف اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف
المفعولان ومعنى نحشرهم ثم نقول للذين اشركوا وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم
ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء
فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا
به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمى فتنة
لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقوله من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة
وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون الهيته وشفاعته
فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعوا على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق
بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود
ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما
علمنا انا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو
عيّ واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادرى ما يصنع
من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون
على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان
والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة
ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل
في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت
فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقراءة

وقر

وقر بكسر الواو حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع
الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له
والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون
كلام الله اصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم
عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا
يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا
الى ابي طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال: والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا
فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا
هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل
من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كأنهم قالوا
ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني
ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فان قلت
يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب
كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه
ولم يكافئه كذب كأنه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه
ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك
تمنوا ما تمنوا ضجرا الا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل
هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا
لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على
وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز
عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاقبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق
التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذا وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله
على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء
الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي

ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا
في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء
الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة
بغتة فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الايمان
بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال
على الظهور كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا
بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالتاء والياء قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله
ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك
قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق
بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك
ما هو اهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما
اهانوني وفي هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فانهم
لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به
وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا
لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين
من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك
ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات
الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم
وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر على النبي عليه السلام كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من
احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون
او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو
استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها
لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم
بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآية كانه قيل لو استطعت
النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي الى السماء لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى

فلا تفعل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون
ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب
من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور
يوم القيامة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء
الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل
عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل
وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل
ان الله قادر على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارف الحكمة يصرفه عن انزالها امم امثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها
كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب
ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ
للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا
على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله امم على المعنى فان قلت فهلا قيل وما من دابة
ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل
وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها
غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره
تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان
المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة
ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه
وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون
في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله اي يخذله ويخليه ع
وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه أرأيتكم
اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول
أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم
الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله أغير الله تدعون بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام
تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء
ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان ع

اذ ما لكم معبود بل كل ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتيكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشية وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه فاخذناهم بالباساء والضراء البوس والضر وقيل الباساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اي تركوا الاتعاظ ولم ينجع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم ولم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد بل استؤصلت شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤوا به والجاهلين ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله من الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الهية ولا ملكية حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا هم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا والمعنى يخافون غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشورون فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته وروي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فقالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب على طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون أليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبول التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف كانه

الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم والفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما
انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير
ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن
حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها
مفسدة قرئ ولتستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان
الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع
على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده
ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان تعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت بما ركب فيّ من ادلة العقل
وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع
اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال
وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك
ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من
معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا
الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم
احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة
من السماء ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين
اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما حكم به ويقدره من قص اثره لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما
تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم
سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهو القرآن وكذبتم
به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر
يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله
يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل
للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها
وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن
ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله
الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح

وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره
الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كالجيف
ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل
وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى
وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة
حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى
قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لغط اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه
عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف
خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح
وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست
يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا
بمعنى تتوفاه وقرئ يفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما
امروا به او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم
الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح
كقولك الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب
اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا
وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها لئن انجيتنا على ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة
وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا
من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون
وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس
المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم
ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان
لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل عليه السلام ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما نزل من فوقكم
قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد
اصناف العذاب المعدودة والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل اليّ امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبأ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون

وابعادهم به مستقرٌ وقت استقرارٍ وحصول لابدّ منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن
فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس ان تجالسهم حينئذ
واما ينسينّك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكر بعد ان تذكر النهي
وقرئ ينسّينّك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكّرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين
يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكّروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة
لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياءً او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكّرونهم
ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس
في المسجد الحرام وان نطوف فرخّص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكّرونهم
ذكرى اي تذكيرا او رفعا ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله
من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه
من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او
اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا
ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من
المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم
ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكّر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن
بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلَم اليه يمنع المسلَم قال وابسالي بنيّ بغير جرمٍ ومنه هذا عليك بسلٌ
اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد
قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفديّ بمثله
وكل عدل نصب على المصدر وفاعل لا يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما
في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا ابسلوا نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر
على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته
الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا
المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا
وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان
والغيلان تستولي عليه كقوله الذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان

والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله هو الهدى وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغيّ ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير
في نرد على اعقابنا اي اننكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من
هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويّه وحرصت عليه فان قلت ما محل وامرنا قلت النصب عطفا على محل
قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم
قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شأن ابي بكر فكيف
قيل للرسول قل اندعو قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضوان الله عليه
فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موضع لنسلم كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون
التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى
الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول
لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكوّن شيئا من السموات والارض وسائر المكوّنات الا عن حكمة
وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل كن على معنى وحين يقول لقوله الحق
اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدّر يقوم بالحق عالم
الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح آزر اسم ابي ابرهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون
وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على
النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبّب بهن فقيل ابن قيس
الرقيات وفي شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزا في قبائلها كأن اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف
واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء
منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم
الانكار لانه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف
عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرّف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه
لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية
حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم
الى طريق النظر والاستدلال ويعرّفهم ان النظر الصحيح مؤدٍّ الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها
وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبّر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها
هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب

ثم بكّتهم عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الآفلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين
بستر فان ذلك من صفات الاجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكوكب
في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضاح خصومه اني بريء مما
تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه
وعلى انه مبدئها ومبدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم
اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج
بالاول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ
مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا
لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وفي تلك
ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد
الله ونفي الشركاء منكرين لذلك وقد هداني يعني الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان
يشاء ربي شيئا الا مشيئة ربي شيئا تخاف تخرق الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة
ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة
من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف
من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم شيئا ما يؤمن الخوف لا يتعلق به ضرر
بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون
عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق
بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استانف
الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر
لفظ اللبس وتلك اشارة الى جميع ما احتج ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها
ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح او لابرهيم
وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو اشركوا مع فضلهم
وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك آتيناهم الكتاب يريد الجنس
فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة قوما هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل
كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار انها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام

بحقوقها كما توكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تاكيد النفي فبهداهم اقتده
ما اختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين
دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده
للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته
في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة
من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة
في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى عليه السلام وادرج
تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور
وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات متفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء
وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التوراة على موسى
هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم
التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك قال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا
مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة
وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان
محمد صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله الله
فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي
عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم
مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب
وللانذار وقرئ لينذر بالياء والتاء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى
ولبعض المجادرين من يلوي في بعض القرى رجله فاتم القرى يلقي رجالي منتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون
بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص
لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي عليه السلام رايت فيما يرى النائم كان
في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما
كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي

كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام
اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد
عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت
امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء
لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم
ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في
الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف في المطالبة ولا يمهله ويقول
له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم
خلصوها من ايدينا اي لا يقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان
يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك
رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم
عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء الله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحملوا منه نقيرا ولا قدمتموه
لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا
بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر
جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد
الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه
لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت
اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف
قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل
ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت
لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى
تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد
قوله افني رياحا وبني رياح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح فان قلت
فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما
ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو

عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي وازرق
الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا ما يسكن
اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها
المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه لقوله لتسكنوا فيه
والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان
على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي ولا تقول
زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق
وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف
تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا اي يحسبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان
حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران
والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما
في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح قاف
المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم
ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون
مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف
وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت
كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب
من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها
بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان
ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها
على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زيادات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول
ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل
ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر
وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى
وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل
شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين

الصلوة لفصل وعدم الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقوله استويا وتساويا والافتعال والتفاعل
يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريئا
والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا
اثمر اذا اخرج ثمره كيف تخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة
نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة
ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصب الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا
كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت ما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله
شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن
وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير
وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم
علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث
نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له واختلقوا اي افتعلوا له بنين وبنات هو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير
وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها
كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شققه اي اشتقوا له
بنين وبنات وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم وحرّفوا له بمعنى
وزوّروا له اولادا لان المزوّر محرّف مغيّر للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب ولكن
رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر
اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل
فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ
بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها ان مبدع السموات
والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان توصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون
جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون
له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل
شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء
ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق
كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات
كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات

مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات
فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا
او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك
وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطف قد جاءكم
بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان
البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق
وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه وضل فعليها وايّاها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما
انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا وجوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست
اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في
درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا
وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات
وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات دروس كعيشة راضية فان
قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات
صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه
وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن
كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته
زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر لا اله الا هو اعتراض
اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان
قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة
فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي
الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين
انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا
مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف
سب الآلهة وانما خيل الى محمد انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو
بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب

أن يذكر به كذلك زينا لكل أمة مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم أي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم
حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم وقولهم إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم
فيوبخهم عليه ويعاقبهم ويعاقبهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها
إلا على موجب الحكمة أو إنما الآيات عند الله لا عندي فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم أنها أن الآية التي
تقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك وذلك أن المؤمنين
كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون
ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون ألا ترى إلى قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة وقيل أنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق أنك
تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام ويقويها قراءة أبي رضي الله عنه
لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون ومن قرأ إنها بالكسر على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم
فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون أي يحلفون
بأنهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا
بها ونقلب أفئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا
نقلب أفئدتهم وأبصارهم أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا
يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا
فيه وقرئ ويقلب ويذرهم أي الله عز وجل وقرأ الأعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول ولو أننا نزلنا إليهم
الملائكة كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة
قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا وأنذرنا أو جماعات وقيل قبلا وقرئ قبلا أي عيانا إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار ع
ولكن أكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون
أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي كما خلينا بينك
وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر
وكثرة الثواب والأجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا أو على أنهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم
إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض وعن مالك بن دينار
إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني
إلى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا وأخذا على غرة ولو
شاء ربك ما فعلوه أي ما عادوك أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره
وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في إليه يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه
أي ولتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام

أفغير الله أبتغي حكما على إرادة القول أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي
أنزل إليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة
على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج و
الإلهاب كقوله ولا تكونن من المشركين أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود
أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي
أن يمتري فيه وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لأمته وتمت كلمت ربك أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا من ذلك بما هو أصدق وأعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة
ربك أي ما تكلم به وقيل هي القرآن وإن تطع أكثر الناس يضلوك لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون هواهم ثم قال إن
يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وإن هم إلا يخرصون يقدرون أنهم على شيء أو يكذبون
في أن الله حرم كذا وأحل كذا وقرئ من يضل بضم الياء أي يضله الله فكلوا مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون
الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم
فقيل للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات
حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى بسم الله وما لكم ألا تأكلوا وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم
ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم الفاعل وهو الله عز وجل إلا ما اضطررتم
إليه مما حرم عليكم فإنه حلال لكم في حال الضرورة وإن كثيرا ليضلون وقرئ بفتح الياء وضمها أي يضلون فيحرمون ويحللون
بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة وذروا ظاهر الإثم وباطنه ما أعلنتم منه وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره
الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر وإنه لفسق الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وإن الأكل
منه لفسق أو إلى الموصول على أن أكله لفسق أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا … قد ذهب جماعة
من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد … وقد تأولوا هذا بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله أو
فسقا أهل لغير الله به وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يحتج
من تأوله بالميتة إنكم لمشركون لأن من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه أن لا يأكل مما
لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وإن كان أبو حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان دون العمد
ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل
والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل
بين حلالهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج
منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها أنهار أي صفتها هذه وهي قوله فيها أنهار زين للكافرين أي زينه الشيطان أو الله عز وعلا على قوله

زين لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل
قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون
بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكابر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق
بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم وروي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى
بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان لا يصطفى للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان
الذي يضعها فيه منهم صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد
الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن
اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا
يمنعه الالطاف حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد وحرجا
بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد
من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرأ عبد الله رضي الله عنه يتصعد ويصاعد يتصاعد ويصعد
من صعد ويصعد من اصعد يجعل الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد
الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة
وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لهم لقوم يذكرون
دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي
حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او
ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف اي اذكر
يوم يحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم يحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير
لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم
فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين
اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات
وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع
الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ
برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى

والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد
كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا من
الزمهرير فيميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره
ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء
الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه
في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد
نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم
القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ
الم يأتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين
ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه
لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من
الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان
الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان
قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن
في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم
فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاول حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم
لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى
ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل
اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من
الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر
ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما
وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه
عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف
ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية
قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام مكانتكم تكون مصدرا تقول مكن

مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى الحال يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم
واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت
على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام
وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية
والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه فان
قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعُلّق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار
العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن
شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منها لآلهتهم
فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا
بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكّاه
ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة
التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من
قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها
ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة
القربات بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة
الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما
حلف عبد المطلب وقرئ زَيّن على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزُيّن على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع
شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زُيّن كانه قيل لما قيل زُيّن لهم قتل اولادهم من زيّنه فقيل زيّنه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتلُ
اولادَهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان
في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورُدّ زجّ القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في
القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد
والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا
عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان
يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين
فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه لما فعل المشركون
ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين والسدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى
اسم الاشارة وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به

المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حُجر بضم الحاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
حِرج وهو من التضييق وكانوا اذا عيّنوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح
وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبّون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام
حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله
افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى
الافتراء كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد منها ميتا اشترك
فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكّر ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من
يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص
كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصةً بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز
ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما خالصُه على الاضافة وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه
خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتأنيث على ان تكن الاجنة ميتةً وقرأ اهل مكة وان تكن
ميتةٌ بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكأنه قيل وان يكن
ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي
والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتّلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر و
السوائب وغيرها انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرّش وقيل المعروشات
ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير
معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم
والرائحة وقرئ اُكْله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة
لان النخل وقت الانشاء لم يكن كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثُمُره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم
انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم
انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على
المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه
واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة
كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه

وشبهه الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا اثنين وصنفين الذكر والأنثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد فإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل خلق الزوجين الذكر والأنثى والدليل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ أبي رضي الله عنه ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء آلذكرين الهمزة في آلذكرين للإنكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الإبل والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيف ما كانت ذكورا أو إناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم نبئوني بعلم أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم إن كنتم صادقين في أن الله حرمه أم كنتم شهداء بل أكنتم شهداء ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فإن قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله عز وجل من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد فيما أوحي إلي تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها إلا أن يكون ميتة إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح أو فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أي أهل لغير الله به فسقا فإن قلت فعلام يعطف أهل وأين يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما يرجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ذي ظفر ما له إصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم

الخاصة وهي الثرب وشحم الكلى وقوله إلا ما حملت ظهورهما يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة أو الحوايا أو ما اشتمل على الأمعاء أو ما اختلط بعظم وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب فإن كذبوك في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاءوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وعلا ركب في العقول وأنزل الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن تكون له حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فإن قلت كيف أمرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمرهم باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيف الشهداء إليهم لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وليس بالغرض ويناقضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة يعني أتل الذي حرمه ربكم

يعني فاذا كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة

أو محرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في أن لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فإن قلت هلا قلت هي
التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلاً من ما حرم قلت وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل
نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحساناً لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين إحساناً وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا
وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على
أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً
قلت أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيماً علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً بمعنى ولأن
هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم فإن قلت إذا جعلت أن مفسرة
لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهياً عنه محرماً كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما
تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعاً فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن
التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من إملاق من
أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص والقتل على
الردة والرجم إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده
فادفعوه إليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفساً إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل
والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه
ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص
كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقرئ وأن هذا صراطي بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن
والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي رضي الله عنه وهذا صراط
ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق
بكم فتفرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى أبو وائل
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطاً ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً ثم قال هذه سبل على
كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن
كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة فإن قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى
الكتاب قلت على وصاكم به فإن قلت كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه
التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه
قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف
على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحاق ويعقوب تماماً على الذي أحسن تماماً للكرامة والنعمة على الذي أحسن

على من كان محسناً صالحاً يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه على الذين أحسنوا أو أراد موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة
على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماماً على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا
أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقراءة
من قرأ مثلاً ما بعوضة بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماماً أي تاماً كاملاً على أحسن
ما تكون عليه الكتب أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه أن تقولوا كراهة
أن تقولوا على طائفتين يريد أهل التوراة وأهل الإنجيل وإن كنا هي إن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن عن دراستهم عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم لكنا أهدى منهم
لجودة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا
أميون وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ
الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات والمعنى إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو
من أحاسن الحذوف فمن أظلم ممن كذب بآيات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها أو تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل
وأضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب
الملائكة ملائكة الموت أو العذاب أو يأتي ربك أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله أو يأتي بعض آيات ربك يريد آيات
القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب رضي الله عنه
كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفساً
وقوله أو كسبت في إيمانها خيراً عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان
التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيراً
في إيمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيراً
ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد
وإلا فالشقوة والهلاك قل انتظروا إنا منتظرون وعيد وقرئ أن تأتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع
بالتاء لكون الإيمان مضافاً إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما
اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية
وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية
إلا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه وكانوا شيعاً فرقاً كل فرقة
تشيع إماماً لها لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف عشر أمثالها

على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشرٌ امثالُها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم ان صلوتى ونسكى وعبادتى وتقربى كله وقيل وذبحى جمع بين الصلوة والذبح كما فى قوله فصل لربك وانحر وقيل صلوتى وحجى من مناسك الحج ومحياى ومماتى وما اتيه فى حياتى واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم لاسلام امته اغير الله ابغى ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اى منكر ان ابغى ربا غيره وهو رب كل شئ فكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تأمرونى اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله فى ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض فى الشرف والرزق ليبلوكم فيما اتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغنى بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات وسئلهم عن القرية الى واذ نتقنا وهى مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن فى صدرك حرج منه اى شك منه كقوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اى لا تشك فى انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اى انزل اليك لانذارك به او بالنهى لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اى للانذار وللذكرى فان قلت النهى فى قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك هنا اتبعوا ما انزل اليكم من القران والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ

مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن منع عن الاسلام ويجوز ان يكون الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء والتاء وقليلا نصب بتذكرون اى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذى هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير فى اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير فى فجاءها لقوله اوهم قائلون فان قلت لا يقال جاءنى زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءنى زيد راجلا او هو فارس او جاءنى زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو ولان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفى عطف لان واو الحال هى واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءنى زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءنى زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها بأسنا والاهلاك انما هو بعد مجئ البأس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت اذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعنى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اى والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اى العدل وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت فى صحائفهم فيقرءونها فى موقف الحساب وقيل هى عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اى فمن رجحت اعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها مكناكم فى الارض جعلنا لكم فيها

مكانا وقرارا ومكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها
او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح اليا وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم
آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلقهم وتصويرهم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا
تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب يعني ليعلم فان قلت ما فائدة
زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود
وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم سأله عن المانع من
السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه اصل آدم عليه السلام وانه
خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فان قلت كيف يكون قوله
انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة
فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله
مأمورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج
انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول الرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك
انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا
طوره وهصه الله الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما
في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي
وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي
ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك
والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء
فان تعلقها بلاقعدن تصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما
اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء
لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا للسعادة الابدية فكان جديرا بان يقسم به ومن الاكاذيب المجبرة ما
حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام
الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما اظنك
بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه
قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل حرف الجر على الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه
غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على

الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر
والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له
تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال
له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته
اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه لقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت
كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل
نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة
موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين
تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في
المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعالى ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها
اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن
بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي
الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم
فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ
وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة
باخبار الله لهم مذؤوما من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم
ولأملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انتم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم
لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم اجمعين على ان لأملأن في محل الابتداء ولمن
تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة والاصل اليا والها بدل منها فتقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره
ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح
ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه
القاها اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف
العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري
لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله رضي الله عنه اوري بالقلب
الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا
وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوآتهما

بالتوحيد وسوآتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما انى لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك
ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما
اقسم انى لكما لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له
بقبولها واخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما
به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المومن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلوة
اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا
طعمها آخذين فى الاكل منها وقيل الشجرة هى السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اى تهافت عنهما اللباس فظهرت
لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عايشة رضى الله عنها ما رايت منه ولا راى منى وعن سعيد
بن جبير رضى الله عنه كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر وطفق يفعل
يعنى جعل يفعل وقرا ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف النعل بان تجعل
طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرا الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرا الزهرى
يُخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اى يخصفان انفسهما وقرئ يُخَصِّفان من خصّف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان
ورق التين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروى انه قال
لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث
وسقى وحصد وداس وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء
والصالحين فى استعظامهم الصغير من السيآت واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لادم وحوا وابليس
بعضكم لبعض عدو فى موضع الحال اى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع
وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت
حوا تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما اصابنى الذى اصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته
وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما فى
الارض منزلا من السماء لانه قضى ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وريشا لباس الزينة استعير من
ريش الطير لانه لباسه وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح
كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرا عثمان رضى الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى
ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتدا وخبره اما الجملة التى هى ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو
خير لان اسما الاشارة تقرب من الضماير فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذى هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه
قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى

اللباس الموارى للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف
اى وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفى قراءة عبد الله وابى رضى الله عنهما ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس
التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به فى الحروب وقرئ ولباسَ التقوى بالنصب
عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعنى انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا
عظم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة
فيما خلق من اللباس ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى
لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اى اخرجهما نازعا
لباسهما بان كان سببا فى ان نزع عنهما انه يريكم هو وقبيله تعليل للنهى وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجى يكيدكم ويغتالكم من
حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين
وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس فى استطاعتهم وان زعم من يدعى رؤيتهم
زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اى خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما
سولوا لهم من الكفر والمعاصى وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على
الضمير فى يراكم المؤكد بهو والضمير فى انه ضمير الشان والحديث وقرا اليزيدى وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان تعطفه
على اسم ان وان يكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير فى انه كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما تبالغ فى قبحه من
الذنوب اى اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر
لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثانى افتراء على الله والحاد فى صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله
لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا عليه السلام الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل
واذا فعلوا قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعى ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون
على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت
عراة قل امر ربى بالقسط بالعدل وبما قام فى النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم
اى اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد فى كل وقت سجود او فى كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه
واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بداكم تعودون كما انشاكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم فى انكارهم
الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اى وفقهم
الله للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اى كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا
بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اى الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين
اى تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له فى ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم
الشياطين دون الله خذوا زينتكم اى ثيابكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس

لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضُرب وانتزعت منه لانهم
قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعرّوا من الذنوب كما تعرّوا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل
الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا عن ابن عباس رضي الله عنهما
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال
لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله
الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب
فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن
ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق
المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج
منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم
فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق
الاصالة وان الكفرة تبع لهم لقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع
على انها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب
الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل
برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل
مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال
الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط
ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده
من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول
على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا
حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية
وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا يتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين
في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم
ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوه في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم
القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين
في جملة امم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي

ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة
لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف
لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام
على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب
من قول القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان
كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة
وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المومنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السماء
وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على
ان الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما الجمّل بوزن القمّل وسعيد بن جبير الجُمَل بوزن النُغَر وقرئ الجُمْل
بوزن القُفْل والجُمُل بوزن النُصُب والجَمْل بوزن الحَبْل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت جملة واحدة وعن ابن
عباس ان الله تعالى احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير
لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر
خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير
ان الرجال ليسوا بجزر تراد بهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي
لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل
واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلث وقرأ عبد الله رضي الله عنه في سم المخيط والخياط والمخيط
كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل
الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية
وقرئ غواشٌ بالرفع كقوله وله الجوارُ المنشآت في قراءة عبد الله لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب
في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من
الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت
ولم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي
وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان
نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا
بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما نرى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة
ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث او تكون

يعني أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة
أن في أن قد وجدنا تحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك أن لعنة الله على الظالمين
وإنما قالوا لهم اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن
بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرأ الأعمش إن لعنة الله بكسر إن على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال فإن قلت هلا قيل ما وعدكم
ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من
البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيمة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم
أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب
بينهم بسور وعلى الأعراف وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس
وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار
إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والأشقياء بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك
أو تعرفهم الملائكة إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ورأوا
ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ونادوا من رؤس الكفرة يقولون لهم أهؤلاء الذين
أقسمتم لا ينالهم الله برحمة إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كانوا الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من
الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف
وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر
على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه إلا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين
ويحرصوا على إحراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع
المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا وقوله وإذا صرفت أبصارهم فيه
أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا أو يوبخوا وقرأ الأعمش وإذا قلبت أبصارهم وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول
وقرأ عكرمة دخلوا الجنة فإن قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون قلت تأويله أدخلوا
أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فإن قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له
لأنه استيناف كأن سائلا سأل عن أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن
دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال ما أغنى عنكم
جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة أفيضوا
علينا فيه دليل أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا
مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم

كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر لقوله حرام على
عيني أن تطعما الكرى فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء
يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه
وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين
أنه أهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه إلا تأويله إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من
تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق أي تبين وصح أنهم جاؤا بالحق أو نرد جملة معطوفة
على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول
هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبي إسحق أو نرد بالنصب عطفا
على فيشفعوا أو تكون أو بمعنى حتى أن أي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن رحمه الله بنصب نرد ورفع فنعمل يعني فنحن نعمل
يغشي الليل النهار وقرئ يغشي بالتشديد أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس
يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد بأمره
لمشيته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمي ذلك أمرا على
التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال
ألا له الخلق والأمر أي هو الذي خلق الأشياء وهو الذي صرفها على حسب إرادته تضرعا وخفية نصب على الحال أي ذوي
تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله
إن الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير
ولا يشعر الناس به وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض
من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا
بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وأثنى على زكريا فقال إذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة
العلانية سبعون ضعفا إنه لا يحب المعتدين أي المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع
الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الإسهاب في الدعاء وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل
ثم قرأ قوله إنه لا يحب المعتدين إن رحمة الله قريب من المحسنين كقوله وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وإنما ذكر
قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول
كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي
وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا وإما على الحال بمعنى
منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى

مفعول كنفض وحسب ومنه قولهم ضم نشرة وبشرا جمع بشير وبشرا بالتخفيف وبشرى بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره
اى باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت
واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحابا ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير
للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا
ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات
نخرج الموتى لعلكم تذكرون فتؤمنون ذلكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد
الطيب الارض الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل
يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اى يخرجه البلد وينبته وقوله
والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي
هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او ويقدر ونبات الذي خبث
وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اى ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه
الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب
الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر
وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها
لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اى يصرفها الله لقد ارسلنا جواب
قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا
قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو
معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ
بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عليه السلام وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر
على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت
ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى
عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم
وهو الطوفان الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى
الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من
الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت
كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته
ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف

فان قلت كيف موقع ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني
ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول
وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال أنا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة
او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء
قبله من صحف جده ادريس عليه السلام وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث عليه السلام وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له
وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع
بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اى من صفات الله واحواله يعني
قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا
آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحي الي بها اوعجبتم الهمزة للانكار
والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على
لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم وليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية
بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة
بنوه سام وحام ويافث فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك
او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اى انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ
عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك اخاهم
واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو
هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف العاطف
في قوله يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا
الله وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح عليه السلام قلت كان في اشراف قوم
هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن
ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة خفة
حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن فيها غير منفك
عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء
وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل
ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اى عرفت
فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد

قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في
الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما
من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحوه إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم
خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم أجئتنا لنعبد الله وحده
أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا
لما صادفوا آباءهم يتدينون به فإن قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام
مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم
وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن
لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك القصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله
وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل
المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن
لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال
قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات
لأنكم تسمون آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها
من قولك سميته زيدا وقطعنا دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت
وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه
وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند
بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر
فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية
بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري
وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون
من قاله فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي أرض عاد إن عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما
فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال
مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية
احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق
عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك

ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فإن قلت ما فائدة نفي
الإيمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن
نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله
المؤمنين وإلى ثمود قرئ وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو
ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر
بين الحجاز والشام إلى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي فكأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه
ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن
هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم
خصوصا وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية
من آياته كما تقول آية الله وروي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى إن
الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا
في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل
منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو
إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها
الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا
من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه السلام
عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب
الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا
حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة
فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع
البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت
المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي
فرغا ثلاثا وكان صالح عليه السلام قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم

مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تأكل في أرض الله أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله
فذروها تأكل في أرض ربها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها
بشيء من الأذى إكراما لآية الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم
القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم
يا علي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم
قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الأرض
في أرض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا أي تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر
وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى أسيل حرة فإن قلت علام
انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون
بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال
في الشتاء للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فإن
قلت الضمير في منهم راجع إلى ماذا قلت إلى قومه أو إلى الذين استضعفوا فإن قلت هل لاختلاف
المرجعين أثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل
أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين
كانوا مؤمنين وكافرين أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون أن
الله فوق العرش فإن قلت كيف صح قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بإرساله
فجعلوا إرساله أمرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله
لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي آمنتم به كافرون
فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما فعقروا الناقة أسند العقر إلى جميعهم
لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم وعتوا
عن أمر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل
في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب
في عتوهم عن أمر ربهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن أمري ائتنا بما تعدنا أراد من العذاب وإنما جاز الإطلاق
لأنه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت
لها الأرض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم أو في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أي قعود
لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل
واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروي أن صالحا عليه السلام كان بعثه
إلى قوم فخالف أمره وروي أنه مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه
دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر أنه كان مشاهدا
لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد
بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في إبلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم
منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت
وروي أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة
دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فإن قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت
قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل
مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وأرسلنا لوطا وإذ ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطا وإذ بدل
منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء
للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من أحد من العالمين من الأولى زائدة لتوكيد
النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة أنكر عليهم
أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما
سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به إنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار
والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له أي للاشتهاء لا حامل
لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب
النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار
عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء
ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون وما كان جواب قومه إلا أن
قالوا يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو
أصل الشر كله ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا
بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من
القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وأهله
ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث
وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا

اربعة آلاف من الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اي فرق بين مطر وأمطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير ممطور حري أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم ارسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وأمطرنا عليهم مطرا وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الايمان بي والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب عليه السلام فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه إذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل أشياءهم لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروي أنهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار يعني بل مكركم في الليل والنهار أو بعد اصلاح أهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الأرض أو الى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الأحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لأن الناس أرغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله فان قلت توعدون وما عطف عليه ما محله قلت النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين فيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في آمن به قلت الى كل صراط

تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع المضمر زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما أصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف أي ليكونن أحد الأمرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم أو لتعودن في ملتنا وكيف أجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها والأنبياء لا يجوز عليهم الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا أنه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء للكلام على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في أن يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز أن يكون قوله الا أن يشاء الله حسما لطمعهم في العود لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة أو لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وما بين قومنا وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم على الباطل وأنت خير الفاتحين فان قلت كيف أسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما

ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام يعني والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطاته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الاسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يتضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين

او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افأمن واوامن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله افأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشان بمعنى اولم يبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا

الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال فهم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ
ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم فظلموا بها فكفروا
بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو ظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها
وآذوا من آمن بها ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أي كفروا بها
واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة فكأنه قيل يا ملك
مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق فيه أربع قراءات
المشهورة وحقيق علي أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهي قراءة عبد الله رضي الله عنه وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة
أبي رضي الله عنه وفي المشهورة إشكال ولا تخلو من وجوه أحدها أن تكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي أن لا أقول وهي قراءة نافع والثاني أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان
قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق أي لازما له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى
ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن أن يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في
ذلك المقام لا سيما وقد روي أن عدو الله فرعون قال له لما قال إني رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق
على قول الحق أي واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقا به فأرسل معي بني إسرائيل
فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت
الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم
الذي دخله موسى أربعمائة عام فإن قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله إن كنت جئت بآية قلت معناه
إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين
ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وروي أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه
الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث
ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم
بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه موسى عليه السلام فعاد عصا
فإن قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء
للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى
أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا
غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة إن هذا لساحر عليم أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون
الناس بخدعة من خدعه حتى خيل إليهم العصا حية والآدم أبيض فإن قلت قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في سورة

الشعراء وأنه قال للملأ وعزي ههنا إليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله ابتداء فتلقفه
منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من
الخاصة ثم يبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل
ساحر عليم وقرئ سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم
فماذا تأمرون من آمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون كلام فرعون قاله للملأ
لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم كأنه قيل فقال فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه ومعنى
أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمز وأرجه
من أرجأه وأرجاه فإن قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل
ما قالوا إذ جاءوه فأجيب بقوله قالوا أئن لنا لأجرا أي جعلا على الغلبة وقرئ إن لنا لأجرا على الإخبار وإثبات الأجر
العظيم وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب إن له لإبلا وإن له لغنما يقصدون الكثرة
فإن قلت وإنكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب
كأنه قال إيجابا لقولهم إن لنا لأجرا نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين أراد أني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وأن لكم
مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل إليه ويغتبط به إذا نال
معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروي أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم
فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طاقة لنا به وروي
أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان
يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى إلا بما هو منه يعني السحر تخييرهم إياه أدب حسن
راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتآخذوا
للصراع وقولهم وإما أن نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل
وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة
بما كان بصدده من التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا سحروا أعين الناس أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا
إليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي
أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم
بسحر عظيم في باب السحر وروي أنهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق فإذا هي تلقف
ما هو موصولة أو مصدرية بمعنى ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك روي أنها
لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة
أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق وحصل وثبت ومن بدع

المنافسين فوقع قلوبهم اي فانّك فيها من حولهم خاسئين ذليلين وانقلبوا صاغرين وصاروا أذلاء مبهوتين والقي السحرة ساجدين
سجدًا كأنما ألقاهم ملقٍ لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا ممّا رأوا فكأنهم ألقوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارًا سحرة وفي آخره
شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر
بذلوا انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخًا لهم وتقريعًا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه
الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا
منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام تمويهًا
من فرعون تموه بها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر أتؤمن بي ان غلبتك قال
لآتينّ بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأؤمننّ بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصّله
بقوله لأقطعنّ وقرئ لأقطعنّ بالتخفيف وكذلك ثم لأصلّبنّكم من خلاف من كل شق طرفًا وقيل ان اول من قطع من خلاف
وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريد انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك
ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعًا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب
الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب
منا الا الايمان بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرًا هب لنا صبرًا واسعًا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغًا وعن
بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبًا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب علينا ما يطهرنا من
اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون ولانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديًا الى ما دعوه فسادًا والى
تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة ألم اك جاركم ويكون
بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك
وآلهتك بالرفع عطفًا على أتذر بمعنى أتذره وأيذرك اي اتطلق له ذلك ويكون مستأنفًا او حالًا على معنى أتذره
وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل أصدّق وقرأ انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب
اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان
ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصنامًا وامرهم
ان يعبدوها تقربًا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى
سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر انهم
مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود
الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد

قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم وجزعوا منه وتضجروا ويسكنهم ويسليهم ويعدهم
النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت
هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على
ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان تكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله
واورثنا الارض وان تكون للجنس فتتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة المرء باصغريه فاراد بالمرء
الجنس وغرضه ان يتناوله تناولًا اوليًا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان
المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابيّ وابن مسعود رضي الله عنهما عطفًا على الارض اوذينا من قبل ان
تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا
يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسّون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما
رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى
الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل
على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه
بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة
والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت
لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة
لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودًا والين
اعطافًا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروهًا في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة
وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها
ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى
ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير
السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع
الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم
عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله
قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم
لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن رحمه الله
انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره السفر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير مهما هي ما المضمنة

معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان
الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي
يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت ما محل
مهما قلت الرفع بمعنى اي شي تاتنا به او النصب بمعنى ايما شي تحضر تاتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران
في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له
في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام
واضع العربية في شي ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله
مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها
آية لاعتقادهم انه آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى عليه السلام وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف
بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا
ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط
مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة
وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان
الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل الطاعون وقيل هو الموتان فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف
ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فاقاموا شهرا فبعث الله
عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شي حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل
بيوت بني اسرائيل منها شي ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء
فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط
الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها
وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم
وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا
وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم
واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى عليه السلام فرفع عنهم فقالوا
قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم
وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان
الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف

باشباه القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فبكوا الى موسى عليه السلام وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب
التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت
مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي
الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية
تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك
فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل
سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم
اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي
عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرا الحسن والقمل بفتح القاف وسكون
الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها آيات
الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون
على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان
تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته
بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال
وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجاوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن كلما
كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم
مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم
عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب
وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى
تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا
بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر
ضمن الله له الفرج وعن الحسن رحمه الله عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر
ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع
فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات ومنه وهو الذي انشا
جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم

ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه
اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا
باياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي
باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما
صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما
كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا
على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل
لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء
متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله
ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين

وذكر البزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا
آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما
احدثوه بعد انقاذهم من مملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب
رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا
من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور ولتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه
عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على
اصنام لهم يواظبون على عبادتها وملازمتها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقيل كانوا قوما
من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه
وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم
آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف فلذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم
بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ولم تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا
من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني
عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسارة الذهب التبر
اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا
شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة
الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم
ما احبوا اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم فعل بكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص
بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع
كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها
فان قلت محل يسومونكم قلت هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون
وفي ذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل
وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سأل
موسى عليه السلام ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم
الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله
بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر

الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا ميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا
العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب
ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له
وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة
كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام
من كل جهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر
اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك
قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني
ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة
هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام
ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك
انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس
باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء
الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ
ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة
ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا
قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان
يري موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر
اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى
بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما خوطب به او ما خاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة
التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه
مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين
وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل
تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله
لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل
الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك

بنظر آخر وهو أن ينظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلب الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية
لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله
وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً فإن استقر مكانه كما كان مستقراً ثابتاً ذاهباً في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود
الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكاً ويسويه بالأرض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب
عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب
النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره
وتصدى له أمره وإرادته جعله دكاً أي مدكوكاً مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق
وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضاً دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام
وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكاً أي قطعاً دكاً جمع دكاء
وخر موسى صعقاً من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقه فصعق وأصله من الصاعقة ويقال
لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشياً عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه وهو
مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق من صعقته
قال سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لست
بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فإن قلت فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت
من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية
في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وكيف جعله دكاً وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة
في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من
المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة
فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك
تعريفاً واضحاً جلياً كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة
اضطرار كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء
كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى قال لن تراني أي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية
المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع
فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكاً وخر موسى
صعقاً لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك
وأن شيئاً لا يقوم لبطشك وبأسك اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي

وهي أسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك
فهو من أجل النعم وقيل خر موسى صعقاً يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر فإن قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس
وهارون مصطفى مثله ونبياً قلت أجل ولكنه كان تابعاً له وردءاً ووزيراً والكليم هو موسى والأصيل في حمل
الرسالة ذكروا في عدد الألواح وفي جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من
زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له
فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع
وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلاً بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل
محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة
لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا
بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذباً فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا
الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفاً على كتبنا ويجوز أن يكون بدلاً من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في خذها للألواح أو لكل
شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل يأخذوا بأحسنها
أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل
والأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح ويجوز أن
يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون
وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل
عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ
الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته ووجهه أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه
لي وأنره لأستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف
عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكاً فيما يشغلهم عنها
من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام
وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد
فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن
فيها والاستهانة بها وتسميتها سحراً بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم
لئلا يكونوا أمثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان أن يكون حالاً بمعنى يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده
وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وإن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا
بها وقرأ مالك بن دينار وإن يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولك السقم والسقم والسقام

وما أسفه من ركب المفازة فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وإن رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل
نحو ذلك في دينه أسفه ذلك في محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه
ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة
المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه إياهم إلى الطور فإن قلت لم قيل واتخذ
قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلا منهم باشره ووجد
فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم
اجتمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه إلها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن
حليهم بالكسر للإتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فإن قلت لم
قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما كانت عواري في أيديهم قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري
في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى إلى قوله عز وعلا فأخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد والخوار
صوت البقر قال الحسن إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له
خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا ألم يروا حين اتخذوه
إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته
وهو الذي هدى الخلق إلى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه أي
أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا أول
مناكيرهم ولما سقط في أيديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته
أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع
سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم
كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان محالا أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى في العين
ورأوا أنهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على
النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا أسفا شديد الغضب فلما آسفونا
انتقمنا منهم وقيل حزينا خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة العجل من السامري
وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هارون والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث
عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله فإن قلت أين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص
بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي
خلافتكم فإن قلت أي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد

الله ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم
من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف
من بعدهم خلف أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن
معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم
الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وروي أن السامري
قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى إن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروي أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها
فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا وألقى الألواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث
العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل
من موسى عليه السلام وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي سبع واحد
وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة وأخذ برأس أخيه أي بشعر رأسه يجره إليه بذؤابته وذلك لشدة
ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه أنه فرط في الكف ابن أم قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر
وبالكسر على طرح ياء الإضافة وابن أمي بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى
الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي
التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها إن القوم استضعفوني يعني أنه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته
طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم
من الاستهانة بي والإساءة إلي وقرئ فلا تشمت بي الأعداء على نهي الأعداء عن الشماتة والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله
ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا أو ولا تعتقد أني واحد من الظالمين
مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء قال رب اغفر لي ولأخي ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة
رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة وطلب أن لا يتفرقا
عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة غضب من ربهم وذلة الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من
ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله القتل والجلاء ومن الذلة
ضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا إلهكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق في الحياة الدنيا
بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا لقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من
الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها إلى الله واعتذروا إليه وآمنوا وأخلصوا الإيمان
إن ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو
العجل ومن عداهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها بتعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم
وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والإنابة وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها

جائر ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح
وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق
إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها
شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت وأسكت أي أسكته الله أو أخوه باعتذاره إليه
وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها وفيما نسخ منها أي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول
كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون
وتقول لك ضربت واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة
قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
فقال إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي أنه لم يصب إلا ستين شيخا فأوحى الله إليه أن تختار
من الشبان عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم
الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه وكان لا يأتيه
ربه إن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى
ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل
ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فقال رب أرني أنظر إليك يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف بهم
الجبل فصعقوا فلما أخذتهم الرجفة قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي وهذا تمنٍّ منه للإهلاك قبل أن
يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكني قبل هذا أتهلكنا بما
فعل السفهاء يعني أتهلكنا جميعا يعني نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا إن هي إلا
فتنتك أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين
بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا من الله وهدى منه لأن محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم وهداهم
على الاتساع في الكلام أنت ولينا مولانا القائم بأمورنا واكتب لنا وأثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية
وحياة طيبة أو توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا إليك تبنا إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود
جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كأنك هدهد وقرأ أبو وجزة السعدي هدنا إليك
بكسر الهاء من هاده يهيده إذا حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا
وأملناها أو حركنا إليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز على عدت بالإشمام
وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده

يصيب عذابي من حاله وصفته أني أصيب به من أشاء أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ
لكونه مفسدة وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو
متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من أساء من الإساءة فسأكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون
في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول
الذي نوحي إليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل
مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في
الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم
والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة الإصر
الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في
صحة توبتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع
الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت
وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل
فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى
عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير الضرب دون الحد لأنه منع والنور القرآن فإن
قلت ما معنى قوله أنزل معه وإنما أنزل مع جبريل قلت معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان
مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يتعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته
وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فإن قلت كيف انطبق هذا
الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ
بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله
والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام
وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين
أعقابهم في رحمة الله التي وسعت كل شيء إني رسول الله إليكم جميعا قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد صلى
الله عليه وسلم إلى كافة الإنس وكافة الجن جميعا نصب على الحال من إليكم فإن قلت الذي له ملك السماوات والأرض
ما محله قلت الأحسن أن يكون منتصبا بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جرا على
الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله إليكم جميعا وقوله لا إله إلا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السماوات
والأرض وكذلك يحيي ويميت وفي لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفي يحيي
ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره وكلماته وما أنزل عليه وعلى من تقدمه

من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى ابن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي عليه السلام ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد عليهما السلام السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الغرض التقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانبجست والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن

اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظللا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة هنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول واسألهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته

من الله تعالى كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وإذ قالت معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب أمة منهم جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم أو معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة إلى ربكم أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين قلت من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر أو الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن إلا سببا للتلهي بك وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة هم الموعظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس أنه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن رحمه الله نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان وروي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الإنس والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله

أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر بئيس أي شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئيس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه لقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا كونوا عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى وإذ حتم وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في الأرض أمما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فيتوبون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لأنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب وادارسوا بالتاء

وادارسوا بمعنى تدارسوا وأفلا تعقلون بالياء والتاء فإن قلت ما موقع قوله أن لا يقولوا على الله إلا الحق قلت
هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن
ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له
ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن يكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام
عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين
يمسكون بالكتاب فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن
المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون
مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وينصره قراءة أبي رضي الله عنه والذين
مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت قلت إظهارا
لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا
الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك
من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا
أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها
وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا
من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح
وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التوراة إلا اهتز وانغض لها رأسه خذوا
ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا
ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم بما رغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم
من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا واذكروا ما فيه
من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى
وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا
وإشهادهم على أنفسهم وقوله ألست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على
ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم
على أنفسهم وقررهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع
في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها
وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله   إذا قالت الأنساع للبطن الحق   قالت له ريح الصبا قرقار
ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها

العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا
ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال
على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم فإن قلت بنو آدم وذرياتهم
من هم قلت عنى ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد
رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل
والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها وهي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله وسئلهم عن القرية التي وإذ قالت
أمة منهم وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي كانوا السبب
في شركنا لأنهم سنوه لنا فتقدموا فيه وتركوه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون
وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وأن يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل كان من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ
منها من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه
خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على
موسى ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها
لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى
السفالة فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت
المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات
فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد
إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام
على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة
كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه وذلك أن سائر الحيوان
لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام
أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب
موضع فحططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه
الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال
كالكلب إن طردته وسعى لهث وإن تركته على حاله لهث فإن قلت ما محل الجملة الشرطية قلت
النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج
لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرأوا نعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص
القصص القصص الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون
أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وأنفسهم
كانوا يظلمون إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم
وإما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل
وخصوا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها فهو المهتدي
حمل على اللفظ أولئك هم الخاسرون حمل على المعنى لكثيرا من الجن والإنس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف
لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم
من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم
فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه
كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء
النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام
في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم
على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه
بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى
وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نخي أو أن يأبوا تسميته ببعض
أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله
الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه
بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها
وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا
فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم
إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين
الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى فلو كنت في جب
ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي إذا

إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب إذا طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في إثر بعض ومعنى سنستدرجهم
سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم
مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم
ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي
لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين إن كيدي متين سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في
الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر
مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم
هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض فيما تدلان عليه من
عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع اسم الشيء عليه من أجناس لا يحصرها العدد
ولا يحيط بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا
في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق
وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي
فيها ضمير الشأن فإن قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى أن يكون
قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح
الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا وقرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم
عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم يسألونك قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد
أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون
قريش والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على
العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان
منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين
لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها إرساؤها أو وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها
وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة والمرسى الأنجر الذي ترسى به
ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والأرض والمعنى متى يرسيها الله إنما علمها أي علم وقت
إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك
أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها إلا هو أي لا تزال
خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها
عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها ثقلت في السموات والأرض

اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين أهمّه شأن الساعة ويودّ أن يتجلى له علمها وشقّ عليه خفاؤها وثقلت عليه أو
ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها ولأنّ كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها
لا تأتيكم إلا بغتة إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه إنّ الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي
ماشيته والرجل يقوّم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك حفيّ عنها كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في
السؤال عنها لأنّ من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء
الشارب واحتفاء البقل استيصاله وأحفى في المسألة إذا ألحف وحفي بفلان وتحفّى به بالغ في البرّ به وعن مجاهد
استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفيّ بها أي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق
بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفيّ أي عالم بها وقيل إنّ قريشًا قالوا له إنّ بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة
فقيل يسألونك عنها كأنك حفيّ تتحفّى بهم فتخصّهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها
لمصلحة عرفها الله في إخبارك به لكنت مبلّغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك وقيل كأنك حفيّ
بالسؤال عنها تحبّه وتتوخّى يعني أنك تكره السؤال لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدًا من خلقه فإن قلت
لم كرر يسألونك وإنما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفيّ عنها وعلى هذا تكرير العلماء
الحذّاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه العالم بها وأنه
المختص بالعلم بها قل لا أملك لنفسي هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي
اجتلاب نفع ولا دفع ضرّ كالمماليك والعبيد إلا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت أعلم الغيب لكانت
حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضارّ حتى لا يمسّني شيء منها ولم أكن غالبًا مرة
ومغلوبًا أخرى في الحروب ورابحًا وخاسرًا في التجارات ومصيبًا ومخطئًا في التدابير إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرًا وبشيرًا
وما من شأني أن أعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعًا لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان فيهم
أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفًا أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس
آدم وجعل منها زوجها وهي حوّاء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ليسكن
إليها ليطمئنّ إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضًا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما
يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكّر بعدما أنّث في قوله واحدة منها زوجها ذهابًا
إلى معنى النفس ليبيّن أن المراد بها آدم ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقًا للمعنى
فلما تغشاها كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان حملت حملًا خفيفًا خفّ عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى
من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفّه على كبدي حين
حملته فمرّت به فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملًا خفيفًا يعني النطفة فمرّت به فقامت
به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرّت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله أفتمارونه أو

والتماره فيه ومعناه فوقع في نفسها ظنّ الحمل وارتابت به فلما أثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أُثقلت على البناء
للمفعول أي أثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يُدعى ويُلتجأ إليه
فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحًا ولدًا سويًا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدًا ذكرًا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير
في آتيتنا ولنكوننّ لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي
جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد دلّ على ذلك
بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم
بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون
الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصيّ ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد فيا لقصيّ ما زوى الله عنكم به
من فخار لا يبارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصيّ وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما
آتاهما حيث سمّيا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما
الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه وقرئ شركًا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله إشراكًا
في الولد أيشركون الأصنام أجريت مجرى أولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى أيشركون
ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن الله خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن
عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من
الحوادث بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وإن تدعوهم وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى أي إلى ما هو
هدى ورشاد وإلى أن يهدوكم والمعنى إن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما
لا يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون عن دعائهم في أنه
لا فلاح معهم فإن قلت هلا قيل أم صمتّم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لأنهم
كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله وإذا مسّ الناس ضرّ فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين
عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم إن
الذين تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أي قصارى أمرهم
أن يكونوا أحياء عقلاء فإذا ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادًا أمثالهم فقال ألهم أرجل
يمشون بها وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير إن الذين تدعون من دون الله عبادًا أمثالكم
بتخفيف إن ونصب عبادًا أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادًا على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا
شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعًا أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون فإني لا أبالي بكم وكان يقول هذا الواثق
بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
فقال لهم إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون إن وليّي الله إن ناصري عليكم الله الذي نزّل

اي ن

الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبياءه
ولا يخذلهم وتريهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء
ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم
وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه
يسروا ولا تعسروا او قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ الفضل
وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها وامر بالعرف المعروف
والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك
منهم وقيل لما نزلت الاية سال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن
اية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف
ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل
النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك
ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان
لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم بك الخيال يطيف وهو تخفيف طيف فيعل من
طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم
من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام
بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوا انفسهم واما
اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم
من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقيل الضمائر
يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها فان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع
الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان
قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت
اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت له اليه العروس
فاجتلاها والمعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى
او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للايات او لست بمقترح لها هذا
بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى وهو بمنزلة بصائر القلوب
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة

قيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن
وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه
واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا
وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال
لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل
في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه
ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم
على طاعة الله وابتغاء مرضاته لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من
المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من
المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه
ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رحمه الله في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين
في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها المهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل
له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن له بلاء في ذلك اليوم ان
ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن
المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله المغنم
قليل والناس كثير فان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قتل اخي عمير يوم بدر
فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به الى رسول الله صلى الله عليه فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين
فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار
لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا
فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات
البين وقرا ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون في اللام وقرا ابن مسعود
يسلونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل
الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر
الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة

المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن
أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات
بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل
فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني
ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين
قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب قد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله
من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان
واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون
حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن أم الدرداء الوجل كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء
يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في
قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا
بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي هريرة الايمان
بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
وعن عمر بن عبد العزيز إن للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان
وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد
للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان
ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن
وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري أمنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من
اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا
تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة رحمه الله ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا
لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة
ومغفرة وتجاوز لسيآتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك
فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة
ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال
لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من بيتك

يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا
بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش
اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة النجاء
النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا
فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه
حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة
وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال
لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا
وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل
فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد
خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله
ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليكم بالعير ودع العدو فقام
عند غضب النبي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما
تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو
اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت
عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على
العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي عليه السلام
يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال
أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض
يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول
الله صلى الله عليه ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين لكأني انظر الى مصارع
القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي عليه السلام
لم قال ان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين والحق الذي
جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه تلقي النفير لايثارهم عليه العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان
خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم

الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل
كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين
والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنه قولهم شائك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة
التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة
وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة
الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور ان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم
والله عز وجل يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك
اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها
وقرئ بكلمته على التوحيد فان قلت بم يتعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله
الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان
الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل
اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق
بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم
انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي
ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه
من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه
استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان
قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر
وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها على
بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان
ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد
في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله
فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل ان يصل
اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل
اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه

اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة
مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم
وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم
النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم و
يثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة اني
معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين
كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق و
اضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله
ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم
فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم
وبئس المصير

اذا اتبعه

اذا اتبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو
المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض
او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا
على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران
بثلاثة الاف من الملائكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت
الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت
فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف
من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان
المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت فيمن قرأ بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول
ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم
وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من
الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشيكم بدل
ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد
ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى
ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها
اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على
يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس
لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على ان ذلك الوقت المخوف ان اقدم على غشيانكم وانما غشيكم
امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم
به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حيوة ونحو امن امنة
رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال
امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل وقرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي رحمه الله ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة
وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقيل
رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير
ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو
كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا

بعسكرهم الى مكة لجي نواجر ناسل بدلا واستغثوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله واصحابه
الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب
اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم ويجوز ان
ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني معكم
والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم
من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان
يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تتقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدودون
بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا
لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وفي الرعب بالتثقيل فوق
الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس
لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح غشيته وعني حالي باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا
والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا
عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه
قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على
هذا هم المؤمنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك
العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت
في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي
في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد منكم وفي ذلكم
للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلك العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم
ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا
هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر زحفا حال
من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه
قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم
في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان
سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ
وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو

وصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو
وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه
فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني
قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد
منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر
على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم
الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال
فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه
حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير
ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول
الله صلى الله عليه الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر
على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان قتادة
رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار رضي الله عنهم ثم دخل عليه فقال له ما لك
لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله
صلى الله عليه يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية رضي الله عنه فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال
فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي
فانا صابرون ومنظروكم الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أحكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء
المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب
الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة رضي الله عنه احكمت من الباطل ثم فصلت
كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية
آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت
آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت

ما معنى ثم؟ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت، ولكن في الحال، كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام، ثم مفصلة أحسن
التفصيل. وفلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل. وكتاب خبر مبتدأ محذوف، وأحكمت صفة له، وقوله من لدن حكيم خبير
صفة ثانية، ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر، وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت، أي من عنده إحكامها وتفصيلها. وفيه طباق
حسن، لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها، أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور. أن لا تعبدوا مفعول له، على معنى لئلا تعبدوا،
أو تكون أن مفسرة، لأن في تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيل: قال لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله
وأن استغفروا، أي أمركم بالتوحيد والاستغفار. ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله
عليه، إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة، ويدل عليه قوله إنني لكم منه نذير وبشير، كأنه قال: ترك عبادة غير الله، إنني لكم
منه نذير، كقوله تعالى فضرب الرقاب. والضمير في منه لله عز وجل، أي إنني لكم نذير وبشير من جهته، كقوله رسول من الله،
أو هي صلة لنذير، أي أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم. فإن قلت: ما معنى ثم في قوله
ثم توبوا إليه؟ قلت: معناه استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة، أو استغفروا، والاستغفار توبة،
ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها، كقوله ثم استقاموا. يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من
عيشة واسعة ونعمة متتابعة، إلى أجل مسمى إلى أن يتوفاكم، كقوله فلنحيينه حياة طيبة. ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط
في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله، لا يبخس منه، أو فضله في الثواب، والدرجات تتفاضل
في الجنة على قدر تفاضل الطاعات. وإن تولوا وإن تتولوا. عذاب يوم كبير هو يوم القيامة، وصف بالكبر كما وصف بالعظم
والثقل. ثم بين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء، فكان قادرا على أشد ما أراد من
عذابهم لا يعجزه. ألا إنهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه، لأن من أقبل على
الشيء استقبله بصدره، ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه. ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا
من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم. ونظير إضمار يريدون لعود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى
اضرب بعصاك البحر فانفلق، معناه فضرب فانفلق. ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون
ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله، كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم. ثم قال يعلم
ما يسرون وما يعلنون، يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم، فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء،
والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم، ونفاقهم غير نافق عنده. روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق،
وكان يظهر لرسول الله المحبة، وله منطق حلو وحسن سياق للحديث، فكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته،
وهو يضمر خلاف ما يظهر. وقيل نزلت في المنافقين. وقرئ تثنوني صدورهم، واثنونى افعوعل من الثني، كاحلولى
من الحلاوة، وهو بناء مبالغة، قرئ بالتاء والياء. وعن ابن عباس رضي الله عنه لتثنوني صدورهم. وقرئ تثنون،
وأصله تثنونن تفعوعل من الثن، وهو ما هش وضعف من الكلأ، يريد مطاوعة صدورهم للثني كما
يتثنى الهش من النبات، أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم. وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه، ثم

همز، كما قيل ابياضت وادهامت. وقرئ تثنوي بوزن ترعوي. فإن قلت: كيف قال على الله رزقها
بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضل؟ قلت: هو تفضل، إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل
واجبا كنذور العباد. والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه، والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار
من صلب أو رحم أو بيضة. كل: كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح، يعني ذكرها
مكتوب فيه مبين. وكان عرشه على الماء، أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها
إلا الماء. وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض. وقيل: وكان الماء على متن الريح،
والله أعلم بذلك، وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته، وكلما ازدادت الأجرام كانت أحوج إلى الله وإلى
إمساكه. ليبلوكم متعلق بخلق، أي خلقهن لحكمة بالغة، وهي أن يجعلها مساكن لعباده، وينعم عليهم فيها بفنون
النعم، ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي، فمن شكر وأطاع أثابه، ومن كفر وعصى عاقبه. ولما أشبه
ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم، يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون. فإن قلت: كيف
جاز تعليق فعل البلوى؟ قلت: لما في الاختبار من معنى العلم، لأنه طريق إليه، فهو ملابس له، كما تقول
انظر أيهم أحسن وجها، واسمع أيهم أحسن صوتا، لأن النظر والاستماع من طرق العلم. فإن قلت: كيف
قيل أيكم أحسن عملا، وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن، فأما أعمال المؤمنين
والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح؟ قلت: الذين هم أحسن عملا هم المتقون، وهم الذين استبقوا
إلى تحصيل ما هو غرض الله من عباده، فخصهم بالذكر، واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم
منه، وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم. وعن النبي صلى الله عليه ليبلوكم أيكم أحسن عقلا
وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله. وقرئ ولئن قلت أنكم مبعوثون بفتح الهمزة، ووجهه أن يكون
من قولهم: ائت السوق أنك تشتري لنا لحما، وأنك تشتري بمعنى علك، أي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون،
بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه، ولا تبتوا القول بإنكاره، لقالوا إن هذا إلا سحر مبين، يبتون القول ببطلانه.
ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت. ومعنى قولهم إن هذا إلا سحر أن السحر أمر باطل، وأن بطلانه كبطلان
السحر، تشبيها له به، أو أشاروا بهذا إلى القرآن، لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحرا
فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره. وقرئ إن هذا إلا ساحر يريدون الرسول، والساحر
كاذب مبطل. العذاب عذاب الآخرة، وقيل عذاب يوم بدر. وعن ابن عباس رضي الله عنه: قتل جبريل عليه السلام
المستهزئين. إلى أمة إلى جماعة من الأوقات. ما يحبسه ما يمنعه من النزول، استعجالا له على وجه التكذيب
والاستهزاء. ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس، ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس، وذلك
أنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها، إذ المعمول تابع للعامل،
فلا يقع إلا حيث يقع العامل. وحاق بهم وأحاط بهم ما كانوا به يستهزئون العذاب الذي كانوا به يستعجلون.

وانما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه
جاء على عادة الله في اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه
تلك النعمة انه ليئوس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من
سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من
التقلب في نعمة الله نعماء ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور
على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا فان عادتهم ان نالتهم
رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا
لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل
عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات
فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه
لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه
عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك
وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ
ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح
وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن
ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه كان افسح
الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت
الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي
بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك
تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب
فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة
كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله
فاردفهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما
قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه
من الكلام فان قلت كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت

معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو
قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين
كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه
كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في
لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته
لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه
الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده
واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه
حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات
قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم
اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل
الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت
حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن انس بن مالك رضي الله عنه هم
اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن
وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء
على ان الفعل لله تعالى وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن رحمه الله نوفي بالتخفيف
واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة
ما صنعوا او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم
ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب
له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم رحمه الله وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية
وتنتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا
يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة
ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله
بن سلام وغيره كان على بينة من ربه على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن
ومن قبله ذكر آيتا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل
القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن

حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على
مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن
التوراة إماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل إليهم أولئك يعني
من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الأحزاب يعني أهل مكة ومن ضامهم
من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن
أو من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم وتشهد عليهم الأشهاد من الملائكة
والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا ويقال ألا لعنة الله على الظالمين فواخزياه
وافضيحتاه والأشهاد جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج
وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به
أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم
فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد يضاعف
لهم العذاب وقرئ نضعف ما كانوا يستطيعون السمع أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له
كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب إذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنه لم يسمع
الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل أن يريد بقوله وما كان
لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من أولياء ثم
نفى كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا أنفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم
ما لا خسران أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا
يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون لا ترى أحدا أبين خسرانا منهم
وأخبتوا إلى ربهم واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الأرض
المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدنيء الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت
وقيل التاء فيه بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من
اللف والطباق وفيه معنيان أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف
والعناب وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم أو الذي جمع بين البصر والسمع على أن يكون الواو في الأصم
وفي السميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها
أني أرسلنا نوحا بأني لكم نذير ومعناه أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله إني لكم نذير مبين بالكسر
فلما اتصل به حرف الجر فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك إن زيدا كالأسد وقرئ بالكسر على إرادة
القول

القول أن لا تعبدوا بدل من إني لكم نذير أي أرسلناه بأن لا تعبدوا إلا الله أو تكون أن مفسرة
متعلقة بأرسلنا أو بنذير ووصف اليوم بأليم من الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه فإن قلت
فإذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك
نهارك صائم وجد جده الملأ الأشراف من قولهم فلان مليء بكذا إذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالأمر
لأنهم مليئون بكفايات الأمور واضطلعوا بها وبتدبيرها أو لأنهم يتمالؤون أي يتظاهرون ويتساندون
أو لأنهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة ما نراك إلا
بشرا مثلنا تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا
هب أنك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل
أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكا لا بشرا والأراذل جمع الأرذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا
وقرئ بادي الرأي بالهمز وغير الهمز يعني اتبعوك أول الرأي أو ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف أصله
وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن
اتباعهم لك إنما هو شيء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم
في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له
جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد زل عنهم
أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا أن يجعله سببا في الاختيار
للنبوة والتأهيل لها على أن الأنبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين
لشأنها وشأن من أخلد إليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله
من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة على
برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها
هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فإن قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه
الأول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا قلت الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن
يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي قراءة أبي رضي الله عنه
فعماها عليكم فإن قلت فما حقيقته قلت حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء
لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا
بغير هاد فإن قلت فما معنى قراءة أبي رضي الله عنه قلت المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم
الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم
على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين

متصلين جميعاً ويجوز أن يكون الثاني منفصلاً كقولك أنلزمكم إياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك إياهم
وحكي عن أبي عمرو رحمه الله إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكوناً والإسكان
الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين رحمهم الله لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر
والضمير في قوله لا أسألكم عليه راجع إلى قوله إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله وقرئ وما أنا بطارد الذين
آمنوا بالتنوين على الأصل فإن قلت ما معنى قوله إنهم ملاقوا ربهم قلت معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب
من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك
مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك
منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون بلقاء ربهم
موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله
ألا لا يجهلن أحد علينا أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه
إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء أعلم الغيب معطوف
على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله
فأدعي فضلاً عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني
إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما أنت
إلا بشر مثلنا ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيراً في الدنيا والآخرة لهوانهم
عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولاً على هواكم إني إذاً لمن الظالمين إن قلت شيئاً من ذلك والازدراء افتعال من
زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به يقال أزدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فأكثرت جدالنا معناه أردت
جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل إنما يأتيكم به الله
أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء يعني إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم وعن ابن
عباس رضي الله عنه فأكثرت جدلنا فإن قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله إن كان الله
يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء
بالشرط في قولك إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني فإن قلت فما معنى قوله إن كان الله يريد أن
يغويكم قلت إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك إغواء وإضلالاً كما أنه إذا عرف
منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به سمي إرشاداً وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا
بشم فهلك ومعناه أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف
ينفعكم نصحي تعالى إجرامي وأجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم إسرارهم وأسرارهم نحو جرم وأجرام وقفل
وأقفال ونصر الجمع أن فسره الأولون بآثامي والمعنى إن صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي وكان

حقي أن تعرضوا عني وتتألبوا علي وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء
إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع
إلا من قد آمن إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها فلا تبتئس
فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما تقسم الله أقبل غير مبتئس منه واقعد كريماً ناعم البال
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم بأعيننا
في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظاً وحقيقته ملتبساً بأعيننا كأن لله معه أعيناً تكلأه أن يزيغ في صنعته
عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ووحينا وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع وعن
ابن عباس رضي الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني
في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون إنهم محكوم عليهم
بالإغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه
قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة
وكان يعملها في برية بيهماء في أبعد موضع من الماء في وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون
له يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة أي نسخر منكم سخرية
مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا
نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا وإن تستجهلونا فإنا
ما نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة
في البعد عن الحقائق وروي أن نوحاً عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها
خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن
الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن
الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضاً بين الرجال والنساء وعن
الحسن رحمه الله كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفاً من
ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه
فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت
وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع
ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة
للطير ثم قال له عد بإذن الله كما كنت فعاد تراباً من يأتيه في محل النصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه

عذاب يخزيه ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين الحال اللازم
الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء
فإن قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد
فإن قلت فإذا اتصلت حتى بيصنعه فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كأنه قال
يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فإن قلت فما جواب كلما قلت فيه
أمرين إما أن يجعل سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سؤال سائل ويجعل سخروا بدلا من مر أو صفة
لملأ وقال جوابا وأهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى
من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره
عليه وإرادته تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه وامرأته إلا قليل روي عن النبي صلى الله عليه أنه قال كانوا
ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن إسحق رحمه الله كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون
نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله باركبوا حالا
من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى
للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم
الحاج ويجوز أن يكون مكانا للإجراء والإرساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من إرادة
القول والكلامان أن يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة أي بسم الله إجراؤها
وإرساؤها يروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز أن يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته
وأمره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا إما مصدرين أو وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد
مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فإن قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة
قلت معناه أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أو بأمره
وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون في موضع الحال كقوله وجاءنا بهم سكب علينا
فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه
قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين إن ربي لغفور رحيم
لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم لما نجاكم فإن قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت
بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم أي تجري وهم
فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها

فإن قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين
السماء والأرض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان
ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال ألا ترى إلى قول ابنه سآوي إلى جبل يعصمني من
الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن
علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الألف وبه ينصر مذهب
الحسن رحمه الله قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت إن الله حكى عنه إن ابني من أهلي وأنت
تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب
واستدل بقوله من أهلي ولم يقل مني ولنسبته إلى أمه وجهان أحدهما أن يكون ربيبا له كعمر بن
أبي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء عليهم السلام وقرأ
السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي أي قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه إذا
نحاه وأبعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن
دين أبيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الإضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الألف المبدلة
من ياء الإضافة في قولك يا بنيا أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة إلا
من رحم إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله أي إلا مكان من رحم الله
من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله إن ربي لغفور رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من
الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم
يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة إلا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية
وقيل إلا من رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم
إلا اتباع الظن وقرئ إلا من رحم على البناء للمفعول نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان
المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء
ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي وأقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم
وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه
كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور
وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له
والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس
ولا إبطاء والبلع عبارة عن النشف والإقلاع الإمساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى وغيض
الماء من غاضه إذا نقصه وقضي الأمر وأنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت

السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدًا يقال بَعُدَ بُعْدًا وبَعَدًا اذا ارادوا البُعْدَ البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة رضي الله عنه استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى ربه دعاه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد بالنداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائك وطالق على مذهب الخليل رحمه الله انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة

وبالنون المشددة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه اني اعوذ بك ان اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء عليهم السلام والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي رحمه الله دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد رحمه الله هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذي انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده آخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا

وهو عطف بيان وغيرِه بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيرِه بالجر صفة على اللفظ إن أنتم إلا مفترون
تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم
النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يشوبها شيء منها لم تنجع ولم تنفع أفلا تعقلون
إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك وقيل استغفروا ربكم
آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما
قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين
وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش
والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح
وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية رضي
الله عنه فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال
عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين
فبلغ ذلك معاوية رضي الله عنه فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول
هود ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه
وأرغبكم فيه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه
لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك
آلهتنا فيما يدعوهم إليه إلا اعتراك مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء
فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة
والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك إنما العجب من قوم من المتظاهرين بالإسلام
سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب إلى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على غير ما كانوا عليه في أيام
جاهليتهم من المواد وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد أبى إلا أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع
رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون إلى
النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها
تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجوزون الثواب من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل
واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه
مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها
بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل

كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله فإن قلت هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم
قلت لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده
وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف
ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي أني لا أحبك تهكما
به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من إشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم
تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون
من غير إنظار فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم علي وأنتم الأقوياء الشداد فكيف تضرني
آلهتكم وما هي إلا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي
ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن
كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بنواصيها تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم يريد
أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فإن تولوا فإن تتولوا فإن قلت الإبلاغ
كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين
بأن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستأنف يريد ويهلككم
الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار
والمنافع وإنما تضرون أنفسكم وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل
فقد أبلغتكم والمعنى إن تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه إلا أنفسكم على كل شيء حفيظ أي رقيب
عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة
إلى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا أربعة آلاف فإن قلت ما معنى تكرير التنجية
قلت ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب
غليظ وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل
أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان الذي أنعمنا
عليهم بالتوفيق له وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم
استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله
لا نفرق بين أحد من رسله وقيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم
إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم على وجوههم في عذاب الله ألا إن عادا تكرار حرف التنبيه على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث
على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فإن قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت

معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له الا ترى الى قوله اخرى لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف
بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة
وسما وتجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود عليه السلم
والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشأكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق
آدم عليه السلم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان
ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من عسف الرعايا
فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معوية
بن ابي سفيان انه اخذ في احياء ارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء
وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم
فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل
اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب
مجيب لمن دعاه وسأله فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك
وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن
ابن عباس رضي الله عنه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه
يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من اربته اذا اوقعته في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين
او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي حرف الشك وكان على يقين انه على
بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم
وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها
او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون
آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية
حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر
عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد
الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون
من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه
فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه اي على المجاز
كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود

او المفعول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن
كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم
من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته
ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما
فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب
الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عليهم السلم عن ابن عباس رضي الله
عنه جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي
احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما
سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد
مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث ان جاء فما ابطأ في المجيء به بل عجل فيه
او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر
حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا
ويدل عليه بعجل سمين نكرهم نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر
ومستنكر وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان
ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه
والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب
قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما قال هذا لما عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا اوجس
فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم
ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل
كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال
الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم
اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت
وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن
وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي رحمه الله انه قيل
له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن
وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الالف في يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة
وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن رضي الله عنه يا ويلتي بالياء على الاصل شيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة

وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان
معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب
ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا
اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان
تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان
التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان
هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وامر الله
قدرته وحكمته وقوله رحمت الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان
امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل
لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان
اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن
الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى
بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما
ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن
لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا
لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ
يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية فقال
ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى
بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كان فيها خمسة
يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان اربعة آلاف الف
انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع الى
الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على
المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه
يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة
فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم
لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسبهم انسا فخاف

علماء اهل الكتاب يصلحون لمراجعته مثلك فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله
لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق
الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك
والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن
آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه
الحق وعن ابن عباس رضي الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته
ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول
العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد
يقينا كما ازداد ابرهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسأل الذين يقرؤن الكتب ان الذين حقت عليهم كلمت ربك ثبت عليهم قول الله
الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله
عن ذلك فلولا كانت قرية فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت
بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار
وقرأ ابي وعبد الله رضي الله عنهما فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع
بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة
الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي رحمهما الله روي
ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا
المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا
بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم
وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء
والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة
وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا
المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا
قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف
عنهم وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت
اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة
والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما تقدر
على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه

وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا شريك له لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم
ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها
تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن
بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم
عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل
بالنون ماذا في السموات والارض من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون
او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني باليا وما نافية
او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف
على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية
الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك ننجي المومنين مثل ذلك الانجاء ننجي المومنين منكم ونهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده
فهذا ديني فاستمعوه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني
لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم
انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المومنين يعني ان الله امرني بذلك
بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه أأثبت عليه ام اتركه
واوافقكم فلا تحدثوا بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله
بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان
وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تومر وان ـــ عطف عليه وان
اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر
فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة
مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد
سوغ سيبويه رحمه الله ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض
وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه
ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذن من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال
عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان

بانه من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر
خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم
العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المومنين هلكت فررت من
الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا
قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن
دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا
واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه هذه قريش قد
جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها
فقال لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا
شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان
افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى
قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت
على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت
الرمية لرسول الله صلى الله عليه لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو
فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرى ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي
المومنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المومنين فعل
ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله
موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وقرى موهن بالتشديد وقرى على الاضافة وعلى
الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا
تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على
حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اينا
كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا
عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرى بالفتح على ولان الله مع المومنين
كان ذلك وقرى بالكسر وهذه اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المومنين وقرى ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا
قرى بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق
ان يرضوه لان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان
والاجمال لا يصلح في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله

ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا
السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن
طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر
الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم
شرها ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا
يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم
بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه
ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير
ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابة الله وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال
وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته
ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه
قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته لما
يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذلك ميت وثوبه كفن
وقيل المجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله تعالى بل احياء عند
ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة
ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون
فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته
ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب
عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد
ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر
بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة
فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا
فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر
الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله
حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة
التي هي لون الذئب وتعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار

وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل
بدر فاقتتلوا يوم الجمل روي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله كيف حبك
لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان
تدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن
ولا تحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم
خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين
في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم
بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان
هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلودا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق
والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل
في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له
ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون
تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن
الحسن وروي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح
قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها
الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم
ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا اجزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا
في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان لقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم
سبب الوقوع في الفتنة وهو الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم
ان تنوطوا بطلبه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله
المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل
وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم
في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة

بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وتفضلا ومزية في الدنيا والآخرة لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في
نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وإذ يمكر بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار
وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من
تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا
وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه
ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوما
غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل
مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له في الهجرة فأمر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي
فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم
ليثبتوك ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليبيتوك بالتشديد
وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالإيثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما أعد لهم
حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب
لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين
أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة وأن
يماتنهم واحد فيتعالوا باستباق المستور مع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله وتهالكهم على أن يغمروه وقيل قائله
النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث
رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو القائل إن كان هذا هو الحق وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن
كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا
فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاده أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول
على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الأعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الأولى فصل ويقال أمطرت السماء كقولك
أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الإمطار في معنى العذاب فإن قلت ما فائدة قوله من السماء والإمطار
لا يكون إلا منها قلت كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل
كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب أليم أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعني أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم
فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك
قالوا لرسول الله حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتأكيد
النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب

استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم وإنما
يصح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم ألا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع
الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون
ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن
رسول الله من المستضعفين وما لهم ألا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف
لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره
وأربابه إن أولياؤه إلا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف الكفرة
عبدة الأصنام ولكن أكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء
فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا
بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد وقرأ الأعمش وما كان
صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فإن قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه
أداهم سودا أو محدرجة سمرا والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك
أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ
رسول الله في صلاته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة قيل نزلت
في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد
لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش
من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع
محمد وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة أي تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب
حسرة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغلبن أنا ورسلي والذين كفروا
والكافرون منهم إلى جهنم يحشرون لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من
المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني
لفرط ازدحامهم أولئك إشارة إلى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال
الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم
وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول بيحشرون وأولئك إشارة إلى الذين كفروا وقرئ ليميز
على التخفيف قل للذين كفروا أي أبي سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو إن ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل
إن تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه خاطبوا به غيرهم لأجلهم

ليسمعوا اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقيل الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ تغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته ان ما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة رحمه الله انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم الله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس رحمه الله وعن ابن عباس رضي الله عنه

انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدِنا كقوله وعبد الطاغوت يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدأ فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير اسفل منهم قلت الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذا الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم

بعضا فثبطكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وتثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله
وسبب له ليقضي الله امرا كان مفعولا اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه
واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر
اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر
المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك وحيى بالاظهار والتضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم
او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق
بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك
اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير
فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن رحمه الله وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم
في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع
والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ
يبصركم اياهم قليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم
ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا
منهم فقلنا له كم كنتم قال كنا الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر
فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا
لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا
قلت بان يستر الله بعضه عنهم بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد
اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم
جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا
الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم
تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان
تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج
من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم
ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقدير الاول قراءة من قرأ وتذهب
ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها
فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله انتظرا قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي

وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي
نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير
فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا
القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح
مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين
اعمالهم لله واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود
الله وكذا عن الحسن كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش واجمعت على السير ذكرت التي بينها وبين
بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشيطان
معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال
له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس
سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما
اصغر ولا ادحر ولا اغيظ منه في يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رئي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال
لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم اذ يقول
المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام
وعن الحسن رحمه الله هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة
وبضعة عشر الى زهاء الالف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى ولو
عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال اذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء
والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن
مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة
الزاني عندهم ان يضرب ثم يعطى الرجل القوي البطش مشغلا من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب به على دبره ضربة
واحدة بقوته فيتجمر في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا
عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او يقال
لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك
رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان
تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لنفي انواع الظلم من العذاب من العظيم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب
مثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه

أي داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك إشارة إلى ما حل بهم يعني ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ
ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فإن قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير
الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى
أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين
في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب وأن الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون
كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين
وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون أي أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان
وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا
معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر
الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون
ما فيه من العار والنار فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية
فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق
وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر بذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من
ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل
على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بأمارات
تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح إليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت
ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك إن الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك إخفاء نكث العهد
والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على طريق
قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم والعداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معا سبقوا فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم إنهم
لا يعجزون إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة
على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الأعمش ولا تحسب
الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت
أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة
وسبقوا في محل الحال يعني سابقين أي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل
ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري أنها
نزلت فيمن أفلت من فل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون ومن رباط الخيل اسم للخيل

التي تربط في سبيل الله ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن
ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل
وميكائيل وعن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له
إنما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر إن الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس
ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع إلى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم أهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون
وعن السدي هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي
أن صهيل الخيل يرهب الجن جنح له وإليه إذا مال والسلم يؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب تكفيك من أنفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من
حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا أو يجابوا إلى الهدنة أبدا وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف
من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فإن حسبك الله فإن
محسبك الله قال جرير إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا وألف بين قلوبهم التأليف بين قلوب من بعث إليه
رسول الله من الآيات الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن
ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه واتحدوا وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما
نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله
ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد وقيل هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك
ساداتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة
كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا
وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا
درهم ولا تجر لأن عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين
الله ناصرا أو يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس
نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه أسلم مع النبي صلى الله عليه ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم
عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت أو أن يسميه حرضا
ويقول له ما أراك إلا حرضا في هذا الأمر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الأخفش من
الحرص ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة
أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده ثم قال بأنهم قوم لا يفقهون أي بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب
ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به

النصر والإظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا فلقي
أبا جهل في ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة في
الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند
إلى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فإن
قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على أن الحال مع القلة
والكثرة واحدة لا تتفاوت لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف
الألفين ما كان لنبي وقرئ للنبي على التعريف أن يكون له أسرى وقرئ أسارى حتى يثخن في الأرض يكثر القتل ويبالغ فيه من قولهم أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى
تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ويعز الإسلام
ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فإما منا بعد
وإما فداء وروي أن رسول الله صلى الله عليه أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن أبي طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال قومك
وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن
هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام
إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم
قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم قال لأصحابه أنتم
اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق وروي أنه قال إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا
بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة
أوقية والأوقية أربعون درهما وستة دنانير وروي أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله فإذا هو وأبو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي
عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الإثخان في القتل
أحب إلي تريدون عرض الدنيا حطامها سمي به لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان
في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على حاله كقوله
ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب أولياءه على أعدائه ويمكنهم منهم قتلا
وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق إثباته في
اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببا في إسلامهم وتوبتهم وأن
فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراءهم وأقل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل
لهم الفدية التي أخذوها وقيل أن أهل بدر مغفور لهم وقيل أنه لا يعذب قوما إلا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك
فكلوا مما غنمتم روي أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم واتقوا الله ولا تقدموا

على شيء لم يعهد إليكم فيه فإن قيل ما معنى الفاء قلت التسبب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما
غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وقوله إن الله غفور رحيم معناه إنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من
استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم من الأسرى وقرئ من الأسارى إن يعلم الله في قلوبكم
خيرا خلوص إيمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الأعمش يثبكم خيرا
وعن العباس رضي الله عنه أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه إن يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فأما ظاهر
أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا الطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه قال للعباس افد
ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل
وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس
فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس رضي الله عنه فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله
والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال
العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع
أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروي أنه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه
وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ
منكم على البناء للفاعل وإن يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم
به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فأمكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا
من الفداء الذين هاجروا أي فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار
بعضهم أولياء بعض أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك
بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضا شبه
بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم
وبينهم عهد فإنه لا يجوز لكم نقض عهدهم عليهم لأنهم لا يبتدؤون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره إثبات الموالاة
بينهم كقوله في المسلمين أو لكن بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن
كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا إلا تفعلوه إلا تفعلوا ما أمرتم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا
حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تكن فتنة
في الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء أولئك
هم المؤمنون حقا لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس
بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الوعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين
بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا

منه وترثيا وأولوا الأرحام أولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل
في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله على توريث ذوي الأرحام عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الأنفال وبراءة
فأنا شفيع له يوم القيمة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حيوته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة
المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق
أي تبرئ منه وتبعثر على أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة
إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا إلا نالت منه فإن قلت هلا صدرت بآية التسمية كسائر السور
قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال إن رسول الله صلى الله عليه إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي
يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبي بن
كعب إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي التوبة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة
قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قيل فإن النبي صلى الله عليه قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك
ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله فأجاب ودعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى فأما النبذ
فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولهذا قال لا تفزعوا لا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله وقيل سورة الأنفال والتوبة
سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان
وست فهما بمنزلة إحدى الطوال وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم
هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف
أي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى
الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل
من بني تميم في الدار وقرئ براءة على اسمعوا براءة وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى
أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم فإن قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله
والمعاهدة بالمسلمين قلت قد أذن الله في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد
أوجب الله النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي أنهم عاهدوا
المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في
الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر الحرم وذلك لصيانة الأشهر
الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله
أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل لو بعثت بها
إلى أبي بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروي أن أبا بكر لما كان ببعض

الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر إلى رسول الله فقال يا رسول الله أشيء نزل
من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام
علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين أو أربعين آية وعن
مجاهد ثلث عشرة ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة
وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن
بالرماح وضرب بالسيوف وقيل إنما أمر أن لا يبلغ عنه إلا رجل منه لأن العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل
منها فلو تولاه أبو بكر رضي الله عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فأزيحت علتهم بتوليه ذلك عليا رضي الله عنه
فإن قلت الأشهر الأربعة ما هي قلت عن الزهري أن براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم
قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة إلى عشر من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك
الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فإن قلت ما وجه إطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين
في الأشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه
وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وأذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة
على مثلها ولا وجه لقول من قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان بمعنى
الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء فإن قلت أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية قلت
تلك إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت فإن قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان
بالناس قلت لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين
ومن لم ينكث يوم الحج الأكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه
أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وقف يوم النحر
عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر ومن جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر لأنه معظم
واجباته لأنه إذا فات فات الحج وكذلك إن أريد يوم النحر لأن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الأكبر وعن الحسن رحمه الله سمي يوم الحج الأكبر
لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي
هي صلة الأذان تخفيفا وقرئ إن الله بالكسر لأن الأذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء أو على محل إن المكسورة
واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع أي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى
أن أعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه بريء فلببه الرجل إلى عمر رضي الله عنه فحكى الأعرابي قراءته
فعندها أمر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية فإن تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وإن توليتم عن التوبة أو ثبتم على التولي والإعراض
عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقي الله ولا فائتين أخذه وعقابه فإن قلت بم استثنى قوله إلا الذين عاهدتم

وقيل وجه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله فانشد لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيك الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم وهو معنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كملا قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر احد من يرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقران ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت في القرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا لا يراعوا الا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان

اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الكتيبة الاذا لولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتابى قلوبهم مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما قال الله

على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم وعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب على كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار بقوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلم

فيقعدون الخ

قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين اعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس رضي الله عنه ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضي الله عنه هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن رحمه الله وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد عن ابن عباس رضي الله عنه هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من

خطوط الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب مخلطية مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى
بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لأنه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة
والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت
معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم
حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح
لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين
واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف
وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت
رسول الله وقيل قائلها رسول الله وقيل أبو بكر رضي الله عنه وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة
الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه
لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على
تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس رضي الله عنه وكان صيتا
صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك
لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي
الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني أنظر إلى رسول الله يركض
خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال
كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها لم أحلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم
لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا
وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه حين وقع الهرب وأنزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف
وقيل ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله أي يسلم بعد ذلك ناس منهم
وروي أن ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا
وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون
إن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله
فقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا نجس مصدر يقال نجس نجسا
وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات

عليهم خيفة قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط
أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله
إنها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم
قومها يقال هذا يوم عصيب وعصوصب إذا كان شديدا من قولك عصبه إذا شده يهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا
ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها
وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش
قبل ذلك هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج
المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهما
كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه
وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن
يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء
وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع
بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع
خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر حالا فاتقوا الله بإيثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني
من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل
وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن
السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهارا لشدة امتعاضه
مما أوردوا عليه طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده
وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لأنك لا ترى مناكحتنا
وما هو إلا عرض سابري وقيل لما اتخذوا إتيان الذكور مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن
نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه
ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة
جواب لو محذوف كقوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال يعني لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة
وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لأنه في معنى لا أضطلع به ولا أستقل به والمعنى لو قويت عليكم
بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته
ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه إن ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن
شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو أويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني ومن كل

ركن بضمتين وروي أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادّهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما
رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط إن ركنك لشديد إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب
ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون
فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس
أعينهم فأعماهم كما قال الله عز وعلا فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء
فإن في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا إليك جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا
على ضرره قرئ فاسر بالقطع والوصل إلا امرأتك بالرفع والنصب وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح
فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبُح بضمتين فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ إلا
امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه فأسر بأهلك
بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعني قراءة
من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفي إخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي
فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها
إليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في أسفلها
ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل
قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين
ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب بها من السجل وسجّل لفلان منضود نضد في السماء نضدا
معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في أثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن رضي الله عنه كانت معلمة ببياض وحمرة
وقيل عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من الظالمين ببعيد
وفيه وعيد لأهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو
بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم
ببعيد بشيء بعيد ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لأنها وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها
فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه إني أراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله
حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا يوم محيط مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو فإن قلت
وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا
أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه فإن قلت النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما
فائدة قوله أوفوا قلت نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعيا على

المنهي وتعييرا له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به
مقيدا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لأن ما جاوز
العدل فضل وأمر مندوب إليه وفيه توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالوفاء القسط لأن الإيفاء وجه حسنه
أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل أسواق العراق إتاوة
وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة أو كانوا يمكسون
الناس وكانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل
ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الأرض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم
إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن قلت بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف
فلم شرط الإيمان قلت لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده
لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد إن كنتم مصدقين لي فيما أقول
لكم وأنصح به إياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك وإضافة
٤ البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقا وإذا أريد بها الطاعة
فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما أنا عليكم بحفيظ وما بعثت
لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت كان شعيب عليه السلام
كثير الصلوات وكان إذا صلى تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم أصلواتك تأمرك السخرية والهزء والصلوة وإن
جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال إن الصلوة تأمر
بالجميل والمعروف كما تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم
بصلواته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك إليه داعي
عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق إلا أن يأمرك آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها
في ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال ومعنى تأمرك
أن نترك تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ
أصلوتك بالتوحيد وقرأ ابن أبي عبلة أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك
التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها
وأرادوا بقولهم إنك لأنت الحليم الرشيد نسبته إلى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض
حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق
حالك وما شهرت به ورزقني منه أي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا
طيبا من غير بخس ولا تطفيف فإن قلت أين جواب أرأيتم وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط قلت

بقية الله خير لكم

جوابه محذوف وإنما لم يثبت لأن اثباته في القصص دلّ على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني إن كنت على حجة
واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء
لا يبعثون إلا لذلك يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مولّ عنه وخالفني عنه إذا ولّى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى
وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبدّ بها دونكم إن أريد إلا الإصلاح
ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح
وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف
على ولكن إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت ومفعولا له كقوله ضعيف النكاية أعداءه أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت
إصلاحه من فاسدكم وما توفيقي إلا بالله وما كوني موفقا لإصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقا لرضا الله إلا بمعونته
وتأييده والمعنى أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار
وحسم لأطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته إياه
قال جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أي لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب
وقرأ ابن كثير رحمه الله بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد
كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه والقراءتان
مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه
على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا وقرأ أبو حيوة ورويت عن نافع مثل ما أصاب
بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب
من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فإن قلت ما لبعيد
لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه قلت إما أن يراد وما إهلاكهم ببعيد أو وما هم بشيء بعيد
أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوّى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي
هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان
والإجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا
على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه فقالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل
لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه
وهو خطيب الأنبياء وقيل كان ألثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك
مكروها وعن الحسن رحمه الله ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس
بسديد لأن فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قلّ قومه

حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا ولولا هم احتراما لهم واعتدادا بهم
لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما أنت علينا بعزيز أي لا تعز علينا ولا تكرم
حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا
وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة
علينا ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فإن قلت فالكلام
واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله
تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى الظهر
والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس إمسي بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه
شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة
فهو مكين والمعنى اعملوا قارّين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها إني
عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله
فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون
الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون
قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال
مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف
للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر
محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما أقول لكم إني معكم رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب
والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع
فإن قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم
قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فإن قلت
ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر
الوعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد
كان كيت وكيت وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما
كما تعطف قصة على قصة الصيحة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كالأبد يعني أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث
يقع مكانه ميتا لبعدا لهم لم يبرح

[illegible] كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد
بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت وقرأ السلمي رحمه الله بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض
القرب إلا أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر
فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جارية على الأصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى
الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات
فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها وما أمر فرعون برشيد تجهيل
لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم
وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد فشأنه بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا
له دعواه وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر
مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين
في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط يقدم قومه أي كما
كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح
حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وإيضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل
ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى
تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فإن قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم النار
ولم جيء بلفظ الماضي قلت لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد
المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد
الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده واتبعوا في هذه الدنيا لعنة أي يلعنون
في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له
وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من أنباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر أي ذلك النبأ
بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى أي بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه
والذي حصد فإن قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن
ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به أهلكوا فما أغنت عنهم آلهتهم فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال
ماضية لما منصوب بما أغنت أمر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره أوقعه في الخسران
محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ إذ أخذ القرى
وهي ظالمة حال من القرى أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار

مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل مذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر
بالإمهال ذلك إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله
بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود
فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة
لأن عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس فإن قلت
لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد
من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم
لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل
وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب
والثواب والعقاب مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا
أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام
محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فإن قلت ما منعك أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله
مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين
الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن جعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة
عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها
كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى
فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا
فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى
منتهاها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل فإذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد إنما
هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ
وما يؤخره بالياء يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة
كثير في لغة هذيل فإن قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو
يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله بإذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أو
تأتيهم الساعة فإن قلت بم انتصب الظرف قلت إما أن ينتصب بلا تكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء
المحذوف في قوله إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي فإن قلت فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم
وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد إتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله
لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن فإن قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله

هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم
وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم
فمنهم الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع
له الناس والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه وقراءة العامة بفتح الشين
وعن الحسن رحمه الله شُقوا بالضم كما قرئ سُعِدوا والزفير إخراج النفس والشهيق ردّه قال الشماخ بعيد مدى التطريب أول
صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والأرض فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها
وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش
وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير
وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فإن قلت فما معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء ربك وقد ثبت
خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم
الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب
النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو
أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو فهو
المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته إن ربك فعال لما يريد أنه يفعل بأهل
النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك
عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل
بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق
فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن
الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها
على أن نعقل عنه ولئن صح هذا الحديث عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم
وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث
غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتدا إلى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل
بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص
في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وعدة بالانتقام منهم ووعيدا
لهم ثم قال ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم

فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة
أي من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها وإنا لموفوهم نصيبهم أي حظهم من
العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم فإن قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز
أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا
فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن كلمة يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة لقضي بينهم
بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن جميع
المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم
ربك أعمالهم من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها
الذي هو التثقيل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه مفسرة
لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وإن كلا
ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون فاستقم كما أمرت فاستقم استقامة مثل
الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وإنما جاز
العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك
ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت
على رسول الله صلى الله عليه في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة
وأخواتهما وروي أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله في النوم فقلت له
روي عنك أنك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله
فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما أمرت قال افتقر إلى الله بصحة العزم ولا تركنوا
بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة
إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبلة
ولا تُركنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم
ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم
وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وقوله إلى الذين ظلموا أي الذين
وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكي أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق
قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا
ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت
بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة

نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت
واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين
ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون
الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك
فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر
السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلم وقال سفيين رحمه الله في جهنم واد لا يسكنه
الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة
الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه من دعا لظالم بالبقاء فقد
احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له
يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم وانتم على هذه الحال ومعناه
وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه
وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله
مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي
ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر
لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت
كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه
واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة
والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة
وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على
الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض
الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة
الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري رضي الله عنه كان يبيع التمر
فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له
اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت
فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر رضي الله عنه فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى

فقال الناس عامة

عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات
ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو
خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم
مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به
فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون
الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل رحمه الله كل لولا
في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من
ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولوا فضل وخير
وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل
ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم ومنه قولهم
في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم
ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه
وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة
وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا
ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض
لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
فان قلت هل لوقوع الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام
كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ
قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم
على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى
صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه
اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتترف من حب الرياسة والثروة وطلب
اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين
ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم
وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف

فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

قوله واتبع الذين ظلموا فإن قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كأنه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فما قوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون كان ليهلك واستعمال اللام لتأكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهو قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة هود اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله ذلك

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من

عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليس في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي صلى الله عليه اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر

ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين

ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان
التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في اخره فان قلت
فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا أبي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء
تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء
وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب
وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم
تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء
اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا أبتي فلا يجوز يا أبتِ قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد
الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى
الى قولهم يا أبتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض
منه فالكسرة أبعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها
فان دلت على مثل ذلك في يا أبتِ فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا
قلت يا أبي فان قلت فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا أبتا واستبقى
الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا أبيَ واما من
ضم فقد رأى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبتُ كما تقول يا نبعةُ من غير اعتبار لكونها
عوضا من ياء الاضافة وقرئ اني رأيت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو
في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان
ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية
عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر
رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله
صلى الله عليه فنزل جبريل عليه السلم فاخبره بذلك فقال النبي عليه السلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر
ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب رضي الله عنه ان يوسف عليه السلم رأى وهو ابن سبع سنين ان
احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها
فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب
تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون

سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص
بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها
لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رأيت قلت
ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلم قال له عند قوله اني رأيت
احد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى
العقلاء في رأيتهم ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كأنها
عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة
والمقاربة عرف يعقوب عليه السلم دلالة الرؤيا على ان يوسف عليه السلم يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم
عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها
في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع
الكسائي رُيّاك ورِيّاك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها
كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها
عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام
ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى
الى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد
والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك
لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام
مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء
اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان
وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلم اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل
الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم
ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول
كذا وكذا الا ترى الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع
احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم
عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا
واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف

حسدوه وقالوا ما نرضى ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب عليه السلام يؤثره بزيادة المحبة
والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة وكان
يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت
يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا
انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحايك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد
بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة
وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف
واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها
وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب
وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلى الله عليه خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي
قومه عليه ليتاسى به وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي
وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة
فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق
لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته
لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا
كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما
في المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق
بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى
النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري رحمه الله هذا
كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على
ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ارضا
ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم
اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات
كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل
او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر

تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب
باضمار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن
ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه في غيابة الجب في غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله
قال المنخل إن انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد غيابة حفرته التي
يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري في غيبة والجب البئر لم تطو لانه
الارض تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الارض وقرئ تلتقطه
بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه
ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي ما لك لا تأمنا قرئ باظهار النونين
وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير
ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا ما يدل على خلاف النصيحة والمقة واراد بذلك لما عزموا على كيد يوسف
استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في اكل
الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء
ويرتع من ارتع ماشيته وقرا العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت
كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه
لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء
كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه رحمه الله من شبه المضارع باسم الفاعل اعتذر اليهم بشيئين
احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة
الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان
الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثمه قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق
وقرئ الذئب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة القسم محذوف
تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء
الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم
عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا
او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حيوتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار
وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت
مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر قلت
هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع

الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هي بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر
ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى
فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد
منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال
يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق
بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يلبسوك ويؤنسوك فدلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه
ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا
ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله عليه حين القي في النار
جرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله
يعقوب في تميمة علقها على يوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي
الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليؤنس
في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم
حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا
الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم
لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي
وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد
لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن رحمه الله عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا
واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني رحمه الله بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى شريح رحمه الله
فبكت فقال له الشعبي رحمه الله يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي
الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا
لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال
والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وما انت بمؤمن لنا بمصدق
لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا
بدم كذب ذي كذب وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه
فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال اي جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت

عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي
يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي
ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام
ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه السلام حين قد من دبر
فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل جاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء
على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان تكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه سولت
سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على
تعلمه به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحى اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي رضي الله عنه فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث انه
الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق لانه تعالى قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم
على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه وكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال
طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي
استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين
الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة
من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر
الخزاعي ليطلب لهم الماء واردهم الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من
اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة
الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع
يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها
في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من
اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب
وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة
هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا
ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص
عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون

الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن
ابن عباس رضي الله عنه كانت عشرين درهما وعن السدي رحمه الله اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين حتى يرغب عما في يده
فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق
ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته
وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون
استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا ترى انك لا تقول وكانوا زيدا
من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو
العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة
يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام
في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث
وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل
قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين
دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا
وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل
قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا
ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك
بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب
وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه
مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز
حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت
استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك
الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف
مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه
من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحقق عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اي على
امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به ما ارادوا
ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون
وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل

حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه
الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن رحمه الله من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة
مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي
لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل
كانت سبعة ثم قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كحير وهيت كحيث وهئت
بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك
اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اي ان الشأن والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن
مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين
يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب هم بالامر
اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا
ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه رحمه الله ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه
ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به ومخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف تقديره
لولا ان راى برهان ربه لخالطها وحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني
خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه
مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك
الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب
اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام
الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين
ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته
كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت
الامران جائزان ومن حق القاري اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به
ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت
جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من
قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة
على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده
ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير
المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت

نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها مكان اغفاله الغاء له
ووجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من
قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل
الى حظه من الشهوة فلذلك كانت التوبة والحقيقة بان تعلق همهم بها واحداً وقد فسر همّ يوسف بانه حل الهميان وجلس
منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع
صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا
على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف
فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين همّ وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما
زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل
السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك
فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير
العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل
والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت
عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى
ذي النون صلوات الله عليهم وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت
في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح
حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق
لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابرهيم عليه السلام
وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي
الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين
شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع القرآن
وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه
لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم
حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب
ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف

عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنى انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح
الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو
ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابرهيم
الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله
واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه
لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب
البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص وقد روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر
ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها
الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل
انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل
جالسا مع ابن عم للمرأة لما طلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها جاءت بحيلة
جمعت فيها بين غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا
في ان يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما آيست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل
ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما
تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت
قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف
وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال
هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان
من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها
لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث
لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم
تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله
شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي
شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول
او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على
انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان
تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه

بالفتح والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي إسحق رحمه الله أنه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئا بسكون العين فإن قلت كيف جاز الجمع بين إن الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد ونحوه قولك إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك بإحسانه تريد إن تمتن علي أمتن عليك فلما رأى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال إنه إن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو إن هذا الأمر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولأمثالها وإنما استعظم كيد النساء لأنه وإن كان في الرجال إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصيات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تحدث به واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمدا وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث وما كان العزيز إلا رجلا حليما وروي أنه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

يقد حال هم دون ذلك داخل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وروي شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران قال

كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

ونصب حبا على التمييز في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء مقالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتته وسمي الاغتياب مكرا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها أرسلت إليهن دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر بهن وبين وضع الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فيبكتهن بالحجة ولتهول يوسف عليه السلام من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب

والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي أن يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لأن من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد رحمه الله متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن رحمه الله متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الأترج وأنشد

فأهدت متكة لبني أبيها تخب بها العثمثمة الوقاح

وكانت أهدت أترجة على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل العتيد لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه إذا قطعه وقرأ الأعرج رحمه الله متكا مفعلا من تكأ يتكأ إذا اتكأ أكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه مررت بيوسف الليلة التي عرج بي إلى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف عليه السلام إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف يوسف عليه السلام وقيل كان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

وقطعن أيديهن جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال

حاشا أبي ثوبان إن به ضنا عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا بالتنوين وقراءة أبي عمرو رحمه الله حاش لله بحذف الألف الآخرة وقراءة الأعمش رحمه الله حشا لله بحذف الألف الأولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة أتبعت الألف في الإسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله فإن قلت فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى إلى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الألف إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن

الصور وابتغى له الملكية وبتّ بها الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك
كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة
كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخاسئة
المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال
ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ
بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقرئ ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مملوك لئيم إن هذا إلا ملك كريم تقول
هذا بشرى أي حاصل بشرى يعني هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرا والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة
بشر لملك قالت فذلكن ولم يقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربا بحاله
واستبعادا لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي
صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه تعني أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به
الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه
استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان
لا شيء أنور منه على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان ولئن لم يفعل ما آمره الضمير
راجع إلى الموصول أم إلى يوسف عليه السلام بل إلى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله أمرتك الخير
ويجوز أن تجعل ما مصدرية فيرجع إلى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري إياه أي موجب أمري ومقتضاه وقرئ وليكونن
بالتشديد والتخفيف أولى لأن النون كتبت في المصحف ألفا على حكم الوقف وذلك لا يكون إلا في الخفيفة وقرئ
السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على إسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له
إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية
فإن قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه إليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب إليه من
اللذة قلت كانت أحب إليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل
واحدة منها الانكفاف أي مشتهى النفس ومكروهها وإلا تصرف عني كيدهن فزع منه إلى ألطاف الله وعصمته كعادة الأنبياء
والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا أن يطلب منه الإجبار على التعفف والإلجاء إليه أصب إليهن
الصبوة الميل إلى الهوى ومنها الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب إليهن من الصبابة
من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لأن الحكيم
لا يفعل القبيح وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لأن قوله وإلا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف
السميع لدعوات الملتجئين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى
بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير لهم للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته
والآيات هي قدة القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي

وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجملا ذلولا زمامه
في يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه وإلحاق الصغار به كما أوعدته به لما أيست من طاعته لها أو لطمعها
في أن يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن رحمه الله لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن
يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من أقرأك
قال ابن مسعود فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم
بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن
مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي إليه أنهما يسمانه فأمر بهما إلى السجن فدخلا السجن ساعة
أدخل يوسف إني أراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية أعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول إليه وقيل
الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا
أي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك أو من العلماء لأنهما سمعاه يذكر للناس
ما علما به أنه عالم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد
في تأويل الرؤيا وروي أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه وإذا ضاق أوسع له وإذا احتاج جمع له وعن قتادة كان
في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا اصبروا تؤجروا إن لهذا لأجرا فقالوا بارك الله عليك
ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن
ذبيح الله إسحق بن خليل الله إبراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك فكن
في أي بيوت السجن شئت وروي أن الفتيين قالا له إنا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله أن لا تحباني
فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني
بارك الله فيكما وعن الشعبي رحمه الله أنهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي أراني في بستان فإذا بأصل حبلة عليها
ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال
فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تنهش منها فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله قلت
إلى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الإشارة في نحوه كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالإحسان
افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من
الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما
وجعل ذلك تخلصا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك بالله وهذه
طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد
والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن

العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية
بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التأويل
والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي اوحى به الي والهمنيه وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان
يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية
واراد بأولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة
وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر
التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما منيت به من جهتهم حين اودعوه السجن بعدما رأوا
الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك مما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت
النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله
ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع
ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل على المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم
اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا
الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس
لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبيّ في السجن
فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما
المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا
الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار
واصحاب الجنة ااي شتى ارباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول اان تكون لكما ارباب شتى
يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل
هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من
اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم اخذتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة
لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان
من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت
الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده خمرا وقرأ عكرمة رحمه الله فيسقى ربه اي يسقى
ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما
القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال
ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشأنكما فان قلت ما استفتيا

في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك
وما سجنا من اجله وظنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل
بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك
احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما
او كذبتما وقال للذي ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو
الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني
من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حتى وكل
امره الى غيره فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف
يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل
عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة
الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك
فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه
الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة بغير
الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله
وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب
الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه
حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك
لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار
قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى
بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت
به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن رحمه الله انه كان يبكي اذا قرأها
ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر ريان بن الوليد رؤيا عجيبة
هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها
فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت
هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت
اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت

بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت
هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده
فان قلت فقد يقولون ثلثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات
جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلثة ضخام واربعة غلاظ
فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان
المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف
عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء
لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت
هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد
في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا
اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي
الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر
فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال
قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملا كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان
تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل
فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز
ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر او حالا وان تضمن
تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر
امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها
وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على
بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب: رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا. اضغاث احلام
تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم
الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت
ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب
الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه
اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة

الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وقرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن
الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف عليه السلام وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة
وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملا تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه
وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرا الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان يقال امه
يامه امها اذا نسي ومن قرا بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن
انا آتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاساله ومروني باستعباره وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن السجن في المدينة
المعنى فارسلوه الى يوسف عليه السلام فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله
وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس
لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون
فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون
وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى
الامر قوله فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا داب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين
اما على تدابون دابا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي داب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ويؤكل من
الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبئون يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال
غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون الثمار والنبات يعصرون العنب والزيتون
والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان
يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون
يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت
عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك
من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب
والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث
الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما تانى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال
النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى
حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب
ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه للمارّين به في معتكفه وعنده بعض
نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن
البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه لما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول
فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر
إن كان لحليماً ذا أناة وإنما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لأن السؤال مما يهيج
الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجدّ في التفتيش عن حقيقة القصة وفصّ الحديث
حتى يتبين له براءته بياناً مكشوفاً يتميز فيه الحق من الباطل ومن كرمه وحسن أدبه
لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن إن ربي إن الله تعالى
بكيدهن عليم أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه وأنه بريء مما قرف به
أو أراد الوعيد لهن أي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شأنكن إذ راودتن يوسف هل وجدتن
منه ميلاً إليكن قلن حاش لله تعجباً من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق أي ثبت واستقر وقرئ حُصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة
قال فحصحص في صمّ الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن
على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لأنهن خصومه وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لأحد
مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا أن ندرق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف
أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز أني لم أخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل
أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه خفي عن عينه أو وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز أن يكون ظرفاً أي بمكان الغيب
وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة وليعلم أن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها وبه في خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه
ويجوز أن يكون تأكيداً لأمانته وأنه لو كان خائناً لما هدى الله كيده ولا سدده ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه
لئلا يكون لها مزكياً وبحالها في الأمانة معجباً ومفتخراً كما قال رسول الله صلى الله عليه أنا سيد ولد آدم ولا فخر
وليبين أن ما فيه من الأمانة ليس به وحده وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما أبرئ نفسي من
الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها ولا يخلو إما أن يريد في هذه الحادثة لما ذكر من الهم الذي هو ميل
النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم وإما أن يريد عموم الأحوال إن النفس لأمارة
بالسوء أراد الجنس أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات إلا ما رحم ربي إلا البعض الذي
رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون ما رحم في معنى الزمان أي إلا وقت رحمة ربي يعني أنها أمارة
بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت العصمة ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة

كقوله ولا هم ينقذون إلا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله أني لم أخنه لأن المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز
أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت
عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا
أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا ما
رحم ربي إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما
ارتكبت فإن قلت كيف صح أن يجعل من كلام يوسف عليه السلام ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلاً قائداً
إلى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ثم
قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره
ذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات
مصنوعة فزعموا أن يوسف حين قال أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت بها وقالت له امرأة
العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه
إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال إنك اليوم لدينا مكين ذو
مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله اللهم اعطف
عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى
وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدداً فلما
دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال
ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق
إني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان
منها على الهيئة التي رآها الملك لا تخرم منها حرفاً وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من النواحي
ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك اجعلني على خزائن الأرض ولني خزائن أرضك إني حفيظ عليم
أمين أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه
وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى
العباد ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء لوجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن
النبي عليه السلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك
سنة فإن قلت كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر ويكون تبعاً له وتحت أمره وطاعته قلت روي
عن مجاهد رحمه الله أنه كان قد أسلم وعن قتادة رحمه الله هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان
جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم
اي تسعد ... من الراي وهو الاعتقاد

بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في أرض مصر روي أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء أي كل مكان أراد أن يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روي أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي أنه قال له أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال فقد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين إفرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل وأعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى فقال الرأي رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر فأرسل يعقوب عليه السلام بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك ولا نضيع أجر المحسنين أن نأجرهم في الدنيا ولأجر الآخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة رحمه الله المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب على رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو وقيل ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذاك ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن رحمه الله ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترت القول هذه المسألة روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن

إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الأخ الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق قالوا إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان أحدهما أن يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كأنه قيل فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهي سنراود عنه أباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وإنا لفاعلون وإنا لقادرون على ذلك لا نتعايا به أو وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته ولفتيانه وهما جمع فتى كإخوة وإخوان في أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا وكانت بضاعتهم النعال والأدم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون قول يوسف عليه السلام فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا أو يكن سببا للاكتيال فإن امتناعه بسببه هل آمنكم عليه يريد أنكم قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وحافظا تمييز كقولهم هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الأعمش رحمه الله فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة رضي الله عنه خير الحافظين وهو أرحم الراحمين فأرجو أن ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت إلينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب رحمه الله ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد ما نبغي للنفي أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته أو ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الإحسان أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب عليه السلام معناه أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة أخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت إلينا جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك ونحفظ

اخانا فما يصيبه شيء مما نخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا
فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد
كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب
اما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا
لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي
فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير اهلنا
كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز
ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا
نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن
واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم
او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر
لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم
لن ارسله معكم منافي لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت ارساله معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق
به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد
وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم
الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال
قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من
الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام
لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت
والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم
ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة وحسنة وقد اشهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة
الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء
اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على
الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم
بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه
قلت يجوز ان يحدث الله عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك
ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين

كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه انه كان يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما
فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله
بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع
تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم
الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم
به وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا
له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم
على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا
فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي
فبات يوسف عليه السلام يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم
اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى
يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد
احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس رضي الله عنه تعرف اليه وعن وهب رضي الله عنه انما قال له
انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال
قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما
بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك قد سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية
مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال
بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم وقيل
كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد
يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف عليه السلام حتى
انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء
وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل
ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وجعل السقاية على حذف
جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن
وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع

بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه
الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا
لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم
دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم
التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع
اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء
سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه
وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه
فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما
هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو
كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ
ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم
افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن
قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف
بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا
فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن رحمه الله وعاء
اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير رضي الله عنه اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع
مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف عليه السلام
كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا
ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك
مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا
بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين
وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت
ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب
لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما اراده ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة
لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن بلا امر

يوسف عليه السلام وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتسريق
لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وحكم هذا الكيد حكم الحيل
الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها
ولا يحنث وكقول ابرهيم عليه السلام هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع
في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت
حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا آخ له اراد يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل
بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل
ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه
ووضع الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل
كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا
من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابرهيم عليه السلام
منطقة يتوارثها الاكابر من ولده فورثها اسحق عليه السلام ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي
عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على
يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي
سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر
مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة
التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق
لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر
كما تصفون استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين
احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه
فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان
فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع
في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله
امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني
باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف
المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا استيئسوا يئسوا وزيادة

وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه
ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق
لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا
عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه
انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته
وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم
من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم
في العقل والراي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شأن
يوسف لم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف
وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم
كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل
هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن
ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف
ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق
وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع
استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك
الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر
ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية
التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها وسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير كانوا قوما
من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل
سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم
بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتليني بذلك
الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة
الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع
ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب

عليه السلام حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تأسف على يوسف عليه السلام دون
اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه
على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني
اوفى المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف عليه السلام كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا
في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد
العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن
الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت
فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر
قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ
قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى
لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح
والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود
بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين
صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله
جعل الحزن عارا على يعقوب عليه السلام فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول
بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ بأكظامه
تفتأ اراد لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه
فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتأ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور
اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا
مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة
حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن رحمه الله حرضا بضمتين ونحوه
في الصفات رجل جنب وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره
ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له
وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على
يعقوب عليه السلام جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني

وأنساني ما ابتلاني الله به فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفر لي
فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وروي أنه أوحي إلى يعقوب عليه السلام
إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلي الأنبياء
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت
حتى عميت وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث
لا أحتسب وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي
فاطلبه وقرأ الحسن رحمه الله وحزني بفتحتين وقتادة رحمه الله بضمتين فتحسسوا من يوسف وأخيه
فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة
فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والجواس من
روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة رحمهما الله من روح الله بالضم أي من رحمته التي
يحيى بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا
لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الأعراب صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والأقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة
فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة
أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات محظورة على الأنبياء
وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة رحمه الله عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا
أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته
الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله إن الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه
والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق
علي إن الله تعالى لا يتصدق وإنما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم أعطني أو تفضل علي
أو ارحمني قال هل علمتم أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه
القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون
لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتتوبوا إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى
الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة
وتثريبا إيثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور
ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها
ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا
الرزانة الثبات

ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد
السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة وروي أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا
إليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن
إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما
أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي
فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي
من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق
وإنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك
دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف عليه السلام الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال
لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فإن قلت
ما فعلهم بأخيه قلت تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى
كان لا يستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى قرئ أإنك على
الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي رضي الله عنه أإنك أو أنت يوسف على معنى أإنك يوسف
أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات
فإن قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع
علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل
تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه
فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فإن قلت قد
سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان
لما سألوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فإن الله لا يضيع أجرهم
وضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا
بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر
لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب
وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع
إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا
للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجه فإن قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب

او المقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي
هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم
بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا
ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله
لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه اخذ
بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ
كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي
ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس رضي الله عنه اذا اتيت الرسول فاتل عليه لا تثريب
عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما
عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحيي منك لما فرط منا
فيك فقال يوسف عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث
علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان
في تعويذ يوسف عليه السلام وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على
مبتلى ولا سقيم الا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد
بصيرا او يأت الي وهو بصير وينصره قوله واتوني باهلكم اي يأتني ابي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا
هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف
حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من
البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فلما انفصل العير قال لولد
ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان
والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال
عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك
للقائه وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب عليه السلام
فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف
او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول وقيل ان يوقع عليه ويريد
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير كيف يوسف فقال

هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة سوف استغفر لكم
قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم
في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة
جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي
جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله ان الله قد غفر لك ولهم
اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك
بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد
اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف
قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة
آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس
فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان
وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن
خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون
ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى عليه السلام والمقاتلون منهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا
سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال
ابن اسحاق كانت امه تحته وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة
تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل
واسحاق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب
او بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ولما دخل مصر وجلس
في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر
والابوين سجدا وقيل ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه
ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر
فان قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم
بالامن في دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وآمنوا في دخولكم ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع
مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم
آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير

أنّ قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأنّ موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربّي في كلام
يعقوب عليه السلم وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره فإن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله
قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحيّة والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت
عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناءً دون تعفير الجباه
وخرّوا لهم سجّدا يا أباه وقيل معناه وخرّوا لأجل يوسف سجّدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة يقال
أحسن اليه وبه قال أحسن بي أو أحسن إليّ من البدو من البادية لأنّهم كانوا أهل عمد
وأصحاب مواشٍ يتنقلون في المياه والمناجع نزغ أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابّة
وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على
وجه الحكمة والصواب وروي أنّ يوسف عليه السلم أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن
الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة
القراطيس قال يا بنيّ ما أعقّك عندك هذه القراطيس وما كتبت إليّ على ثمان مراحل قال أمرني
جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليه منّي فسله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف
أن يأكله الذئب قال فهلّا خفتني وروي أنّ يعقوب عليه السلم أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه
بالشام إلى جنب أبيه إسحق عليه السلم فمضى بنفسه ودفنه ثمّ ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلثا وعشرين سنة
فلما تمّ أمره وعلم أنّه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنّى الموت وقيل ما تمنّاه
نبيّ قبله ولا بعده فتوفّاه الله طيّبا طاهرا يوسف عليه السلم فتخاصم أهل مصر وتشاحّوا في دفنه كلّ يحبّ أن يدفن في محلّتهم
حتى همّوا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل
بمكان يمرّ عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلّهم فيه شرعا واحدا وولد له إفرائيم وميشا وولد
لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل
أولاد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلم
تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى صلى الله عليه من الملك ومن تأويل الأحاديث
للتبعيض لأنّه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت وليّي أنت الذي تتولّاني
بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفّني مسلما طلب للوفاة على حال الإسلام
ولأن يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنّيا
على ما قيل وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أنّ ميمون بن مهران بات عنده
فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمتّ بدعا
وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لمّا أقرّ الله عينه وجمع له أمره قال توفّني
مسلما وألحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب فاطر السموات قلت على أنّه وصف لقوله ربّ

لقوله أو على النداء ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف عليه السلم والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه ومحلّه الابتداء وقوله من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي
ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أنّ هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنّك لم تحضر
بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجبّ وهذا
تهكّم بقريش وبمن كذّبه لأنّه لم يخف على أحد من المكذّبين أنّه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي
رسول الله
فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقصّه هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته
أي العرب
لم تقع شبهة في أنّه ليس منه وأنّه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكّم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرون أنّه لم يكن
مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وهم يمكرون
بيوسف ويبغون له الغوائل وما أكثر الناس يريد العموم كقوله ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس
رضي الله عنه أراد أهل مكّة أي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم
على ما تحدّثهم به وتذكّرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار إن هو إلا ذكر عظة من
الله للعالمين عامّة وحثّ على طلب النجاة على لسان رسول من رسله من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى
صفاته وتوحيده يمرّون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء
ويمرّون عليها خبره وقرأ السدّي والأرض بالنصب على ويطوون الأرض يمرّون عليها وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه
والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن أكثرهم في
إقراره بالله وبأنّه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل
وهم مشركون خالقهم
الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس رضي الله عنهم الذين يشبّهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم
من العذاب ويجلّلهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي
والسبيل والطريق يذكّران ويؤنّثان ثم فسّر سبيله بقوله أدعو إلى على بصيرة أي أدعو إلى دينه مع حجّة واضحة
غير عمياء وأنا تأكيد للمستتر في أدعو ومن اتّبعني عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتّبعني ويجوز
أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدّما ومن اتّبعني عطفا على أنا إخبارا مبتدأ بأنّه ومن اتّبعه على حجّة وبرهان
لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع في أنا ومن اتّبعني وسبحان الله وأنزهه من
الشركاء إلا رجالا لا ملائكة لأنّهم كانوا يقولون لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنه يريد ليست
فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبّئة ولم تزل أنبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي إليهم بالنون من أهل
القرى لأنّهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة
أو الحال الآخرة خير للذين اتّقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ أفلا تعقلون بالتاء والياء حتّى
متعلّقة بمحذوف دلّ عليه الكلام كأنّه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتّى إذا استيأسوا

عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق
ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم
وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن
ابن عباس رضي الله عنه وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه فقد اراد
بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن
الذي هو ترجح احد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس
بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل
اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد
كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد رحمه الله كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل
على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تأويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا
لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي بالتخفيف
والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون
لانهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين الكافرين في قصصهم
للرسل وقومهم قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته ما كان
الا مرجع الضمير فما كان حديثا يفترى فيمن قرأ بالكسر الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن
كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه
السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان ورفع ذلك على ولكن
هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها
اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات
آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه
السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة
الله مبتدأ والذي خبر بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات
خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السماوات بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهاد

برؤيتكم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ابي رضي الله عنه ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر
الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر
والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن رحمه الله نفصل بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق
فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين
الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل
النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد قطع متجاورات بقاع
مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع
لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على
وجه دون وجه وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي
تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض
المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات
وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان واصلها واحد
وقرئ بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس يسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء
للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق
بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون
شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا
من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا
بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة
قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء
منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة
العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال
امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بتخفيف الثاء اتباع الفاء العين
والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات
بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب
ومحله الحال يعني ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر
بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه

ما أهنأ العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد ولولا أنزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم عناداً فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية وإحياء
الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت رجل أرسلت منذراً مخوفاً لهم من سوء العاقبة ناصحاً
كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحته حاصلة بأية آية كانت والآيات
كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت فيها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب
ما اقتضاه علمه بالمصالح وتعدين لها ولكل قوم هاد من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بوجه
من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو أن يكون
المعنى يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون فلا يحزنك ذلك إنما أنت منذر فما عليك إلا أن تنذر
لا أن تثبت الإيمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء وهو الله تعالى
ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقدير الأشياء على قضايا حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات خلاف
آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيراً ومصلحة
لأجابهم إليه وأما على الوجه الثاني فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على
هدايتهم العالم بأي طريق يهديهم ولا سبيل إلى ذلك لغير الله يعلم ويحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً وأن يكون المعنى
هو الله تفسيراً لهاد على الوجه الأخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض وما تزداد
إما موصولة وإما مصدرية فإن كانت موصولة فالمعنى أنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة
وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم
ما تغيضه الأرحام أي تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد
أي تأخذه زائداً تقول أخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعاً ويقال زدته
فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فإنها تشتمل على واحد وقد تشتمل
على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكاً كان رابع أربعة في بطن أمه ومنه جسد الولد فإنه يكون
تاماً ومخدجاً ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة رحمه الله
وإلى أربع عند الشافعي رحمه الله وإلى خمس عند مالك رحمه الله وقيل إن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان
بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرماً ومنه الدم فإنه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية فالمعنى
أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله
ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعلين
غير متعديين ويعضده قول الحسن رحمه الله الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر وعنه الغيض الذي يكون
سقطاً لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله إنا كل

شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعالي المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر
عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالنهار أي في طريقه ووجهه يقال سرب في الأرض
سروباً والمعنى سواء عنده من استخفى أي طلب الخفاء مختفياً بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات
ظاهراً بالنهار يبصره كل أحد فإن قلت كان حق العبارة أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب
بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب وإلا فقد تناول واحداً هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان
أحدهما أن قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني أن من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب
يصطحبان كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كأنه قيل
لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والأصل
معتقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ
به أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لأن بعضهم يعقب بعضاً أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به
فيكتبونه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعاً وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله
أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي
وجعفر بن محمد وعكرمة رضي الله عنهم يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم
له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل
المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله
أو على التهكم وقرئ له معاقيب جمع معقب ومعقبة والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير إن الله لا يغير ما
بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي [illegible] خوفاً وطمعاً لا يصح أن
يكونا مفعولاً لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وطمع أو على معنى
إخافة وإطماعاً ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من
المخاطبين أي خائفين طامعين ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث
قال أبو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق وقيل يخاف المطر
من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر
كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به السحاب اسم الجنس والواحد سحابة والثقال جمع ثقيلة لأنك تقول
سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو
الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له وكان إذا اشتد الرعد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه أن

اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن رحمه الله خلق من خلق الله ليس بملك ومن
بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة
من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي
عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا
آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقوله
من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام
المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل
الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله اخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد المحال المماحلة
وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى
به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد
غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون
وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز
ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان
الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته
الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق
الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها
بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت
دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي
دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن
الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله
قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول
فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين
يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفرة من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى
الماء

استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد
لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه
جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم
لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ
طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه
لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراد
فيهم من افعاله شاؤوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته
في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل
قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا
الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه
أهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على
هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه
أفاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب
التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان
ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين
ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين
قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا
العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق
فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب مقهور
هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل
الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز
الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد
لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار
والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الفلز تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة
اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو
فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة

بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض فإن قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها
الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلاً
للحق فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع خالياً من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف
فإن قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية أو متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لأنه
جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس لأن المعنى وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر
وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية
أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك
نحو ما جاء في ذكر الآجر أوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد
الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابياً منتفخاً مرتفعاً على وجه السيل جفاء يجفأه السيل أي يرمي به
وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالاً وعن أبي حاتم
لا تقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفأر وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة
بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين
والحسنى صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل
قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا
والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة
فيه وعن النخعي رحمه الله أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أفمن
يعلم لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أن ما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل
من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز إنما يتذكر أولو الألباب
أي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره
كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه وعهد الله
ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق
ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم
بعد تخصيص ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم
والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود
جنائزهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب
حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان

فقال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها
لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم أي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصاً سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل
أن يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه
الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الأعداء
كقوله وتجلدي للشامتين أريهم ولأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله فما إن جزعت
ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسناً
عند الله وإلا لم يستحق به ثواباً وكان فعلاً كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقاً ولا يسند
إلى الله سراً وعلانية يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفياً للتهمة
ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعونها وعن ابن عباس رضي الله عنه يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من
سيئة غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان رحمه الله
إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد
الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل
نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء
للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال
الصالحة وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لأن المعنى
قائلين سلام عليكم أو مسلمين فإن قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم
يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى
لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قد أرى فيها أوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه
أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق
بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول
سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم
وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق أي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي
بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور
بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم أن نعيم الدنيا
في جنب الآخرة ليس إلا شيئاً نزراً يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق
أو نحو ذلك فإن قلت كيف طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل من يشاء
قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله لم يؤتها

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد

نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوها كأن آية لم تنزل قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم أناب أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل من أناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك أرسلناك مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو أن قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أني قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعا أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون على الله من داود وسخر لنا الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان أو ابعث لنا به رجلين أو رجلا ممن مات

من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء رحمه الله هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا بل لله الأمر جميعا على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قرءوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أو لم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شرارها وتتعدى إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله صلى الله عليه كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه استهزاء به وتسلية له أفمن هو قائم احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة أو طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال أم تنبئونه على أم المنقطعة كقولك

ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق

للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو
العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي
ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول
بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان
طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين
وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلث وقرا ابن
ابي اسحق رحمه الله وصدٌّ بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد
فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن
ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من
عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر
محذوف على مذهب سيبويه رحمه الله اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار
كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج رحمه الله معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف
الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها
دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما تنسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب
يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا
اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة هولاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني
مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وغير ذلك
مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله
قلت هو جواب للمنكرين معناه انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له
انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرا نافع
في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون
في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه
لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا

فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية
مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه الى امور يوافقهم عليها
منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد
ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق
وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل
زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه من شدة الشكيمة بمكان كانوا
يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات
وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بآيات
برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت
حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة
ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم
بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان
والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل
كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت واما نرينك وكيف ما دارت
الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا
تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل
بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم
فننقص من دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون
انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ
الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره
فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر
وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله
وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي
غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام
بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم
في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة

ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره تعالى فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش رحمه الله وسيعلم الكافر من أعلمه اي سيخبر وكفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الّف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن رحمه الله لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضد قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل لك كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن رحمه الله ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال أناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة داخلة فيه على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا تكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه

وروي عن الضحاك رحمه الله ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان
قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب
وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل
الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف
وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته
الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه
معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل
بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في
الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف
الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة
وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام
وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر
على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع ما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على
ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم
اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب
بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا
كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق
بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا
كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت
في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق
ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على
جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من
ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى
الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى عليه السلام لقومه
وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم

واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم آذن ربكم ونظير تاذن وآذن توعد واوعد وتفضل
وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي
عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى
قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني
اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة
الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر
نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها
الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه
واياديه وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت
اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث
لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان
ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرا هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى
الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم
وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق
الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها
على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى
السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة
بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع
والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت
منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة
او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر افي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة
وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة
كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبى يدي مسور
فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين
كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم

وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك
عليه الاستقراء وكأن ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد
انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى
وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم
الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر
رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج
وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم
بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا امثالهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا
منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة
الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان
الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كأنهم قالوا
ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا
الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب
توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت
كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن
ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم والحلف على ذلك فان قلت كأنهم كانوا
على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة
فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او
خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية
تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة رحمه الله ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن
والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه من آذى جاره ورثه الله داره ولقد
عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك
العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون

٤

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم
بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن
على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او
لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن
الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك
لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل
مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون
مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد

ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله تعالى
ذلك اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف
مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على
اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة
للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله
وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو
معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال
لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار
عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل
جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج
قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله
في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من
ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان
لما قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف
جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها
اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كأن اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت
عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من
ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى
عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل رحمه الله هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان
يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول
الله صلى الله عليه فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل
سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث
الرسل مثل هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه رحمه الله تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل
مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف
مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هي الجملة خبر للمبتدأ
اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا

مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرى الرياح فى يوم عاصف جعل العصف لليوم
وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرى فى يوم
عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل
للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنايعهم شبهها فى حبوطها وذهابها هباء منثورا
لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح لا يقدرون يوم العاصف
القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شىء اى لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير فى الريح
على شىء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض
الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرى خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم
اى هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه
باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشىء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر
بل هو عليه هين يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعى الى
شىء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف
وهذه الاية بيان لابعادهم فى الضلال وعظيم خطائهم فى الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على
قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق ان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه فى دار الجزاء وبرزوا
لله ويبرزون يوم القيامة وانما جىء به بلفظ الماضى لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد
ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظاير له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه
شىء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله
فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا تخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم
فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفوا بواو قبل الهمزة قلت كتب
على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علموا بنى اسرائيل والضعفاء الاتباع
والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع
الى الانبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذوى
تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اى فرق بين من فى من عذاب الله وبينه فى من
شىء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشىء الذى
هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شىء هو بعض عذاب الله اى
بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذى قال لهم
الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت

الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام

لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم
الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب فى ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا
لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا
يقولونه فى الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
انهم على شىء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان
وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة
كما سلكنا بكم طريق الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الصبر والجزع والهمزة وام
للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام
فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله
سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون
ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا
الله طريق النجاة لاغنينا عنكم واجنبناكم اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اى منجى ومهرب
جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا
كقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال
حاص عنه وجاض بمعنى واحد لما قضى الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر
الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا فى الاشقياء
من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم
ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصى
والجئكم اليها الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم الى الضلالة بوسوستى وتزيينى وليس الدعاء من
جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلومونى ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بى
واطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة
او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر
كما تزعم المجبرة لقال فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت
قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره
على انه لا طائل له فى النطق بالباطل فى ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
كيف اتى فيه بالحق والصدق وفى قوله وما كان لى عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادى ليس لك

عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا
من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا
لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر ياء الاضافة
ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء
الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت
جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن
فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر
المتواتر تتضاءل اليه القياسات ما في بما اشركتموني مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني يعني
كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى
كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي
اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له
شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه
لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون
من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم
والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول
فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله ورضوانه عليهما وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل
انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله
وامره فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت
الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم
ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقرئ الم تر بسكون الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد
مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة
مثلا يعني جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها وراسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة

الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء

اقوى معنى لان في قراءة انس رضي الله عنه اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم
فهو اقوى معنى من قولك مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة
كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة
وعن ابن عباس رضي الله عنه شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار
كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر
البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وانا اصغر ان اقولها
القوم وردي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي
من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه الا انها النخلة وعن ابن عباس رضي الله عنه شجرة في الجنة
وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء
تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها
باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير
للمعاني كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا
على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة
لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها
ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار
يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت
والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة رحمه الله انه قيل لبعض العلماء
ما تقول في كلمة خبيثة فقال لا اعلم لها مستقرا في الارض ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها
حتى يوافي بها القيامة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده
واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب
الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس
وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم
لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن
البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه
في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله

الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بالحجة في دينهم وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإضلالهم في الدنيا أنهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأذل ويفعل الله ما يشاء أي ما توجبه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينه وبين شأنهم عند زللهم بدلوا نعمة الله أي شكر نعمة الله كفرا لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي شكر رزقكم وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لإيلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في أعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الأيهم وأصحابه وأحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان [illegible] ليضلوا بفتح الياء وضمها فإن قلت الضلال أو الإضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الأنداد كما كان الإكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وإن لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة فإن مصيركم إلى النار ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار المقول محذوف لأن جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فإن قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال أي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية أو على المصدر أي إنفاق سر وإنفاق علانية والمعنى إخفاء المتطوع به من الصدقات والإعلان بالواجب والخلال المخالة فإن قلت كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل أن الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهادات الأصدقاء ليستجروا

بدل إياهم أمثالها أو خيرا منها وأما الإنفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى فلا يفعله إلا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما تنفقون فيه أموالكم من المعاوضات والمكارمات وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدأ والذي خلق خبره من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه في معنى رزق بأمره بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ما موصولة وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله لظلوم كفار يظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله أمنا وكفاه كل باغ وظالم وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم عليه السلام آمنا ذا أمن فإن قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ وأجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنّبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون جنبني شره وأجنبني والمعنى ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها وبني أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الأصنام فقال ما عبد أحد من ولد إسماعيل عليه السلام صنما واحتج بقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام إنما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت إنهن أضللن كثيرا من الناس فأعوذ بك أن تعصمني وبني من ذلك وإنما جعلن مضلات لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فإنه مني أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي

ومثلا بسنتي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر لهم ما سلف منهم من عصياني اذا بدا لهم فيه واستحدثوا الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل عليه السلام ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد رحمه الله لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم تطير نحوهم شوقا ونزاعا ومن قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع

وهو اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما تزعمين كبير اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل عليه السلام ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل عليه السلام لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم عليه السلام الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم عليه السلام ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله تعالى ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه رحمه الله فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد

سماع الله تعالى ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعّض لانه علم باعلام
الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعائي اي عبادتي
واعتزلكم وما تدعون من دون الله في قراءة ابي رضي الله عنه ولابويّ وقرأ سعيد بن جبير رضي الله عنه
ولوالدي على الانفراد يعني اباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولديّ يعني اسمعيل واسحق
عليهما السلام وقرئ لوُلدي بضم الواو والوُلد بمعنى الولد كالعُدم والعدم وقيل جمع ولد كأُسد
في أسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا
كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه
آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو
شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثني الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى
فيه بابرهيم عليه السلام يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه
قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت
على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية
وعن مجاهد رحمه الله قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد
آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه
وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم عليه السلام ربنا اني اسكنت الآية
رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف
يحسبه رسول الله صلى الله عليه وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان
خطابا لرسول الله صلى الله عليه ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا
كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله
ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى
عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم
يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم
المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته
فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة رحمه الله تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال
انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها
من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر
اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون

ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى
انفسهم هواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا
لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان رضي الله عنه فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج
افئدتهم هواء صفر من الخير خالية منه وقال ابو عبيد رحمه الله جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب
مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد
من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون
يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق او لم تكونوا
اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل
والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء
بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون
في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر
في الدار وغني فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها
واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة
من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم
فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين
لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة
لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو
اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر
هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم
الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان
كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله
وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله

وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان
مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن
اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر
رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول
الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد
ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه
رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه
في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه
الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون
في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين
وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل
ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل
تبدل اوصافها فتسير على الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن
ابن عباس رضي الله عنه هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار
بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها
وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر
الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة
وسموات من ذهب وعن الضحاك رحمه الله ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض
بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار
كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم
الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما
ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد
لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران فيه ثلاث
لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل
فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف

ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به
جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران
وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله واوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه
ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه
ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر
المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه
ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل
ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم
علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله
ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به
بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الذال من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله
واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام
الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وبعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن
المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين
كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما
بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي
قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود
فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين
وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل
قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل
ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا
لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التغيظ ومن القليل منه كما من الكثير
وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا فكيف وهم يودونه في كل ساعة

في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية لودادتهم وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم
أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فإن جاءتهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا ذلك
ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة
وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة
الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة إلا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الإيذان بأنهم
من أهل الخذلان وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون
به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل
بما لا طائل تحته وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندما في العاقبة وفيه إلزام
للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدي
إليه طول الأمل وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا
من أخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى
وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال
جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح
وبين ألا ترى إلى قوله ما تسبق من أمة أجلها في موضع كتابها وأنث الأمة أولا ثم ذكرها آخرا
حملا على اللفظ والمعنى وقال يستأخرون فحذف عنه لأنه معلوم وقرأ الأعمش رحمه الله يا أيها الذي ألقي عليه
الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وكيف
يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع
وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب إنك لأنت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام
العجم والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين
معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل
لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون
بصدقك ويعضدونك على إنذارك كقوله لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو هلا تأتينا بالملائكة
للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقا كما كانت تأتي الأمم المكذبة برسلها وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة إلا بالحق إلا تنزلا
ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله
عليه لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السماوات والأرض

وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لوما
تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة
إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم
من رسول إلا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا
يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا
من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا
بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا
وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا
من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها
وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون

وما بينهما إلا بالحق وقيل الحق الوحي أو العذاب وإذن جواب وجزاء لأنه جواب لهم وجزاء
لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم إنا نحن نزلنا
الذكر رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال إنا نحن
فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه
ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت
من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها
الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه فإن قلت فحين
كان قوله إنا نحن نزلنا الذكر ردا لإنكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وإنا له لحافظون
قلت قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده آية لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق
عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه كقوله والله
يعصمك في شيع الأولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى
أرسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية لأن ما لا يدخل على
مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا
أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر أي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب
المجرمين على معنى أنه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك
إليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعني مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله
لا يؤمنون به النصب على الحال أي غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الأولين طريقتهم
التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم وقرئ
يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت أو حبست من الإبصار من السكر أو من السكر وقرئ سكرت
بالتخفيف أي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر أي حارت كما يحار السكران
والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج
يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا
محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر
الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال إنما ليدل على أنهم يبتون القول
بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس رضي الله عنه
أنهم كانوا لا يحجبون عن السماوات فلما ولد عيسى صلى الله عليه منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد
محمد صلى الله عليه منعوا من السماوات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بالميزان

الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان أو له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة
وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف
الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين
بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم
كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ولمن
لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين تحسبون انكم ترزقونهم وتخطئون
فان الله هو الرزاق يرزقكم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما
الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور
في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا
ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم فضرب الله
مصلحة له فضرب مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا
جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى
الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا
الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته
لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على
خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجزهم ونحن
الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت
لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا من استقدم
ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد
او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة
والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه
وكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم اي هو
وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم
عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل
شيء والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا
توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا
انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب

المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل
المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا
من حمإ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون
بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان
للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو ابن عبيد والجأن
بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام وقيل هذه السموم
جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك
واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى
ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل
ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب
اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا وابى استيناف على تقدير
قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس
ابى حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض
لك في ابائك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح
مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون
بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان
اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء
او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس
في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم
مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا
جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت
المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل
انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث
احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية
وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه
اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر

وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين

قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين

[illegible] من [illegible] والنعي [illegible] يقوله وانظرني الى [illegible] التكليف [illegible] من قوله ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم [illegible] [illegible] من قبله الكفر [illegible] الى يوم الوقت المعلوم [illegible] [illegible]

بالسجود الاحسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار
الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى برى من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله
بما اغويتنى لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم فى انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته
والثانى اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم
محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائى اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بى من
التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصى واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم فى الارض
فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد انى اقدر
على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو فى السماء فانا على التزيين
لاولاده فى الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزيينى
فيها اى لازيننها فى اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة فى الدنيا وحدها حتى يستحبوها على
الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح فى عراقيبها نصلى استثنى المخلصين لانه
علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اى هذا طريق حق على ان اراعيه وهو ان لا يكون
لك سلطان على عبادى الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علىٌّ وهو من
علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها
فاعلاها للموحدين والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس
للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم
لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير
للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزٌّ بالتخفيف والتثقيل
وقرا الزهرى جزٌّ بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاء كقولك
خبٌّ فى خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجلّ ثم اجرى الوصل مجرى الوقف
المتقى على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر
والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرا
الحسن أُدخِلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن
فى القلب من انغل فى جوفه وتغلغل اى ان كان لاحدهم فى الدنيا غل على اخر نزع الله
ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له مرحبا بك يا ابن
اخى اما والله انى لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل

فقال

فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة فى مكان واحد فقال فلمن هذه
الاية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات فى
الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادّ والتحابّ واخوانا نصب على الحال وعلى سرر
ومتقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع
احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادى تقريرا لما ذكر
وتمكينا له فى النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم
على نبئ عبادى ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله
وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اى نسلم عليك
سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم
دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرا الحسن لا تُوجَل بضم التاء من اوجله يوجله اذا
اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نَبشُرك بفتح النون
والتخفيف انا نبشرك استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل ارادوا انك بمثابة
الآمن المبشر فلا توجل يعنى ابشرتمونى مع مس الكبر بان يولد لى اى ان الولادة
امر عجيب مستنكر فى العادة مع الكبر فبم تبشرون هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب
كانه قال فباى اعجوبة تبشرونى او اراد انكم تبشروننى بما هو غير متصور فى العادة
فباى شىء تبشرون يعنى لا تبشرونى فى الحقيقة بشىء لان البشارة بمثل هذا بشارة
بغير شىء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعنى
باى طريقة تبشروننى بالولد والبشارة به لا طريقة لها فى العادة وقوله بشرناك
بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اى بشرناك باليقين الذى لا لبس فيه او بشرناك بطريقة
هى حق وهى قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرونِ بفتح النون وبكسرها على حذف نون
الجمع والاصل تبشروننى وتبشرونّ بادغام نون الجمع فى نون العماد وقرئ من
القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث فى النون اراد ومن
يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون يعنى لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن
استبعادا له فى العادة التى اجراها الله فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء
متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم

موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في
مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم كما قال
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف
الاستثناءين قلت نعم وذلك ان ال لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال
وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى ال لوط اصلا ومعنى
ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب
والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن ال لوط انجيناهم واما في
المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا
هولاء وينجوا هولاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه
الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا
انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن ال لوط
منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابرهيم صلى الله عليه قال لهم فما حال ال
لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امراته مم استثني وهل هو استثناء
من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء
من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه
وان يقال اهلكناهم الا ال لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق
ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما
في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا ال لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته
قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل
فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق
من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك
فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل
التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب
والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا
بكذا والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون
عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان
تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا

لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم
بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار
بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب
الاقليد فسر من السير والقطع في اخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا
من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره
باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه
واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله
وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون
مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات
في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون
مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما
ينزل بقومهم فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا
قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه
اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا
او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان
من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى
وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير
في تؤمرونه وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحيناه اليه مقضيا مبتوتا
وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هولاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم الامر وتعظيم
له وقرا الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر
فقال ان دابر هولاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هولاء ودابرهم اخرهم يعني
يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها
المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او
جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلوني
باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء عن
العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له

فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم
ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون و
قضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع
مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هولاء
ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم
ننهك عن العالمين قال هولاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها
سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات
للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمومنين
وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما
لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم
اياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل
ان ربك هو الخلاق العليم

فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس
وانزالهم وكانوا نهوه ان تضيف احدا قط هولاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة
اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هولاء بناتي فانكحوهن وخلوا
بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم
وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم
لعمرك على ارادة القول اى قالت الملائكة للوط لعمرك انهم لفي سكرتهم اى في غوايتهم التى
اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم
من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى
نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة
له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان
الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل
في قولك بالله وقرى في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبرئيل عليه السلام مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل
ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اى معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين
المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة
الشئ يقال توسمت في فلان كذا اى عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها للقرى
قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس
بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين
اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة
ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يوتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح
الذى تكتب فيه لانها مما يوتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام
المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد
صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر
قال مررنا مع رسول الله على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا
ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر رسول الله راحلته
فاسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى

بنيانها

بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب
الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة
والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والحكمة صح
والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله سينتقم لك فيها من
اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض
وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء
وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك
هو الخلاق الذى خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم
وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمن ان ربك هو الخالق وهو يصلح
للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا
سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الانفال
وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم تفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس
وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان
الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على
الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للاية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها
من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها
تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او التبعيض اذا
اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب
الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها
فان قلت كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشئ على
نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القران
لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران
يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني
والقران العظيم اى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اى لا تطمح ببصرك
طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت
كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم و
لا تحزن عليهم واخفض جناحك للمومنين وقل
اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين
جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم اجمعين
عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن
المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون
مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن
من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القران العظيم فعليك ان تستغني به
ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقران وحديث
ابي بكر من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وساير الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال
لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن
عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام
وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب
نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان
وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت
وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على
اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم
بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق
وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول
الاخر سورة ال عمران لي ويجوز ان يراد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم وقد
اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى
اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عن صنيع قومه
بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا
بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر
قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على
قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون
وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي
انذر المعضين الذين يجزؤن القران الى سحر وشعر والى اساطير مثل
ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول
بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر

فاهلكم

فاهلكم الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن
المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام
والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك
فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله عن
تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد للتسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم
والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع
عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة
وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته بمعنى بهته وعن عكرمة العضة
السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله العاضهة
والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد
وقيل نسالهم سوال تقريع وعن ابي العالية يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون
وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة
اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة
الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من
الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية
اي بامرك من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذووا
اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود
بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال
جبريل لرسول الله امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص
العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى
ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى الحرث بن قيس فامتخط
قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه
بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك
وفي القران فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة
السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت
اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة

عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه سورة النحل
مكيه غير ثلث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون اية وتسمى سورة النعم

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزآ
وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اى هو بمنزلة الآتى الواقع وان كان منتظرا
لقرب وقوعه فلا تستعجلوه وروى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما
بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر
ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا
وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت
اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا
وقرى تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن
ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة
او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم
استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرى يشركون بالياء والتاء ينزل قرى
بالتخفيف والتشديد وقرى تنزل الملائكة اى تتنزل بالروح من امره بما يحيى
القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وان
انذروا بدل من الروح اى ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اى بان الشان
اقول لكم انذروا او يكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول
ومعنى انذروا انه لا آله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته
والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولى لا آله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته
وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق
الانسان وما يصلحه ولا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله
وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان
يشرك به غيره وقرى يشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان
احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان
نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثانى فاذا هو خصيم

لربه

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما
يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله
الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو
خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الا
نفس ان ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد
السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذى
انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون

لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وصفا للانسان بالافراط
فى الوقاحة والجهل والتمادى فى كفران النعمة وقيل نزلت فى ابى بن خلف
الجمحى حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله فقال يا محمد اترى الله يحيى
هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها
بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اى
خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان
والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من
صوف او وبر او شعر وقرى دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع
هى نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت وتقديم الظرف فى قوله ومنها
تاكلون موذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل
الذى يعتمده الناس فى معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد
البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم
تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تاكلونها منها وتكسبون باكراء الابل وتبيعون
نتاجها والبانها وجلودها ومن الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض
اصحاب المواشى بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها
بالغداة فزينت بإراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست
اهلها وفرحت اربابها واجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة
عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة ويوارى سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت
الاراحة على التسريح قلت لان الجمال فى الاراحة اظهر اذا اقبلت ملاء البطون
حافلة الضروع ثم آوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرا عكرمة حينا تريحون وحينا
تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه كقوله تعالى يوما لا تجزى وقرى بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان
فى معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته
راجعة الى الشق الذى هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته
لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانوا زمانا يتحملون كأنهم
المشاق فى بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه فى التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه فى الحقيقة

فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا
حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم
انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان
يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن
عكرمة البلد مكة لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل
والبغال والحمير عطف على الانعام اى وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة
اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام
فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل
لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف عليه على سنن واحد قلت
لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزاين وهو الخالق وقرى لتركبوها
زينة بغير واو اى وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اى وخلقها
لتركبوها وهى زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا
مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على
قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره
بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار
مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد
وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد
وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى
الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى
فان قلت لم غير اسلوب الكلام فى قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته
اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه
جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء اختياره والله
برئ منه ولو شاء لهديكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له
والشراب ما يشرب شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفى حديث عكرمة لا تاكلوا
ثمن الشجر فانه سحت يعنى الكلاء تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة
واسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض وقرى
ينبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات

المعطوف

يعني ومنكم جائر

لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون
فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت
بالتشديد وقرا ابى بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
بالرفع قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها
نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين
والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها فى حال كونها
مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير
جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم
تسخيرات بامره وقرى بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر
وقرى والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
فجمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين
شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا لكم معطوف على الليل والنهار يعنى ما خلق فيها
من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه
بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت
ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه
لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على
الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء
بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة فى قوله ان شر
الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث
حلية هى اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما
يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء صوت
جرى الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب
والمائد الذى يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله تعالى الارض فجعلت تمور فقالت
الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم
خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا وعلامات هى معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من
جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم فى ايدى الناس

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون

وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرا الحسن وبالنجم بضمتين
وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرُهُن ورُهْن والسكون تخفيف وقيل حُذف الواو من
النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب
مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد
بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك
علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت
من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها
انهم سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين
يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من
يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا
علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل
وايد واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت
لهم هذه الاعضاء لصح ان يُعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها
الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم
افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه
والعبادة له وسوّوا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبّهوه بها فانكر
عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه
طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها
على ان وراها ما لا ينحصر ولا ينعدّ ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في
اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم
الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يُدعَون على البناء للمفعول نفي عنهم خصايص
الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم
صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات
غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها
الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يشعرون للداعين
اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم

فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه
من لوازم التكليف ووجه اخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت
والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حيوة
فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشئها الله
حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها
حيوة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الالهة
متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا
الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس
منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حيوتهم وما يشعرون
ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما
تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة
ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية
وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم
وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر
ويدخل هؤلاء تحت عمومه ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع
بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما تدّعون
نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون
قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزلَ ربهم واساطيرَ
قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين
لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا
سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا
اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان
هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير
ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي
يُضلون من لا يعلم انهم ضُلّال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان
لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد

يجوز ان يريد المستكبرين

لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا
يحب المستكبرين واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم
قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم
الا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى
الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم
القيمة يخزيهم ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون
فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء
على الكافرين الذين تتوفيهم الملئكة ظالمي
انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى
ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل
للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة
خير ولنعم دار المتقين

اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا
بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين
فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من
حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله
خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى
اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث
لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم
يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا
ثم العذاب في الآخرة شركاي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها
على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم
وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله
قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان
ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم
وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل الذين الملائكة قرئ تتوفاهم
بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا
وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء
وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولو العلم ان الله عليم
بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب
جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا
بين جواب المقر وجواب الجاحد (يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب) على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا
خيرا (اي) انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين
وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم
بخبر النبي فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه
كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه
فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا
وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا
القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين

ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم
في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم
دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا
محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر
والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن
جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة يأتيهم الملائكة
قرئ بالتاء والياء يعني ان تاتيهم لقبض الارواح او امر ربك العذاب المستاصل او القيمة
كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات
اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم
من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به
وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا
ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا
مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا
على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك
والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال
العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها
وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة
الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة
الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه
عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من
اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين
حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار
ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت
عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال
عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يُهدى اي لا يقدر
احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال

الخذلان الذی هو نقیض النصرة ویجوز ان یکون لا یهدی بمعنی لا یهتدی یقال
هداه الله فهدی وفی قراة ابی وان الله لا هادی لمن یضل ولمن اضل وهی معاضدة
لمن قرا لا یهدی علی البناء للمفعول وفی قراة عبد الله یهدی بادغام تاء یهتدی وهی
معاضدة للاولی وقری یَضل بالفتح وقرا النخعی ان تحرِص بفتح الراء وهی لغیة واقسموا
بالله معطوف علی وقال الذین اشرکوا ایذانا بانهما کفرتان عظیمتان موصوفتان حقیقتان
بان تحکیا وتدونا توریک ذنوبهم علی مشیئة الله وانکارهم البعث مقسمین علیه
وبلی اثبات لما بعد النفی ای بلی یبعثهم وعدا مصدر موکد لما دل علیه بلی لان یبعث موعد
من الله وبین ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب علیه فی الحکمة ولکن اکثر الناس لا یعلمون
انهم یبعثون او انه وعد واجب علی الله لانهم یقولون لا یجب علی الله شیٔ لا ثواب
عامل ولا غیره من مواجب الحکمة لیبین لهم متعلق بما دل علیه بلی ای یبعثهم لیبین لهم والضمیر
لمن یموت وهو عام للمومنین والکافرین والذی اختلفوا فیه هو الحق ولیعلم الذین کفروا
انهم کذبوا فی قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شیٔ وفی قولهم لا یبعث الله من یموت
وقیل یجوز ان یتعلق بقوله ولقد بعثنا فی کل امة رسولا ای بعثناه لیبین لهم ما اختلفوا
فیه وانهم کانوا علی الضلالة قبله مفترین علی الله الکذب قولنا مبتدا وان نقول خبره وکن
ویکون من کان التامة التی بمعنی الحدوث والوجود ای اذا اردنا وجود شیٔ فلیس الا
ان نقول له احدث فهو یحدث عقیب ذلک لا یتوقف وهذا مثل لان مرادا لا یمتنع علیه
وان وجوده عند ارادته غیر متوقف کوجود المامور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد
علی المامور المطیع الممتثل ولا قول ثم والمعنی ان ایجاد کل مقدور علی الله عز وعلا
بهذه السهولة فکیف یمتنع علیه البعث الذی هو من شق المقدورات وقری فیکون
عطفا علی نقول والذین هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مکة ففروا بدینهم
الی الله منهم من هاجر الی الحبشة ثم الی المدینة فجمع بین الهجرتین ومنهم من هاجر الی
المدینة وقیل هم الذین کانوا محبوسین معذبین بعد هجرة رسول الله وکلما خرجوا تبعوهم
فردوهم منهم بلال وصهیب وخباب وعمار وعن صهیب انه قال لهم انا رجل کبیر ان
کنت معکم لم انفعکم وان کنت علیکم لم اضرکم فافتدی منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بکر
قال له ربح البیع یا صهیب وقال له عمر نعم الرجل صهیب لو لم یخف الله لم یعصه وهو ثناء
عظیم یرید لو لم یخلق الله نارا لاطاعه فکیف فی الله فی حقه ولوجهه حسنة صفة
للمصدر ای لنبوئنهم تبوئة حسنة وفی قراة علی رضی الله عنه لنثوینهم ومعناه اثواءة

واقسموا بالله جهد ایمانهم لا یبعث الله من یموت بلی وعدا علیه حقا ولکن اکثر الناس لا یعلمون لیبین لهم الذی یختلفون فیه ولیعلم الذین کفروا انهم کانوا کاذبین انما قولنا لشیٔ اذا اردناه ان نقول له کن فیکون والذین هاجروا فی الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فی الدنیا حسنة ولاجر الاخرة اکبر لو کانوا یعلمون الذین صبروا وعلی ربهم یتوکلون وما ارسلنا من قبلک الا رجالا نوحی الیهم فاسالوا اهل الذکر ان کنتم لا تعلمون بالبینات والزبر وانزلنا الیک الذکر لتبین للناس ما نزل الیهم ولعلهم یتفکرون افامن الذین مکروا السیئات ان یخسف الله بهم الارض او یاتیهم العذاب من حیث لا یشعرون او یاخذهم فی تقلبهم فما هم بمعجزین او یاخذهم علی تخوف فان ربکم لرءوف رحیم

حسنة وقیل لنثوینهم منزلة حسنة وهی الغلبة علی اهل مکة الذین ظلموهم وعلی العرب
قاطبة وعلی اهل المشرق والمغرب وعن عمر انه کان اذا اعطی رجلا من المهاجرین عطاء قال
خذ بارک الله لک فیه هذا ما وعدک الله فی الدنیا وما ذخر لک فی الاخرة اکثر وقیل لنبوئنهم
مباءة حسنة وهی المدینة حیث آواهم اهلها ونصروهم لو کانوا یعلمون الضمیر للکفار
ای لو علموا ان الله یجمع لهولاء المستضعفین فی ایدیهم الدنیا والاخرة لرغبوا فی دینهم
ویجوز ان یرجع الضمیر الی المهاجرین ای لو کانوا یعلمون ذلک لزادوا فی اجتهادهم وصبرهم
الذین صبروا علی هم الذین صبروا او اعنی الذین صبروا وکلاهما مدح ای صبروا علی العذاب
وعلی مفارقة الوطن الذی هو حرم الله المحبوب فی کل قلب فکیف بقلوب قوم هو
مسقط راسهم وعلی المجاهدة وبذل الارواح فی سبیل الله قالت قریش الله اعظم من
ان یکون رسوله بشرا فقیل وما ارسلنا من قبلک الا رجالا یوحی الیهم علی السنة الملائکة
فسألوا اهل الذکر هم اهل الکتاب لیعلموکم ان الله لم یبعث الی الامم السالفة الا بشرا
فان قلت بم تعلق قوله بالبینات قلت له متعلقات شتی فاما ان یتعلق بما
ارسلنا داخلا تحت حکم الاستثناء مع رجالا ای وما ارسلنا الا رجالا بالبینات کقولک ما ضربت
الا زیدا بالسوط لان اصله ضربت زیدا بالسوط واما برجالا صفة له ای رجالا ملتبسین
بالبینات واما بارسلنا مضمرا کانما قیل بم ارسلوا فقلت بالبینات فهو علی کلامین والاول
علی کلام واحد واما بیوحی ای یوحی الیهم بالبینات واما بلا یعلمون علی ان الشرط فی
معنی التبکیت والالزام کقول الاجیر ان کنت عملت لک فاعطنی حقی وقوله فسئلوا اهل
الذکر اعتراض علی الوجوه المتقدمة واهل الذکر اهل الکتاب وقیل للکتاب الذکر
لانه موعظة وتنبیه للغافلین ما نزل الیهم یعنی ما نزل الله الیهم فی الذکر مما امروا به
ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم یتفکرون وارادة ان یصغوا الی تنبیهاته
فینتبهوا ویتاملوا مکروا السیات ای المکرات السیات وهم اهل مکة وما مکروا به رسول
الله فی تقلبهم متقلبین فی مسایرهم ومتاجرهم واسباب دنیاهم علی تخوف متخوفین
وهو ان یهلک قوما قبلهم فیتخوفوا فیاخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون
وهو خلاف قوله من حیث لا یشعرون وقیل هو من قولک تخوفته وتخوننه تنقصته اذا
قال زهیر تخوف الرحل منها تامکا قردا کما تخوف عود النبعة السفن ای لم یاخذهم
علی ان ینتقصهم شیٔا بعد شیٔ فی انفسهم واموالهم حتی یهلکوا وعن عمر انه قال علی المنبر
ما تقولون فیها فسکتوا فقام شیخ من هذیل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل

تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر يا ايها الناس
عليكم بديوانكم لا تضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم
لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ اولم تروا وتتفيؤا بالتاء
والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شئ يتفيؤا ظلاله واليمين بمعنى الايمان
وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو
ما خلق الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة
ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة
عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان
وشماله لجانبي الشئ اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه
فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله
فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في
السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض
وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض وحده
ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين
لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة
ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام
خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين
طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين
يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت
فهلا جئ بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جئ بمن لم يكن
فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجئ بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة
العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين
وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم
ان علقته بيخافون فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا
فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد
والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجا فان قلت انما جمعوا بين العدد
والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة وافراس اربعة

لان

اولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن
اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد
ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم
لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما
يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في
السموات والارض وله الدين واصبا افغير
الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما
اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون
لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله
لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات
سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم
بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم

يخافون ان يرسل عليهم عذابا
من فوقهم وان علقته بربهم حالا
منه فمعناه ...

لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان
فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما
وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد او التثنية دال على شيئين
على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي ساق
اليه الحديث هو العدد شفع بما يوكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك
لو قلت انما هو اله ولم توكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية
فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من
طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجئ ما قبله
على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان
كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين
ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب
والعقاب وما بكم من نعمة واي شئ حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجارون
فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة
والقاء حركتها على الجيم وقرا قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى
من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم
بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله
عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا
للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا
غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا
بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر
الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى
لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس
كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذن جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون
للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم
ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون من الافك

فی زعمهم انها الهة وانها اهل للتقرب الیها کانت خزاعة وکنانة تقول الملائکة بنات
الله سبحانه تنزیه له انه من نسبة الولد الیه او تعجب من قولهم ولهم ما یشتهون
یعنی البنین ویجوز فی ما یشتهون الرفع علی الابتداء والنصب علی ان یکون معطوفا علی
البنات ای وجعلوا لانفسهم ما یشتهون من الذکور ظل بمعنی صار کما یستعمل بات واصبح
وامسی بمعنی الصیرورة ویجوز ان یجیء ظل لان اکثر الوضع یتفق باللیل فیظل نهاره
مغتما مربد الوجه من الکآبة والحیاء من الناس وهو کظیم مملوء حنقا علی المرأة یتوارى
من القوم یستخفی منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعییرهم ویحدث نفسه وینظر
أیمسک ما بشر به علی هون علی هوان وذل ام یدسه فی التراب ام یئده وقری
أیمسکها علی هون ام یدسها علی التانیث وقری علی هوان الا ساء ما یحکمون حیث
یجعلون الولد الذی هذا محله عندهم لله ویجعلون لانفسهم من هو علی عکس هذا
الوصف مثل السوء صفة السوء وهی الحاجة الی الاولاد الذکور وکراهة الاناث
ووأدهن خشیة الاملاق واقرارهم علی انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلی وهو الغنی
عن العالمین والنزاهة عن صفات المخلوقین وهو الجواد الکریم بظلمهم بکفرهم
ومعاصیهم ما ترک علیها علی الارض من دابة قط ولاهلکها کلها بشوم ظلم الظالمین
وعن ابی هریرة انه سمع رجلا یقول ان الظالم لا یضر الا نفسه فقال بلی والله حتی
ان الحباری لتموت فی وکرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود کاد الجعل یهلک فی جحره
بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرک یدب علیها
وقیل لو اهلک الاباء بکفرهم لم یکن الابناء ویجعلون لله ما یکرهون لانفسهم من
البنات ومن شرکاء فی ریاستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ویجعلون
له اراذل اموالهم ولاصنامهم اکرمها وتصف السنتهم مع ذلک ان لهم الحسنی عند الله
کقوله ولئن رجعت الی ربی ان لی عنده للحسنی وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوی
الیسار کیف یکون یوم القیمة اذا قال الله تعالی هاتوا ما دفع الی السلاطین واعوانهم
فیوتی بالدواب والثیاب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الی
فیوتی بالکسر والخرق وما لا یؤبه له اما تستحیی من ذلک الموقف وقرا هذه الایة
وعن مجاهد ان لهم الحسنی هو قول قریش لنا البنون وان لهم الحسنی بدل من الکذب
وقری الکذب جمع کذوب صفة للالسنة مفرطون قری مفتوح الراء ومکسورها
مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنی مقدمون الی النار معجلون الیها من افرطت فلانا

وفرطه

وفرطته فی طلب الماء اذا قدمته وقیل منسیون متروکون من افرطت فلانا خلفی اذا خلفته
ونسیته والمکسور المخفف من الافراط فی المعاصی والمشدد من التفریط فی الطاعات
وما یلزمهم فهو ولیهم الیوم حکایة الحال الماضیة التی کان یزین لهم الشیطان اعمالهم فیها او
فهو ولیهم فی الدنیا فجعل الیوم عبارة عن زمان الدنیا ومعنی ولیهم قرینهم وبئس القرین او
یجعل فهو ولیهم الیوم حکایة للحال الاتیة وهی حال کونهم معذبین فی النار ای فهو ناصرهم
الیوم لا ناصر لهم غیره نفیا للناصر لهم علی ابلغ الوجوه ویجوز ان یرجع الضمیر الی مشرکی قریش
وانه زین للکفار قبلهم اعمالهم فهو ولی هولاء لانهم منهم ویجوز ان یکون علی حذف المضاف
ای فهو ولی امثالهم الیوم وهدی ورحمة معطوفا علی محل لتبین الا انهما انتصبا علی انهما مفعول
لهما لانهما فعلا الذی انزل الکتاب ودخل اللام علی لتبین لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل
وانما ینتصب مفعولا له ما کان فعل فاعل الفعل المعلل والذی اختلفوا فیه البعث لانه
کان فیهم من یومن به ومنهم عبد المطلب واشیاء من التحریم والتحلیل والانکار والاقرار لقوم
یسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم یسمع بقلبه فکانه اصم لا یسمع ذکر سیبویه الانعام فی
باب ما لا ینصرف فی الاسماء المفردة الواردة علی افعال کقولهم ثوب اکیاش ولذلک رجع الضمیر
الیه مفردا واما فی بطونها فی سورة المومنین فلان معناه الجمع ویجوز ان یقال فی الانعام
وجهان احدهما ان یکون تکسیر نعم کاجبال فی جبل وان یکون اسما مفردا مقتضیا لمعنی الجمع کنعم
فاذا ذکر فکما یذکر نعم فی قوله فی کل عام نعم تحوونه یلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففیه
وجهان انه تکسیر نعم وانه فی معنی الجمع وقری نسقیکم بالفتح والضم وهو استیناف کانه
قیل کیف العبرة فقیل نسقیکم من بین فرث ودم ای یخلق الله اللبن وسیطا بین
الفرث والدم یکتنفانه وبینه وبینهما برزخ من قدرة الله لا یبغی احدهما علیه بلون
ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلک کله قیل اذا اکلت البهیمة العلف فاستقر
فی کرشها طبخته فکان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والکبد مسلطة علی هذه
الاصناف الثلثة تقسمها فیجری الدم فی العروق واللبن فی الضروع ویبقی الفرث
فی الکرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حکمته لمن تفکر وتامل وسئل شقیق
عن الاخلاص فقال تمییز العمل من العیوب کتمییز اللبن من بین فرث ودم سائغا
سهل المرور فی الحلق ویقال لم یغص احد باللبن قط وقری سیغا بالتشدید وسیغا
بالتخفیف کهین ولین فان قلت ای فرق بین من الاولی والثانیة قلت الاولی
للتبعیض لان اللبن بعض ما فی بطونها کقولک اخذت من مال زید ثوبا والثانیة لابتداء

ان یکون

انهم

یتواری من القوم من سوء ما بشر به ایمسکه علی هون
ام یدسه فی التراب الا ساء ما یحکمون للذین لا یومنون بالاخرة
مثل السوء ولله المثل الاعلی وهو العزیز الحکیم
ولو یواخذ الله الناس بظلمهم ما ترک علیها من دابة ولکن
یوخرهم الی اجل مسمی فاذا جاء اجلهم لا یستاخرون ساعة
ولا یستقدمون ویجعلون لله ما یکرهون وتصف
السنتهم الکذب ان لهم الحسنی لا جرم ان لهم النار وانهم
مفرطون تالله لقد ارسلنا الی امم من قبلک فزین
لهم الشیطان اعمالهم فهو ولیهم الیوم ولهم عذاب الیم
وما انزلنا علیک الکتاب الا لتبین لهم الذی اختلفوا
فیه وهدی ورحمة لقوم یومنون والله انزل من السماء ماء
فاحیا به الارض بعد موتها ان فی ذلک لایة لقوم یسمعون
وان لکم فی الانعام لعبرة نسقیکم مما فی بطونه من بین فرث
ودم لبنا خالصا سائغا للشاربین ومن ثمرات
النخیل والاعناب تتخذون منه سکرا ورزقا حسنا
ان فی ذلک لایة لقوم یعقلون

الغاية لان الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدى فهو صلة لنسقيكم كقوله
سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف
اى كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفه
له وانما قدم لانه موضع العبره فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان
المنى طاهر على من جعله نجسا لجريه فى مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان
يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت
بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من
ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون
منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف
للتوكيد فى قولك زيد فى الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله
بكفى كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع
الضمير فى منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذى هو العصير
كما رجع فى قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من
سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤنا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران
صاحى وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبى والنخعى
والثانى ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر
اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة الى حد السكر
ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار
جمة ولقد صنف شيخنا ابو على الجبائى غير كتاب فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت
منه السن العاليه قيل له لو شربت ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت فى تحليله
فقال تناولته الدعارة فتستمج فى المروة وقيل السكر الطعم قال جعلت اعراض الكرام
سكرا اى تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك فى اعراض الناس فكانه تخمر
بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا
حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحاء الى النحل الهامها والقذف
فى قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها
ولطفها فى تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك
وفطنها

وفطنها كما اولى اولى العقول عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر
كالنخل وتانيثه على المعنى ان اتخذى هى ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرى
بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت
وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى تتعسل فيها والضمير
فى يعرشون للناس فان قلت ما معنى من فى قوله ان اتخذى من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل فى الجبال وفى الشجر قلت اريد معنى البعضية
وان لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون ولا فى كل مكان منها من كل الثمرات
احاطة بالثمرات التى تجرسها النحل وتعتاد اكلها اى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهيها
فاذا اكلتها فاسلكى سبل ربك اى الطرق التى الهمك وافهمك فى عمل العسل او فاسلكى
ما اكلت فى سبل ربك اى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك
ومنافذ ماكلك او اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغنى انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر
الى البلد البعيد فى طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى اكل الثمرات فاسلكى
فى طلبها فى مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله ذللها ووطاها
وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير فى فاسلكى اى وانت ذلل
منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه
منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية
المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض
انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه او لان
فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبى صلى الله عليه ان رجلا جاء اليه فقال ان اخى
يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه
عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما انشط من عقال
وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما فى الصدور فعليكم
بالشفائين القران والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل على وقومه
وعن بعضهم انه قال عند المهدى انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل
جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه
اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة

عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوء حالا من عمر الهرم
لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وان علم شيئا ثم
يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل
لئلا يعلم زيادة علم على علمه اى جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليكم
وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا
في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر انه سمع رسول الله صلى الله عليه انما هم اخوانكم
فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤى بعد ذلك عبده الا ورداؤه رداؤه
وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة
وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين
عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف
رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا
فهم في رزقي سواء ولا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق
فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء من انفسكم
من جنسكم وقيل هو خلق حوا من ضلع ادم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد
اى يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد قال
حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان
على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى
وجعل لكم حفدة اى خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة
البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم
بنون وهم حافدون اى جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان
كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو
ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا
اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله
المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها
كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من
تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر
وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام مسكينا على لا يملك

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين
فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه
سواء افبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة
ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمت
الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون
فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن
رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا و
جهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب
الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء
وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير
هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على
صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما
امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على
كل شيء قدير

ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون
تاكيدا للا يملك اى لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان
مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما
لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على
اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا
الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله
ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون
تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم
موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد
انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم ولا يستقيم فلا تضربوا
لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال
وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في
العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي
جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله
الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال
مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف
وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت
لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر
المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر
على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد
هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه
ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع
ان يكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي
الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اى ثقل
وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او
كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات
مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم

على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده
وشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمة الدينية والدنيوية وللاصنام التي
هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه
الق سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض
اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات
والارض يوم القيمة على ان علمه غاب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد
منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما يقولون في الشئ الذي
يستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
اي هو عند الله دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء
واحياء الاموات من الاولين والاخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على
كل شئ قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات
ثم دل على قدرته بما بعده فقرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات
كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال
امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من
حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة
وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم
عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي
الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت
مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع
لا غير فجرى ذلك المجرى فترى الم تروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران
بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض
في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن
الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن
فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب
والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض
والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون

والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون

وتقيمون في مكان لم تثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر
جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه
اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما
خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت
المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف
والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم
وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر
الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع
على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به
وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم
قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك
فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو
البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها
من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا
وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله
وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله
سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة
محمد صلى الله عليه كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون
بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد
حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها
يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا
في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن
الحسن ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان
الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون
بعد شهادة الانبياء بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة
ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث
وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم

ولاهم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية ان ارادوا بالشركاء آلهتهم
يعني شركاونا الهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاوهم
في الكفر وقرناوهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون
وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم
لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن
كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء
والهة تنزيها لله من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين
في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل والقوا
يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم
ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبراوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على
الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات
امثال البخت وعقارب امثال البغال يلسع احديهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها
اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى
النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم
من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هولاء
على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه
في غير القران فان قلت كيف كان القران تبيانا لكل شيء قلت المعنى
انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحاله على السنة حيث
امرفيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع
في قوله ويتبع غير سبيل المومنين وقد رضي رسول الله لامته اتباع اصحابه والاقتداء
باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا
طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة
الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله عز وجل
عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما
علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك
قال رسول الله لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق

فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا
ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز
حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من
الخطب لعنة الملاعين على امير المومنين رضي الله عنه اقيمت هذه الاية مقامها
ولعمري انها كانت فاحشة وبغيا ومنكرا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا
اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب عثمن بن مظعون عهد الله
هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا
ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله ووكد واكد لغتان فصيحتان
والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول
له مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت غزلها بعد ان
احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة
بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع
وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر
ثم يامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني
ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة
بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر
مالا من امة من جماعة المومنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة
لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء
بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله
ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المومنين وفقرهم وضعفهم
وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن
الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم
عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر
على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه
على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون
ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر

والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هولاء ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم
لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا
تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها
من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون
امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم
القيمة ما كنتم فيه تختلفون

ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل
من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما
كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل
قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن
سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا
قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما
عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين
صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة
طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون

النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل
قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء
في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم
لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم
عذاب عظيم في الاخرة كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا
من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من
المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا
بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش
يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب
الاخرة خير لكم ما عندكم من اعواض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته
باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق
الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم
واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من
متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على
الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى
على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله
ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الاخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا
طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة
والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره
وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحيوة الطيبة
الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة
الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات
القران فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي
يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القران فاستعذ كقوله اذا قمتم
الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن
ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير

فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود
قرات على رسول الله فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال يا ابن ام عبد
قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ
ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا
يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه
به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل
الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان
مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح
والمفاسد فيثبت ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر
وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا
يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون
ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون
والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في
ذكر تبديل الله الاية بالاية دليل على ان القران انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من
السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرانا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره
على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القران في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله
واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القران بها في ينزل
وينزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان
التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه
عن الحكمة وروح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال
حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس المطهر من الماثم وقرئ بضم الدال وسكونها
بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين
امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم
وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب
وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف
ارادوا بالبشر غلاما لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او

او یعیش وکان صاحب کتب وقیل هو جبر غلام رومی کان لعامر بن الحضرمی وقیل
عبدان جبر ویسار کانا یصنعان السیوف بمکة ویقرآن التوریة والانجیل فکان
رسول الله اذا مر وقف علیهما یسمع ما یقران فقالوا یعلمانه فقیل فقال بل هو یعلمنی
وقیل هو سلمان الفارسی واللسان اللغة ویقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود
اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر فی شق منه ثم استعیر لکل مالة عن استقامة
فقالوا الحد فلان فی قوله والحد فی دینه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الادیان کلها
لم یمله عن دین الی دین والمعنی لسان الرجل الذی یمیلون قولهم عن الاستقامة الیه
لسان عجمی غیر بین وهذا القران لسان عربی مبین ذو بیان وفصاحة ردا لقولهم
وابطالا لطعنهم وقری یلحدون بفتح الیاء والحاء وفی قراءة الحسن اللسان الذی یلحدون
الیه بتعریف اللسان فان قلت الجملة التی هی قوله لسان الذی یلحدون الیه اعجمی ما
محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حیث یجعل رسالته
بعد قوله واذا جاءتهم آیة قالوا لن نؤمن حتی نؤتی مثل ما اوتی رسل الله ان الذین لا یومنون
بایات الله ای یعلم الله منهم انهم لا یومنون لا یهدیهم الله لا یلطف بهم لانهم من اهل الخذلان
فی الدنیا والعذاب فی الاخرة لا من اهل اللطف والثواب انما یفتری الکذب رد لقولهم
انما انت مفتر یعنی انما یلیق افترا الکذب بمن لا یومن لانه لا یترقب عقابا علیه واولئک اشارة
الی قریش هم الکاذبون ای هم الذین لا یومنون فهم الکاذبون او الی الذین لا یومنون
ای اولئک هم الکاذبون علی الحقیقة الکاملون فی الکذب لان تکذیب ایات الله اعظم
الکذب او اولئک هم الذین عادتهم الکذب لا یبالون به فی کل شیٔ لا تحجبهم عنه مروة ولا
دین او اولئک هم الکاذبون فی قولهم انما انت مفتر من کفر بدل من الذین لا یومنون بایات
الله علی ان یجعل واولئک هم الکاذبون اعتراضا بین البدل والمبدل منه والمعنی انما
یفتری الکذب من کفر بالله من بعد ایمانه واستثنی منهم المکره فلم یدخل تحت حکم الافتراء
ثم قال ولکن من شرح بالکفر صدرا ای طاب به نفسا واعتقده فعلیهم غضب من الله ویجوز
ان یکون بدلا من المبتداء الذی هو اولئک علی ومن کفر بالله تبعدا بانه هم الکاذبون او
من الخبر الذی هو الکاذبون علی واولئک هم من کفر بالله من بعد ایمانه ویجوز ان ینتصب
علی الذم وقد جوزوا ان یکون من کفر بالله شرطا مبتدا ویحذف جوابه لان جواب من شرح
دال علیه کانه قیل من کفر بالله فعلیهم غضب الا من اکره ولکن من شرح بالکفر صدرا فعلیهم
غضب روی ان ناسا من اهل مکة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فیه وکان فیهم

ان الذین لا یومنون بایات الله لا یهدیهم الله ولهم عذاب الیم انما یفتری الکذب الذین لا یومنون بایات الله واولئک هم الکاذبون من کفر بالله من بعد ایمانه الا من اکره وقلبه مطمئن بالایمان ولکن من شرح بالکفر صدرا فعلیهم غضب من الله ولهم عذاب عظیم ذلک بانهم استحبوا الحیوة الدنیا علی الاخرة وان الله لا یهدی القوم الکافرین اولئک الذین طبع الله علی قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئک هم الغافلون لا جرم انهم فی الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربک للذین هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربک من بعدها لغفور رحیم یوم تاتی کل نفس تجادل عن نفسها وتوفی کل نفس ما عملت وهم لا یظلمون وضرب الله مثلا قریة کانت آمنة مطمئنة یاتیها رزقها رغدا من کل مکان فکفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما کانوا یصنعون

من اکره فاجری کلمة الکفر علی لسانه وهو معتقد للایمان منهم عمار وابوه یاسر وسمیة
وصهیب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمیة فقد ربطت بین بعیرین ووجئ فی
قبلها بحربة وقالوا انک اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل یاسر وهما اول قتیلین
فی الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مکرها فقیل یا رسول الله ان عمارا کفر
فقال کلا ان عمارا ملئ ایمانا من قرنه الی قدمه واختلط الایمان بلحمه ودمه فاتی عمار
رسول الله وهو یبکی فجعل رسول الله یمسح عینیه وقال مالک ان عادوا لک فعد لهم
بما قلت ومنهم جبر مولی الحضرمی اکرهه سیده فکفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن
اسلامهما وهاجرا فان قلت ای الامرین افضل افعل عمار ام فعل ابویه قلت
بل فعل ابویه لان فی ترک التقیة والصبر علی القتل اعزازا للاسلام وقد روی ان مسیلمة
اخذ رجلین فقال لاحدهما ما تقول فی محمد قال رسول الله قال فما تقول فی قال انت ایضا
فخلاه وقال للآخر ما تقول فی محمد قال رسول الله قال ما تقول فی قال انا اصم فاعاد
علیه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة
الله واما الثانی فقد صدع بالحق فهنیئا له ذلک اشارة الی الوعید وان الغضب
والعذاب یلحقانهم بسبب استحبابهم الدنیا علی الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بکفرهم
واولئک هم الغافلون الکاملون فی الغفلة الذین لا احد اغفل منهم لان الغفلة
عن تدبر العواقب هی غایة الغفلة ومنتهاها ثم ان ربک دلالة علی تباعد حال هؤلاء
من حال اولئک وهم عمار واصحابه ومعنی ان ربک لهم انه لهم لا علیهم یعنی انه ولیهم وناصرهم
لا عدوهم وخاذلهم کما یکون الملک للرجل لا علیه فیکون محمیا منفعا غیر مضرور
من بعد ما فتنوا بالعذاب والاکراه علی الکفر وقری فتنوا علی البناء للفاعل ای بعد
ما عذبوا المومنین کالحضرمی واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهی الهجرة
والجهاد والصبر یوم تاتی منصوب برحیم او باضمار اذکر فان قلت ما معنی النفس
المضافة الی النفس قلت یقال لعین الشیٔ وذاته نفسه وفی نقیضه غیره والنفس
الجملة کما هی فالنفس الاولی هی الجملة والثانیة عینها وذاتها فکانه قیل یوم یاتی کل انسان
یجادل عن ذاته لا یهمه شان غیره کل یقول نفسی نفسی ومعنی المجادلة عنها الاعتذار
عنها کقولهم هؤلاء اضلونا ما کنا مشرکین ونحو ذلک وضرب الله مثلا قریة ای جعل القریة
التی هذه حالها مثلا لکل قوم انعم الله علیهم فابطرتهم النعمة فکفروا وتولوا فانزل الله بهم
نقمته فیجوز ان یراد قریة مقدرة علی هذه الصفة وان یکون فی قری الاولین قریة

كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف
لان الطاينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادى
النبي صلى الله عليه بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس
استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه
صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في
البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه
العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس
فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع
الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم
ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار
لا يقع الا لمن فقدها احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول
كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف
لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف
المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار
كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني
ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى
المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال
كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا
على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وترك
لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها
وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي
كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال
ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها
شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم
دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب

ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب
وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور
رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع
قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان
امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا
لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه
في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين

لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى
قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا
حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا
تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام فلا تقولوا على ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول ينطق
به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة
فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه
جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته
وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب
بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم
كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع
صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من
قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض
متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة
وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا
السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة
عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة
من الامم لكماله في جمع صفات الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي
اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك
مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي
عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله
فقلت غلطت فقلت انما هو ابرهيم صلى الله عليه فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت
المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان
ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله ليس

منه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه
وهو ذلك المعنى اى كان اماما فى الدين لان الائمة معلموا الخير والقانت القائم بما امره
الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش فى
زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه روى انه كان لا يتغذى الا مع ضيف
فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم
الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافانى
وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة
عن قتادة هى تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال
والاولاد وقيل قول المصلى منا كما صليت على ال ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة
ثم اوحينا اليك فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله واجلال محله والايذان بان
اشرف ما اوتى خليل الله ابرهيم من الكرامة واجل ما اولى من النعمة اتباع رسول
الله ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى اثنى الله
عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموا تارة
وكان الواجب عليهم ان يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر
عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى فى ذكر ذلك نحو المعنى فى ضرب القرية التى كفرت بانعم الله
مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين
ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت
معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم فى كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر
وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة
فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت
الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاروه
وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فاطاع امر
الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله
دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازى كل واحد من الفريقين بما يستوجبه
ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت
على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة

ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان
من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا
فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك
فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون

بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة هى التى
لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اى ادعهم بالكتاب
الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه
الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه فى
حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثانى للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل
او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اى وان قفيتم بالانتصار
فقفوا بالمثل ما فعل بكم روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا
مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله على حمزة
وقد مثل به وروى فراه مبقور البطن فقال اما والذى احلف به لئن اظفرنى الله بهم
لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف فى تحريم
المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير فى لهو
الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اى ولئن صبرتم لصبركم
خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد
او وصفهم بالصفة التى تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر
وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله
عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسول الله
عليه السلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه وتثبيته
وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اى على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على
المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك فى ضيق وقرئ ولا تكن فى ضيق اى ولا تضيقن
صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اى فى امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق
مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اى هو ولى الذين اجتنبوا المعاصى وولى
الذين هم محسنون فى اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال
انما الوصية من المال ولا مال لى واوصيكم بخواتم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه
من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها
او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

سورة الاسراء
مكية وهى مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره
اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ
من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله اليه واسرى وسرى لغتان وليلا نصب
على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت
اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة
الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد
لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به
يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام
بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اسرى من دار ام هانئ بنت ابي
طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه وعن ابن عباس الحرم كله
مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من
ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى
المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم
قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسراء فقال
ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه
تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال
ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
ومنهم من سافر الى المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت
فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال يقدم يوم
كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال
قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال اخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها
جمل اورق كما قال محمد ثم لم يومنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء
في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء
من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت
الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف

في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله
ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام
رؤيا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى
عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن
ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم
ليريه على قراءة الحسن ثم من اياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق
البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه
ويقربه على حسب ذلك ان لا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي
لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا
نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا
لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من
حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا
من واو يتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فسرها
بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء ابائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان
عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب
قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء
اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته
قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد
الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت قوله
انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني
وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به
وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص
والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص
ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا
اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي

يتعظون ويعون في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان
يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال له واقسمنا
لتفسدن وقرئ لتُفسدن على البناء للمفعول ولتَفسدن بفتح التاء من فسد مرتين
اولاهما قتل زكريا وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا
وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس
سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا
التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث
الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم
على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس وهو
التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس
المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان قلت
ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني
وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة
على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر
واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز
اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي
رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم
ليسوؤا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير
لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن
وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم
ليدخلوا وليسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه
واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية
ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى
عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة

عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه فهم يعطون الجزية عن يد
وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب
فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن
بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها
او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف
لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان
قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس
حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك
فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا
على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان
يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله كما يدعوه بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان
الانسان عجولا يتسرع الى كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن
النبي صلى الله عليه انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له
ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي
صلى الله عليه دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة
يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه اني سالت الله ان
يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر
فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر فانه يدعو بالعذاب استهزاء
ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب
آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث فقال اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه صبرا فيه وجهان احدهما
ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في اية الليل واية النهار
للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي
هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس
والقمر فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه
شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي يبصر فيه الاشياء ويستبان

او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء
رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء لتبتغوا فضلا
من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم
ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه
ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون
اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة
علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من
قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم
القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت
في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة اذا بعثت
قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء
والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي
يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه
منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول
وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا
تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه
وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع
الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت
لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال
فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان تتاول النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس
وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن ادم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي
كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح
منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة
فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف
الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر
فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها
لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر و

والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على
النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم
الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر بالفسق مجاز لان حقيقة
امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه
صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون
بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من
الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار
الطاعة على المعصية فاثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم
فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا
دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف
لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقعد لا يفهم منه
الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم
الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر
مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل
دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان
من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن
منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان
قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا
على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه
فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظيره
امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن
اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر
خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان
او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة
لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل
كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي
ان رجلا من المشركين قال لرسول الله اني ارى امرك حقيرا فقال عليه السلام انه سيامر

اي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وأمّرنا بمعنى آمرنا او من امُر امارة
وامّره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان
لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبّه بقوله
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها
فمعاقب عليها من كان يريد العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة عجّلنا له
فيها منافعها ما نشاء لمن نريد فقيد الامر بقيدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد
المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا
منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقرُ الدنيا وفقر الآخرة واما
المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يؤت فان
اوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له
وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل
الضمير لله عز وجل فلا فرق اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد
ما شاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد
الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال
عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله
سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلث شرائط في كون السعي
مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل
والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله
ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف نمدهم نزيدهم من عطائنا
ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل
وما كان عطاء ربك فضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار
كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل
وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر فخرج الاذن
لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا
يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم

ع

على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر تفضيلا وعن بعضهم انما المباهي بالرفع
منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل فتقعد
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك
الذم وما يتبعه من الهلاك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى
ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين والهلك ح
احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك
ولا يجوز ان تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان
الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح
دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه احدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ
يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا
فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما بالك زعمت انه بدل قلت
لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان
قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل
قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير
مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلث منونا
وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ
فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما ولا كافل
لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما
ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب
والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا
عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما
بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة
تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان
معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر
والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب
والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه
يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعّار

قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشه نحلني ابو بكر كذا وقرى جناح الذل والذل
بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان
يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمومنين فاضافه الى الذل
او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول و
الثانى ان يجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما
مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما
وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا يكتف برحمتك عليهما التى
لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقيه واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك
وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا
كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهدايه والارشاد
ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينه الصدقة عن الميت
فقال كل ذلك واصل اليه ولا شى انفع له من الاستغفار ولو كان شى افضل منه لامركم
به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبى صلى الله عليه
رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطها وروى يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل
النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنه وروى سعيد بن المسيب ان البار
لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا
منى في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت
تفعل ذلك وانت تريد موتهما وشكى رجل الى رسول الله اباه وانه ياخذ ماله فدعا به
فاذا شيخ يتوكا على عصا فساله فقال انه كان ضعيفا وانا قوى وفقيرا وانا غنى فكنت
لا امنعه شيا من مالى واليوم انا ضعيف وهو قوى وانا فقير وهو غنى ويبخل على بماله
فبكى رسول الله فقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك
انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك
تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة
الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال
ما فعلت قال حججت بها على عاتقى قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر انه راى رجلا
في الطواف يحمل امه ويقول انى لها مطية لا تذعر اذا الركاب نفرت لم تنفر
ما حملت وارضعتنى اكثر الله ربى ذو الجلال الاكبر تظننى جزيتها يا ابن عمر

قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنه توجد
ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار
ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا
بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه واذا شربها وعن ابى يوسف
اذا امره ان يوقد تحت قدرة فيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفه انه استاذن رسول
الله في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يله غيرك وسئل الفضيل بن
عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع
صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما
ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداءهما من بعدهما فعن النبى صلى الله عليه ان
من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم
في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنه تودى الى
اذاهما ثم ابتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن
جبير هى في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب
الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه
جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على ابويه التائب من جنايته لوروده على
اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما
وان يوتى حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقيرا عاجزين عن الكسب
وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابى حنيفه والشافعى لا يرى النفقه الا على
الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم
بالموادة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو
ذلك والمسكين وابن السبيل يعنى وآت هولاء حقهم من الزكوة وهذا دليل على ان المراد
بما يوتى ذوى القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذى القربى اقرباء
رسول الله التبذير تفريق المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهليه
تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها
فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقربه منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال
في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير

فاكثر فقال له صاحبه لاخير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمرو مرّ
رسول الله بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفي الوضوء سرف
قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة
لانه لا اشر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من
الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان
يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن اخوان الشيطن وان اعرضت عن ذي
القربى والمسكين وابن السبيل حيا من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين
اذا سالوك وكان النبي اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله
رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم
وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها
برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو
ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد
الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب
ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة
ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه
يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا
الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر
اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين
الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند
الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك
اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه
وحسره بالمسالة وعن جابر بينا رسول الله اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة
الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر فلم يخرج للصلوة وقيل
اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول
اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل

فنزلت ثم سلى رسول الله عما كان يرهقه من الاضافة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل
به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان
يريد ان القبض والبسط انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا
ويحتمل انه عز وعلا يبسط لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية
مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم
كائنة ونحن خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن ارزاقهم وقرئ خشية بكسر
الخاء وقرئ خطاء وهو الاثم يقال خطئ خطاء كاثم اثما وخطا وهو ضد الصواب اسم من
اخطا وقيل هو والخطا كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطا
بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجا بكسر الخاء غير
مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب
على غيرك امراته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله الا بالحق
الا باحدى ثلث الا ان يكفر او يقتل مؤمنا عمدا او يزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة
منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة يوجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا
تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي فلا يقتل غير
القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل
حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة
حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن دون قبيل الاسراف المثلة وقرا ابو مسلم
صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد
ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي
فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد
نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان
وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره
حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق
ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة
او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسؤلا اي مطلوبا يطلب
من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي
بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا

قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين
الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول
اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك
ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد
النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا
ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف
اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو
شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى
ياتي بالمخرج قال ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعرن التقافيا اي التقاذف
وقال الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد استدل به
مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم
وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام
وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار
والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه
ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد
بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا
حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد لن
تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطاتك وقرئ لن تخرق بضم الراء
ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال قرئ سيئة وسيئه على اضافة سئ الى
ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله كان شانه
فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب
والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا
سيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر
ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرا سيئه
بالاضافة فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال
المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية وسماه حكمة
لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح

موسى اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وهي عشر ايات في التورية ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك
لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها
الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل
من النعم افاصفيكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم
على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا واتخذ ادونهم وهي
البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد دن باجود الاشياء واصفاها
من الشوب ويكون اردؤها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه لا يؤثرون
الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا
في هذا القران يجوز ان يريد بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه
وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا
للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القران الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في
مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ
مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم فما يزيدهم
الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفيان كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا
ما زاد اعداءك نفورا قرئ كما يقولون بالتاء والياء واذن دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا
جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش لطلبوا الى من له
الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو في معنى البراءة
والبعد مما وصفوه به المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته
وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فان قلت
فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب
للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا
معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت
خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت

من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض
فما وجه قولك التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة
الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لم يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم
سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد به حجاب من
دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب ستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية
لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كانه قال واذا قرأت القران جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان
قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه
يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على
بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا
وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه الهتهم
لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران
كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي
هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما
يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن فقيل هو من السحر
وهو الرئة اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا
في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري
ما يصنع لما قالوا اإذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم
كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم
تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته
بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه
سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من
الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع
ان طباعها الجسارة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر
في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه

فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم
فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي
مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه
وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب
فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا
وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة
وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم
كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم
او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم
معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم
اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما
ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك
بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة
وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل
افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن
ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون
ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا
وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون
ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة
الى تفضيل رسول الله وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم
الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته
فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت
يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد واتينا

داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد به ما ذكر رسول الله من الزبور فسمى
ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القران قرانا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير
وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اى ادعوهم فهم
لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد
الى اخر او يبدلوه واولئك مبتداء والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان الهتهم
اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واى
موصولة اى يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون
الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة
وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم
الهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن
غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك
للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة
فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق
والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ
استعير المنع لترك ارسال الايات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة
تقديره وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب
الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم اية فاجيب
اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحون من
الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا
بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل
وقد عرفنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون
ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة
من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها
فكفروا بها وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول
العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل
ما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة واذ قلنا لك
ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر

وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف
الفريقان يوم بدر ورسول الله في العريش مع ابي بكر كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك
ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى
اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم
وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي
الى رسول الله من امر بدر وما ارى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون
به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان
محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك
وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة
ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل
فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحمار النار فلا تضرها ثم اقرب
من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى
ان الايات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر
فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب
الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اى نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة
فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات
وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة
فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رايتها
وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى الهتهم
اين شركائي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى
في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت ـــــ اين لعنت
شجرة الزقوم في القران قلت ـــــ لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان
الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها
الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل
يقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب
الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان

وقيل ابو جهل وهى والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتداء محذوف الخبر كانه قيل والشجرة
الملعونة فى القران القران كذلك طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على اسجد له
وهو طين اى اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على اسجد لمن كان فى وقت خلقه طينا ارايتك
الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على اى فضلته لم كرمته
على وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدا فقال لئن اخرتنى واللام موطئة للقسم المحذوف
لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو
من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قوله احنك الشاتين اى اكلهما فان قلت من اين علم ان
ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت اما ان سمعه من الملائكة وقد اخبرهم الله به او خرجه
من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم فى مخايله انه خلق شهوانى وقيل قال ذلك
لما علمت وسوسته فى ادم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل ادم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب
الذى هو نقيض المجئ وانما معناه امض لشانك الذى اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره
سوء اختياره فى قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى للسامرى اذهب فان لك فى الحيوة
ان تقول لامساس فان قلت اما كان من حق الضمير فى الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع
الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على
الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا
بما فى فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف
بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز الخفيف
واجلب من الجلبة وهى الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله يا خيل الله اركبى
والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرى ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو
تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فان قلت ما معنى استفزاز
ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله فى تسلطه
على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم
واجلب عليهم بجند من خياله ورجاله حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله
ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما
المشاركة فى الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها فى بابهما كالربوا والمكاسب المحرمة
والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد
بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير

والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة
الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها
والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر والخروج من النار بعد ان يصير واحمما
وايثار العاجل على الاجل ان عبادى يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اى لا تقدر ان
تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين
فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى
الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما
قال للعصاة اعملوا ما شئتم يزجى يجرى ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه
ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا
تدعونه فى ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على
اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من
الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذى ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم الهمزة
للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت
بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض
وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اى يقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب
قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان او بحرا
سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق فى جانب
البحر ففى جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت
الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر فى البر على نحو ما يقدر عليه فى البحر فعلى العاقل ان يستوى
خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهى الريح التى تحصب اى ترمى
الحصباء يعنى وان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها
الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق فى البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم
ان يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فاعرضتم
فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها
تتقصف اى تتكسر وقيل التى لا تمر بشئ الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اى الريح وبالنون
وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف
اى مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان تبيع بحقه اى مسيطر عليه مطالب له

بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار
من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم
قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة
المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل
كل شيء ياكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف
فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون
بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة وحسب
بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف
عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان
على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم
واني قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم
الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها
ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية
من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من
الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى
سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم
على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم
بالتاويلات البعيدة في عداوة الملا الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة
لا تنحل عن قلوبهم قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرا الحسن
يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر
ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى
ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل
بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن
بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء
بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا تفتضح اولاد
الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه

بيمينه

بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص
اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت بلى ولكن
اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب باليد على جناياته والاعتراف بمساويه امام
التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز
عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين
فامرهم على عكس ذلك فلا جرم انهم يقرءون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون
بقراءتهم وحدهم حتى يقول القاري لاهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا
ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه
ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى
مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا
فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى
التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه
واقعة في الطرف معرضة للامالة روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه لا ندخل في
امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا
لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا
عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك العرب لم فعلت
ذلك فقل ان الله امرني به وجاءوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد
رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم
قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل
سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم
اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا له اجعل آية عذاب آية رحمة حتى نؤمن
بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك
من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا ما لم نقل يعني ما اداروه
ارادوه
عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله
ما لم ينزل عليك واذن لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا

وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت
ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين
اذن لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب
الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله
لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب
القبر وعذاب في حيوة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فاتهم عذابا
ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا
في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة
الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان
يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب
النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي
ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين
على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ
العدل والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان
ادنى مداهنة للغواة مضادة لله تعالى وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله
فعلى المؤمن اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان
يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه انها لما
نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذن لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك
الا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه
ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب
وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم
فاجتمعوا اليه وقالوا يا رسول ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة
وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من
الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال
من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى
الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي

لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف
فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم
واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك وقرئ خلافك قال عقب الديار رحلوا فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
اي بعدهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله
ان يهلكهم ونصب نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة دلكت الشمس غربت وقيل
زالت وروي عن النبي صلى الله عليه اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي
الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك
الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر
والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقران الفجر صلوة الفجر سميت قرانا وهو القراءة
لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان
القراءة ليست بركن مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء
فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من
حقه ان يكون بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر
لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القران فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات
قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التاثم
والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع
نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد
والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه
تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما
محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى
المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد
من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس
مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع
فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه هو المقام الذي
اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى
الله عليه فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين

يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت ربنا وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح فمعنى
المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مُدخل صدق اى ادخلني القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا يلقى بالكرامة امنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت
حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها
بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل
ادخاله فيما حمله من عظم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط
وقيل الطاعة وقيل هو عام كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا نصيرا حجة تنصرني
على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته
بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه عليه السلام
انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان
شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة
الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت
على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه انى رايت فيما يرى النائم كان
عتاب بن اسيد الى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها
فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول
البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس كانت لقبائل العرب يحجون
اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك
فاوحى الله الى البيت انى ساحدث لك توبة جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك
دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه
الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت
بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا
وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله
حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد
وشكاية البيت والوحى اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه
اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت

ونزل

وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القران من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض
اى كل شئ نزل من القران فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون
به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه من لم يستشف
فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اى نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله
فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر
الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض
عن الشئ ان يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب ان يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره
او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض
او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد الياس من روح الله انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في راى
ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اى على مذهبه وطريقته
التى تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تشعب
منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى اسد مذهبا وطريقة الاكثر على
انه الروح الذى في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اى مما استاثر بعلمه
وعن ابن بريدة لقد مضى رسول الله وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى اعظم
من الملك وقيل جبريل وقيل القران ومن امر ربى اى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر
بعث اليهود الى قريش ان سالوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين
لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سوالهم وما اوتيتم الخطاب
عام وروى ان رسول الله لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت
معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن
يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة فيوصف الشئ بالقلة
مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى اوتيها العبد خير كثير في نفسها
الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي
عليه السلام قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا
كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته

عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا
بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدرى
ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران
محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم ان لا يغفل عن هاتين
المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه
في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون
الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شئ فقال
رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا
ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب
لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله
يقول لا غائب مالى ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اى لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا
القران في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن
الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما
يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون
عنه واما المحال الذى لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد
عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال
الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا
رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان
قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان
ابى متاول بالنفى كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات
الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل المبهوت
المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف
من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من
نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وفتحه قبيلا كفيلا

بما

بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او ياتى بالله قبيلا وبالملائكة قبلاء كقوله كنت منه ووالدى بريا
وانى وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة
او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف
المضاف يقال رقى في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل
علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن ابى امية لن نؤمن
لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتى معك بصك منشور معه
اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا
العناد واللجاج ولو جاءتهم كل اية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الاية الباقية
التي هي القران وساير الايات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تصديقهم سبيل
قل سبحان ربى وقرئ قال سبحان ربى اى قال الرسول وسبحان ربى تعجب من اقتراحاتهم
عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا
بما يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات الىّ انما هو الى الله فما بالكم تتحرونها علىّ ان
الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحى اى وما منعهم الايمان
بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهى انكارهم ان يرسل
الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية
حكمته ان لا يرسل ملك الوحى الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض
ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها
ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم
الخير ويهديهم الى المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم
للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا
وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا
بينى وبينكم على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين
والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة وشهيدا
تمييز وحال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان
اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم
يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى

امثالهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون
لا ينطقون بالحق ويتصامّون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقرّ اعينهم
ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة
اعمى ويجوز ان يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم
في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن
لهبها بدّلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل
الله جزاءهم ان سلّط النار على اجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء و
الاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد
وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله انا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت
علام عطف وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل
ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا
باشد خلقا منهن كما قال أأنتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت
او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء
فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون انتم تملكون فاضمر تملك اضمارا
على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط
ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه
علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان
الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس
ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام
في صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح
الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار
وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر
لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي
نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر
والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس
فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا

سص

بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن
عسال ان بعض اليهود سأل رسول الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل
لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفرّوا
من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسئل بني اسرائيل فقلنا له سل بني
اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال
دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله فسأل
بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من
بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات ليزداد يقينا وطمأنينة قلب
لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان
قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له
سلهم حين جاءهم او بسأل في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك
ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل
هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني
بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه
بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له
امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما
ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال
الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما
منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام
الفارقة فاراد فرعون ان يستفز موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم
عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه
اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة
جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم واشقيائكم
واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا
بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير

اوما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك
وراء ذلك شئ من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقراء
ابى فرقناه بالتشديد اى جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قراه مشددا
وقال لم ينزل فى يومين او ثلثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعنى ان فرق
بالتخفيف يدل على مقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه
تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به اولا تومنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء
بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم لم يدخلوا فى الايمان ولم يصدقوا
بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب
وعلموا ما الوحى وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبى العربى الموعود
فى كتبهم فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة
وبشر به من بعثة محمد وانزال القرقان عليه وهو المراد بالوعد فى قوله ان كان وعد
ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اى يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين فان قلت
ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله امنوا به
اولا تومنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كانه قيل
تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تومنوا به لقد امن به من هو خير منكم
فان قلت ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو
مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء
ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام فى خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا
لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص
فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى
حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله
يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعوا الها اخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله فى التورية هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية
لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء
عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا
الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى ايا

عوض

عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما فى اى اى هذين الاسمين سميتم وذكرتم
فله الاسماء الحسنى والضمير فى فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن مسماهما وهو
ذاته عز وجل لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه قوله
فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها
احسن الاسماء مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على
حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان معتقبان على الصوت
لا غير والصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه يرفع صوته بقراءته فاذا
سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين
ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر
كان يخفى صوته بالقراءة فى صلوته ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر يرفع صوته
ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا
وقيل معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر
بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية
منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط
فى القراءة ولى من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به اى لم يوال احدا
من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك
والذل بكلمة التحميد قلت لان هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى
يستحق جنس الحمد وكان النبى صلى الله عليه اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه
هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة بنى اسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون
عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه
من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط
والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه و
خروج شئ منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن
ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو

داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره
ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت
ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته
التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح
وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد
لهم منه من الشرائع وقرئ قيما لينذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا فاقتصر
على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئس وقد
بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه
بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت
لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب
الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا
استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني
ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للاباء وقد استملته اباؤهم
من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به
من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء
اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت
كلمة وكلمةٌ بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب
كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على
النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون
به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون
عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة
فان قلت الام رجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت
كلمة كما يسمون القصيدة بها شبههم واياه حين تولوا عنه لم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد
والاسف على توليهم برجل فارقته احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على اثارهم و
يبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة
اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرا ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرا أن لم يؤمنوا

يعني لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان
يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض
يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم
ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله
وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات
فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان
زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية
تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال
ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف
الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا
وصيدهم والقوم في الكهف هُمَّد وقيل لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب
الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف
وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا اية
عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن
رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه
من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله
كقولك رايت منك اسدا فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم
انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يتنبه
فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين
عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا
كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عليه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ
ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون
الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا
في ذلك وذلك قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي
الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم

فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان
بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ و
والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينصب بافعل فافعل
لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى انصبه باضمار فعل يدل عليه
احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول
وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت
كيف جعل الله العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على اذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل
عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون
لطفا لمؤمني زمانهم واية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم
وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم
على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس من
غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا
قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم
وفي غيره هولاء مبتدا وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون
عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان
على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح
وثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذا اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض
حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب على الضمير يعنى واذا اعتزلتموهم
واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق
ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله عن
الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اى ينتفع
اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان اخبرهم
به نبى في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاى
او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور
وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين
وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم
قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس وهم

في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها
ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل
في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من
آيات الله اى ما صنعه الله لهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من اياته
يعنى ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب
الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم في مقنارة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم
من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف
بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالاية العظيمة وان كل
من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن
تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها
خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في جمع نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم
الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة
في يوم عاشوراء وقرئ ونقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر
منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد
تقلبهم وقرأ جعفر الصادق وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال
ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضى واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة
كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب
وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر وقرئ لملئت بتشديد
اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى
يرعب الصدر اى يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن هولاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك وقد منع الله من هو
خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم
فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى
ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك
بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسال بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به

عليهم وكرموه ابه قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل
على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطا
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هولاء قد
علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي
انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا
الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر
حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء اخر
مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب
انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ
بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء
وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير
جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وسل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم
من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله
دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عايشة لمن سالها
عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد
الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وتعول منه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم
فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم واذا
انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن
ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله وسئل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر
وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشر من امر المبايعة حتى لا يغبن
او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يودي من غير
قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى
الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم
او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر
شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذن ابدا
ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا
عليهم ليعلموا الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومهم

فائت ح

وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم
عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول يبعث
الارواح دون الاجساد وبعضهم يبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين
ان الاجساد يبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى
الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم
ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله بالحظيرة وقال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين
وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون
بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون
في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف
يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل
الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد
في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا
الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه
الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع
معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على اذانهم
وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مومن وقد اختلف اهل مملكته في البعث
معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال
ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف
ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق
وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة
فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم
قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه فامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراهم
في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من
كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم
فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وعلا رد لقول
الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله

من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله من اهل الكتاب
والمومنين سالوا رسول الله عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري
بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن
عباس انا من اولئك القليل وروى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا
عند النبي فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال
العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه عن لسان جبريل
وعن علي هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك وكان
عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة في امره والسابع
الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير
فان قلت لم جاء سين الاستقبال في الاول دون الآخرين قلت فيه وجهان
ان يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا
وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به
كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب
لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين
الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام
الثاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم
كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت
فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين قلت هي الواو التي تدخل
على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل
ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت
مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات
علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين
الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله وما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس
حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة
وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون

على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل
منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا
جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير
تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا
تسأل احدا منهم عن قصتهم سوال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده
لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سوال مسترشد لان الله قد
ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل
ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق
بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض
مشيئة الله دون فعله وذلك ما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا
تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه
الا بان يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال معنى الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان
شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه
ابدا ونحوه قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله
وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب
الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى
شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك
نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن
ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر
او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني
على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا
ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر
عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا
من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام
بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان
ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نباء

اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يوتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في
الدلالة واقرب رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا
فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي
اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نأت
بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة
وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم
بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه
حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا و
سنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد
في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله
يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها
وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة
على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف
الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر
ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه
احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير
هذا او بدله واتل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل
فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده
واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك
قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن
وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن
لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب
فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على
الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود
لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد
المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاني

القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في نبت عنه عينه وعلت عنه
عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم
عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك
اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين
الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها
وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو
ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله
ان يزدري بفقراء المومنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء
وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه
غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا
وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من
الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا
قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا
فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل
الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم
لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه
لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم
من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل
هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل
كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت
يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي عليه السلام هو كعكر
الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا
متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء
الا ان يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح
اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل
اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير
الراجع منه الى المبتداء قلت من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمها

معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك
السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها
في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه
جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم
مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمومنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل
احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مومن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة و
والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها
فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المومن اللهم اني اشترى منك دارا في الجنة بالف فتصدق (اي اقتسماها نصفين)
به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما
ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة
فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما
مثل لاخوين من بني مخزوم مومن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج ام سلمة
قبل رسول الله وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد جنتين من اعناب بساتين من كروم
وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها
موزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو
متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا
جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها
ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو
اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر
وقرى بضم الكاف ولم يظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا
على المعنى لجاز وقرى وفجرنا على التخفيف وقرا عبد الله كلا الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل
وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين
الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا
من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه
دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد
المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت
لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني انه لا نصيب له

في

في الجنة التي وعد المومنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة
منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله
وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه
وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من
المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت
الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة
خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه
الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى
لاوتين مالا وولدا وقرى خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي
منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله
سبب في خلقه فكان خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا
لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت
حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف
اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله
ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقراة ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف
جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو
انه وقف بالهاء لكنه وقرى لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن
انا على الاصل وفي قراة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا
قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مومن موحد كما تقول زيد غائب لكن
عمرو حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف وتقديره
الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها
في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر
الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان
امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت
به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله
وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد
هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبر

والجملة مفعولا ثانيا لترني في قوله ولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا
والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى
فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر
كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اى مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها قال
الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحد حسبانة
وهي الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر
واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه
ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم
العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم تقلب كفيه
ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته
بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اى انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني
ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها
نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك
الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان قرئ ولم تكن
بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته
من دون الله اى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره
لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله
الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اى في ذلك
المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن
له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل
تلك الحال الشديدة يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا
كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى
هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم
يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن وصدق قوله عسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك
ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه وقيل
هنالك اشارة الى الآخرة اى في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله وقرئ الحق

بالرفع

بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله
الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ
عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف
بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف
رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين
موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ
تذروه الريح وعن ابن عباس يذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها
وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان
لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي
تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات
الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه
الله خير ثوابا اى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا
ثواب الله ونصيبه في الآخرة قرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت اى تسير
في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس
عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء
يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم
بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير
ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة
لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا
بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك
الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة
الانبياء من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها
خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا تترك
شيئا من المعاصي الا احصاها اى احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما
صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر
فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة

وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال
ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا
حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او
يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين
بذنوب ابائهم كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من
الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء
للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد
لادم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس
كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وجل لصيانة
الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم
انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى
فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا
او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار
والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم
بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم
يعني انكم اتخذتموهم شركاء في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في
الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم
في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما
كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ
وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز
بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون العين
ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد
من عضده اذا قواه واعانه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم
واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه
غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم
هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة هي

في

في شدتها هلاكا كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم
وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده
لانهم في قعر جهنم وهم في اعلا الجنان فظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها
مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى
منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على
التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى
نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا
انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة
قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا
من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة
ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم
وقرئ هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا
بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها
الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة
ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما
من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ
من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا
مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم
جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول
عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة
اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر
لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك
القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى
صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى
نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل

ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا
لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك او وقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة
او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه
كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول
من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت
هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت
حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية
له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح
مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم
فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح
ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان
ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم
مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر
لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى على
مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام
فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس
اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع
البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين
الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني
ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم
قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب الى كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته
فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب
الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر

فاتيا

فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه
نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه
انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص
علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا
تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه
ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت
والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة
روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الماء
على الحوت فعاش فوقع في الماء سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل
الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا الموعد
وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى
ما راى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى
الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك
فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت
كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه
معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام
الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى
خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت
قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان
وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستانس باخوانه
فاعان الالف على قلة الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا
الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت
لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش
فطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت
الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء
في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي
اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر

كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا
حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اى ذلك الذى كنا نطلب
لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة
ابى عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا للخط المصحف فارتدا فرجعا في ادراجهما
قصصا نقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هى
الوحى والنبوة من لدنا بما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا وقرئ بفتحتين
وبضمة وسكون اى علما ذا رشد ارشد به في دينى فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم
من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبى يجب ان يكون اعلم
اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبى في اخذ العلم
من نبى مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس
ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا
فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل
ذلك بانه يتولى امورا هى في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك
ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا تمييز اى لم يحط به
خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصى في محل النصب عطف
على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص او في محل عطفا على ستجدنى رجا موسى عليه السلام
لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعدما افصح الخضر عليه السلام عن حقيقة
الامر فوعد الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التى تاخذ
المصلح عند مشاهدة الفساد شئ لا يطاق هذا مع علمه ان النبى المعصوم الذى امر الله بالمسير
اليه واتباعه واقتباس العلم منه برئ من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما
يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم وقرئ فلا تسألنى بالنون الثقيلة
يعنى فمن شرط اتباعك لى انك اذا رايت منى شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفى عليك وجه
صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه حتى اكون انا الفاتح
عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان
السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى
وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة
بان

بان قلع لوحين من الواحها مما يلى الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها
لتغرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت
شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء إدًّا إمرا
بما نسيت بالذى نسيته او بشئ نسيته او بنسيانى اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على
الناسى او اخرج الكلام في معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسى ليبسط
عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التى يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول
ابرهيم هذه اختى وانى سقيم او اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك
اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اى ولا تغشنى عسرا من امرى وهو اتباعه
اياه يعنى ولا تعسر علىّ متابعتك ويسرها علىّ بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسُرا بضمتين
فقتله قيل كان فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم
ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا
غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط
معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة
لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهى الطاهرة من
الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير
نفس يعنى لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف جاز
قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس
واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك
كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك
قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية
بعدها بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبنى فلا تقاربنى وان طلبت صحبتك فلا تتابعنى
على ذلك وقرئ فلا تصحبنى فلا تكن صاحبى وقرئ فلا تُصحبنى اى فلا تُصحبنى اياك ولا تجعلنى
صاحبك من لدنى عذرا قد اعذرت وقرئ لدنى بتخفيف النون ولدْنى بسكون الدال
وكسر النون كقولهم في عضد عضْد وعن رسول الله رحم الله اخى موسى استحيا فقال ذلك
وقال رحمة الله علينا وعلى اخى موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية
هى انطاكية وقيل الابلة وهى ابعد ارض الله من السماء ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما

يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من
الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي عليه السلام كانوا اهل قرية لئاما
وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت
الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها
قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج
ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت
والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة
قال اذ قالت الانساع للبطن الحقي تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود
وشكا الي بعبرة وتحمحم ان يك ظني صادقا وهو صادقي ولما سكت عن موسى الغضب
تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاره هم اذا انقاد الهموم تمردا
ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين
ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه
من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة وادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده
اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه
من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة
وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال
ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده
فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار
في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة
الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من
الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به
ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع
وليس من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما
عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار
اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز
ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق

بيني وبينك وقد قرأ ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به
لمساكين قيل كان لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم
كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره
فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن
خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير
وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان
بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة وقرأ الجحدري فكان
ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشأن فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي
الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء
او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه
ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله
عز وجل اعلمه بحاله واطلعه على سر امره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حيوته
وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز
ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما
بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف فروي انه ولدت
لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين
نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه
الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت
لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم
والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة
عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى الذين يكنزون الذهب الاية وكان ابوهما صالحا اعيدوا
بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي
حفظا فيه سبعة اباء وعن الحسين بن علي رضي الله عنه انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى
بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبأنا
الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما

وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله ذو القرنين
هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مومنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود
وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه
العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه
وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر انه سمع رجلا يقول
يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء وعن علي رضي الله عنه
سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه
وساله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا
ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه
الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن
النبي سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له
قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب انه ملك الروم
وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه
قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع
كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود
سالوه على جهة الامتحان وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من
كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب
ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى
بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع فرئ حمئة من
حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله
على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله
اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن
وقرا ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس
حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المومنين ثم وجه الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي في ثاط
فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فراى مغيب الشمس عند مآبها
في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحماء اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامئة

فجاز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم
بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من
دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين
واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر
وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى او فله جزاء
الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء
وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من
امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الخراج والزكوة وغير ذلك
وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو
مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها يريد كان آثار
مجر الرامسات على قوم هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها
اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت قيل م
حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم
يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس
قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار
خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر
اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل
الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من
الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك
الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل
صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك
القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على
الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين
ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل
العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد
بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على

الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي
يستعمل اسما وظرفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما
هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها
كما يفهم البكم وقرئ يُفقِهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة
مجهولة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرا رؤبة
آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم
مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون
شيا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول
الله صلى الله عليه في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح
وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر قرئ خرجا وخراجا
اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسُدا بالفتح والضم ما
مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج
فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلى الله عليه فما اتاني الله خير مما اتاكم قرئ بالادغام وبفكه
فاعينوني بقوة بفَعَلة وصُنّاع يحسنون البنا والعمل وبالالات ردما حاجزا حصينا موثقا
والردم اكثر من السد من قولهم ثوب مردّم رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى بلغ
الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم
حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس
المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين
السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووي وعن رسول الله ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته
قال كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا قال قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين
لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصُدُفين بضمتين والصُدْفين بضمة وسكون والصَدُفين
بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره اتوني
قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني اي جيئوني
فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب
السين صادا واما من قرا بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه
ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته
هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين

من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان ياتي جعل السد
دكا اي مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل
الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا اخر حكاية
قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون
انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون
مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم
ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة
وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها
لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران
وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه
الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة
بهم للسمع عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكي عنهم سبحانك
انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه افحسب
الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر وعلى الفعل و
والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان
والمعنى ان ذلك يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام
للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن
علي كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي ان ابن الكواء ساله عنهم
فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم
في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فلا نقيم لهم وزنا فنزدري بهم ولا يكون
لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات
والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي
محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن
السوال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل حسن عطف بيان لقوله جزاؤهم
الحول التحويل يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى
تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا
في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود

المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر و ما يمد به السراج من السليط و يقال السماد مداد الارض
و المعنى لو كتبت كلمات علم الله و حكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل
ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة و مددا تمييز
كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا و قرا الاعرج
مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل
قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم
من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو
لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء او
فمن يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به
الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله اني
اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له
لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه من
قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من
الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه
نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة
كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

والحمد لله رب العالمين والصلوة على رسوله محمد
وآله اجمعين